جامعة الجزائر
معهد علم الاجتماع

# ربة البيت بين التقاليد وظروف المعيشة

## دراسة ميدانية في بعض أحياء العاصمة

بحث مقدم لنيل دبلوم ماجستير في علم الاجتماع العائلي

إعداد الطالبة
تسعديت حروش

الأستاذ المشرف
كلودين شولي

السنة 1991

جـــامعـــة الجــزائـــر
معهـد علـم الاجـتـمـاع

# ربة البيت بين التقاليد وظروف المعيشة

دراسة ميدانية في بعض أحياء العاصمة

بحث مقدم لنيل دبلوم ماجستير في علم الاجتماع العائلي

اعداد الطالبة
تسعديت حروش

الاستاذ المشرف
كلودين شولي

السنة 1991

# الشكر

بعد فضل الله تعالى، يسعدني أن أتقدم بشكري إلى أستاذتي القديرة السيدة كلودين شولي، التي أشرفت على هذا البحث والتي لم تبخل عن توجيهي ومتابعتي طول مدة البحث.

كما لا يفوتني أن أخصص شكري إلى الأخوين الكريمين: الأستاذ عثمان فكار، والأستاذ مختار قادري اللذان قاما بتدقيق وتصحيح هذا البحث لغويًا.

# الإهداء

أهدي هذا البحث إلى صديقتي
وحبيبتي أمي أطال الله عمرهما.
كما أهديه إلى كل متصفح ومتصفحة
لهذه الدراسة المتواضعة.

# -0- الفهـــــــرس -0-

رقم الصفحـــة

# فهرس الجداول

ان الدراسات الاجتماعية حول المرأة ليست شيئا جديدا في علم الاجتماع وبالخصوص في علم الاجتماع العائلي فقد لقيت دراستها عناية كبيرة واهتماما بالغا من طرف عدد من الباحثين الاجتماعيين والنفسانيين .

لقد تشعبت مواضيع هذه الدراسات فمنها ما اهتمت بمعرفة المراحل التاريخية لتطور الوضعية الاجتماعية المهنية للمرأة مثلا ، ومنها ما اهتمت بدراسة الاثار السيكولوجية والاجتماعية على المرأة العاملة والمترتبة على سلسلة من التمييز والفوارق الاجتماعية بين الجنسين . . . . . الخ .

فكل هذه الدراسات تهدف او تطمح الى تحرير المرأة من قيود التبعية والتخلف ، والى مشاركتها الفعالة في سوق العمل المأجور مثلها مثل الرجل دون تمييز أو انحياز لجنس دون الأخر .

غير انه رغم هذه الاهتمامات المتفرعة حول دراسة المرأة ، ستبقى الدراسات الاجتماعية الدقيقة للعائلة والعائلة الجزائرية خاصة فقيرة في هذا المجال ، بحيث لا يمكن لأي دراسة اجتماعية حول المرأة ان تتم الا في اطارها الاول الذي هو العائلة ، باعتبار العائلة جزءا صغيرا للمجتمع تؤثر فيه ويؤثر فيها ، فانه يمكن القول ان العائلة الجزائرية ، والتي كانت لها انعكاسات اجتماعية على المكانات الاجتماعية للافراد ومن بينهم المرأة .

ففي اطار التنظيم العائلي والاقتصادي الذي عاشته العائلة الجزائرية التقليدية الابوية ، التي عرفت نوعا من تقسيم العمل بين الجنسين بحيث دام الرجل لمدة طويلة من الزمن سيد المجال الخارجي في العمل لتأمين الرزق لعائلته والمحافظة عليها ، وذلك بتوسيع املاكها عن طريق ابقاء الارث ضمن العائلة الواحدة ، ويتم ذلك بالزواج الداخلي عموما . وفي هذا السياق كان للمرأة الدور الاساسي في المحافظة على هذه العائلة وذلك عن طريق الانجاب ، وتنشئة الاطفال اجتماعيا وذلك بتلقينهم القيم والمعايير الاجتماعية السائدة .

الى جانب هذا فقد كانت تقوم بعدة اعمال منزلية و انتاجية و منها تحويل المواد الاستهلاكية بطرق مختلفة و متنوعة عبر المناطق المختلفة للمجتمع .

و مع جل التغيرات الاجتماعية و الاقتصادية التي تأثرت بها العائلة الجزائرية منذ العهد الاستعماري الى غاية ما بعد الاستقلال انعكست هي الاخرى على المكانة الاجتماعية للمرأة ، حيث ان هذه الوضعية الجديدة سمحت لبعض النساء في اتساع مجالهن الخارجي ، و تحقيق طموحاتهن الاجتماعية و المهنية و ذلك بالمشاركة في العمل المأجور و مزاولة التعليم على مختلف المستويات.

غير ان هذه التغيرات تبقى سطحية بحيث انها لم تمس كل الفئات النسوية من مختلف الاعمار ، و لم تتمكن ايضا من زعزعة بعض العادات و القيم الاجتماعية التي تسعى الى ابعاد المرأة عن الحياة الاجتماعية و الاقتصادية .

و في سياق كل التغيرات الاجتماعية و الاقتصادية التي أحدثت و لا زالت تحدث باستمرار في المجتمع الجزائري ، تحاول دراستنا معرفة مدى تأثير ظاهرة تذبذب عرض المواد الاستهلاكية (و التي تعتبر ظاهرة اقتصادية) على سلوكات و عقليات الافراد ، خاصة اذا علمنا ان ربة البيت تلعب دورا حساسا في مواجهة هذا المشكل .

و قد اقتضت معالجة الظاهرة الى تقسيم البحث الى بابين :

<u>الباب الاول :</u>

يتم فيه تحليل و دراسة مختلف المراحل التي عاشتها العائلة الجزائرية ابتداء من العائلة التقليدية الى غاية مختلف التغيرات الاجتماعية و الاقتصادية التي طرأت عليها ، و ذلك بالتركيز على الادوار و المكانات الاجتماعية لكل من الرجل و المرأة خاصة .
و تم توزيع مادة هذا الباب من الجانب النظري على ثلاثة فصول مقسمة بدورها الى عدة مباحث.

الفصل التمهيدي :

استهله بتحديد أهمية و اهداف البحث ،أسباب اختيار موضوع البحث ، مع ذكر الصعوبات التي واجهتنا اثناء اجرائه ثم التطرق الى اشكاليته و فرضياته ، مع تحليل وتحديد بعض مفاهيمه الاساسية .

الفصل الاول :

اتعرض فيه لتحليل مكانة المرأة من خلال العائلة الجزائرية التقليدية .

الفصل الثاني :

اخصصه لتحليل بعض التغيرات الاجتماعية الطارئة على العائلة الجزائرية خاصة بعد الاستقلال ، و محاولة معرفة من خلال هذا الفصل ما اذا كان لجملة هذه التغيرات على الوضعية و المكانة الاجتماعية .

الفصل الثالث :

اهتم فيه بتحليل احد التغيرات الاقتصادية الحالية التي يعيشها المجتمع الجزائري و التي لها تأثير و انعكاسات اجتماعية على الاسرة ، خاصة فيما يعني سلوكات المستهلكين و المستهلكات ،ألا و هي ندرة المواد الاستهلاكية ( تذبذب عرض المواد في السوق على مستوى القطاع العام و الخاص) .

الفصل الرابع :

اتعرض فيه الى تبيان الاسس المنهجية للبحث بما فيه اختيار المنهج و الادوات المتبعة مع تحديد و وصف مجال و مجتمع الدراسة .

الباب الثاني

اخصصه لدراسة تطبيقية على بعض الحالات المختارة من النساء المسؤولات عن شراء المواد الاستهلاكية الضرورية و أستهل هذا الباب بمقدمة تكون بمثابة تقديم أو وصف مجال الدراسة ( الذي هو الطابور) .

الفصل الاول :

اتطرق فيه الى تحليل الظروف الاجتماعية التي قد تسمح أو تعرقل خروج ربة البيت الى المجال الخارجي (المساحات التجارية الكبرى) ، وذلك حسب السن والمكانة الاجتماعية لكل واحدة منهن . وفي هذا الصدد أشير انني قد صنفت هذه الظروف الاجتماعية الى ظروف عائلية كنوعية الاسرة مثلا ، والى ظروف اجتماعية أخرى تحيط بالمرأة خارج بيتها والمتمثلة في مختلف الآراء والعقليات التي تضطر بها وتجعلها تعيش في صراعات مستمرة .

الفصل الثاني :

أهتم فيه بدراسة وتحليل مسؤولية ربة البيت في تسيير وتدبير أمور ميزانية البيت ، ومواجهتها لندرة المواد الاستهلاكية بالاستناد الى بعض العادات الطبخية ( Habitudes Culinaires ) الموروثة والمعروفة لدى ربات البيوت .

الفصل الثالث :

اتناول فيه بالدراسة والتحليل نوعية العلاقات الاجتماعية الجديدة التي تكونها ربات البيوت انطلاقا من خروجهن من بيوتهن الى غاية داخل الطابور بحيث نتسأل عن مدى امتداد العلاقات الاجتماعية المكونة داخل الطابور وبالتالي هل يمثل الطابور مجالا لاستنساخ العلاقات الاجتماعية كالمجالات النسوية المعروفة في مجتمعنا الجزائري (كالحمامات والمقابر ....الخ ) .

وتنتهي الدراسة بعرض النتائج العامة التي توصلت اليها ثم دمج الملاحق من دليل المقابلة ، والمراجع المعتمد عليها باللغة العربية والاجنبية ، وخريطة احياء الجزائر العاصمة التي تتنقل وتتحرك فيها ربة البيت باستمرار .

1 ـ الهدف من البحث :

يهدف هذا البحث الى دراسة الانعكاسات الاجتماعية لظاهرة اقتصادية او مشكل اقتصادي (تذبذب عرض المواد الاستهلاكية في الاسواق) على الوضعية الاجتماعية لربات البيوت.

ولقد اهتمت الدراسة بفئة ربات البيوت كونهن الركيزة الاساسية داخل الاسرة والعنصر الحساس الذي يتأثر بكل التغيرات التي تطرأ عليها ولهذا ستحاول دراستنا القاء الضوء على التغيرات الاجتماعية المترتبة على ظاهرة تذبذب السوق في الحياة الاجتماعية لربة البيت من حيث اهتماماتها الجديدة المتمثلة في سعيها المستمر وراء المواد الاساسية المفقودة وكنتيجة للحتمية الاجتماعية المتمثلة في تعويض الرجل اثناء غيابه في العمل عن البيت، تكتسب ربة البيت دورا ومكانة اجتماعيين لم تعرفهما من قبل. بحيث تتكون لديها خبرة ومعرفة في تسيير ميزانية البيت، وفي التعامل مع المجال الخارجي ... وغيرها من المعارف استنادا الى كل هذه التفاصيل تهدف دراستنا الى تبيان أو ابراز وجه جديد لربة البيت الحالية على غرار ما كانت عليه في الماضي.

وهذا ما يسمح لدراستنا ان تكتسب حيزا معينا في دراسات علم الاجتماع العائلي.

2 ـ سبب اختيار الموضوع :

ان السبب الرئيسي وراء اختيار الموضوع يتمثل في عدة نقاط :

أ ) كون الباحث ميالا الى الموضوعات التي تدخل في نطاق علم الاجتماع العائلي وخاصة التي تتطرق الى الواقع اليومي ( Le Quotidien. ).

ب ) ندرة الدراسات العلمية حول الموضوع في المجتمعات العربية بصفة عامة والمجتمع الجزائري على وجه الخصوص، بحيث ان معظم البحوث الاجتماعية تدور حول الوضعية الاجتماعية للمرأة العاملة، بينما اهملت الدراسات عن قصد أو غير قصد النساء الماكثات في البيوت أو غير العاملات بأجرة للتحديد، وذلك على الرغم من انهن يمثلن نسبة مرتفعة داخل المجتمع ويمارسن نشاطات فعالة داخل الاسرة والمجتمع على حد سواء.

3 . صعوبات البحث :

انه من الطبيعي ان تواجه اي باحث عند قيامه بالبحث عدة صعوبات سواء كان ذلك على المستوى النظري او الامبريقي ، ولكن تعلقه بالموضوع يجعله يصمد و يواجه كل العراقيل التي تعترض طريقه .

و من اهم الصعوبات التي واجهتنا عند قيامنا بهذا البحث هو استغراق مدة طويلة لتحديد الموضوع ، و ذلك نتيجة للفضول و حب الاطلاع على كل ما يتعلق بالاهتمامات و النشاطات المختلفة لربات البيوت خارج نطاق بيوتهن غير ان اهمية الموضوع الذي نحن بصدد دراسته تكمن في فرض وجوده كواقع اجتماعي يستدعي الدراسة و الاهتمام .

غير ان الفضول و حب الاطلاع لا يكفيان ، بحيث ان حداثة الموضوع أطلعتنا بقلة الدراسات حوله ، و ان وجدت بعض المراجع التي تسمح لنا بطرح المشكل فان معظمها باللغة الفرنسية و تستدعي وقتا للترجمة .

و أما على المستوى الامبريقي فان الصعوبات تعكس طبيعة الموضوع نفسه ، و بما اننا بصدد دراسة ظاهرة تذبذب السوق و انعكاساتها على ربة البيت فاننا كنا في سعي و تنقل مستمرين وراء تسجيل كل الملاحظات المتعلقة بالموضوع ، و ذلك بالقيام بعدة طوابير .

4 . الاشكالية :

يطرح الموضوع الذي نحن بصدد دراسة قضية جوهرية في صيرورة التحولات الاجتماعية الثقافية التي عرفتها البيئة الاجتماعية في المجتمع الجزائري ، و المتمثلة أساسا في التغيرات التي شهدتها العائلة في الوسط الحضري ، و ذلك من حيث المكانة و الدور الاجتماعيين للنساء الجزائريات . ٤٢٠٣٤٨

فمن وجهة نظرة تاريخية ، فان التحول الاجتماعي تجسد خاصة بعد اندلاع الثورة التحريرية الكبرى ( 1954 - 1962 ) ، و ظهر جليا بعد الاستقلال خاصة بعد انطلاق المراحل التنموية الكبرى ، هذا التطور أدى الى اعادة النظر في تقسيم العمل و المجال بين الرجل و المرأة في العائلة الجزائرية ، هذه الوضعية لم تحدث دون ان تكون لها انعكاسات اجتماعية على البيئة العائلية كما ادت الى تغيير وجهة نظر

- المجتمع تجاه المرأة ، هذه الاخيرة اصبحت تعاهد المؤسسات التقافية التعليمية والجامعية . . . الخ ، ودخولها الى سوق العمالة بالرغم من كونها تمثل شريحة مهنية ضئيلة في المجتمع.

هذا التحول افرز ديناميكية واسعة في آليات الادوار وتعددها اذ اصبحت تمارس بالاضافة الى النشاط الداخلي في البيت كمربية للاجيال وحرصها على غرس القيم والعادات والتقاليد ، وكذا مساهمتها في النشاط الاقتصادي الداخلي (*) وانما عرفت نشاطات أخرى خارج البيت كشراء اللوازم الاستهلاكية الضرورية وكل ما تقتضيه أمور البيت.

هذا الوضع الاجتماعي جاء نتيجة مرتبطة بوضعية السوق الوطنية والاختلالات التي عرفها اذ نتج عنها تذبذب في عرض المنتوج خاصة في السنوات الاخيرة انطلاقا من سنة 1986 ، اين عرفت الاسواق ندرة في المواد الاستهلاكية الاساسية ، وهذا ما جلب فئة كبيرة من النساء الماكثات في البيوت الى اقتحام الوسط أو بالاحرى البيئة الخارجية . اذ بعد ما كانت تخرج في مواعيد معينة منتظمة الى اماكن محدودة كالحمامات ، والاعراس ، زيارة المقابر . . . الخ .

اصبحت تحتل يوميا مجالات اخرى اكثر اتساعا واكتسبت بذلك خبرة اضافية في هذه المهام اليومية ، وعوضت الرجل في بعض النشاطات اليومية كمكوثها ساعات طويلة في الطوابير امام المساحات التجارية الكبرى (لاشان) .

من هنا تبرز أهمية الاشكالية من حيث دراسة الانعكاسات الاجتماعية من النساء تمسها اكثر هذه الظاهرة (الطابور) وما هي فئة الاعمار الغالبة ؟ وسوف يتم دراسة هذا العامل من عدة جوانب وفقا للتساؤلات التالية : هل النساء المسنات بحكم سنهن ومكانتهن الاجتماعية داخل الاسرة لهن الحرية والامكانيات اكثر للخروج والقيام بعملية الطابور (لاشان) ؟ هذا من جهة وما هي الفئة من النساء اللائي يقمن بتسيير ميزانية الاسرة ؟ وما هي الادوار الجديدة التي اكتسبتها نتيجة لهذه الندرة السلعية.

---

(*) ويقصد بالنشاط الاقتصادي الداخلي : مساهمة المرأة في تحويل المواد الغذائية من مواد أولية الى مواد جاهزة للطبخ كالمصبرات مثلا .

واخيرا ما هي العلاقات الاجتماعية الجديدة التي تكونها داخل الطابور (لا شان) اي في الوسط البيئي الجديد ؟

5. الفرضيات :

وفقا لطبيعة الاشكالية المطروحة و الجوانب التي ترتكز عليها الدراسة تم طرح الفرضيات التالية :

- الفرضية الاولى : تكتسب النساء بفضل سنهن و مكانتهن الاجتماعية امكانيات اكثر للخروج و القيام بالطابور (لا شان) عن الفئات الاخرى .

- الفرضية الثانية : مسؤولية النساء في شراء لوازم و مقتضيات الامور المنزلية يدعم دورها في تنظيم و تسيير ميزانية الاسرة .

- الفرضية الثالثة : ظاهرة الطابور سمحت للنساء بتكوين علاقات اجتماعية جديدة في البيئة الاجتماعية الخارجية .

6 . تحديد المفاهيم الاساسية :

مدخل :

ان تحديد المفاهيم مفتاح كل دراسة اجتماعية ، كما تعتبر من الخطوات الاساسية الاولية التي يتعرض لها كل بحث.
ويستند الباحث في ذلك على أسس نظرية يستعين بها في تحديد المفاهيم التي لها علاقة مباشرة بالموضوع الذي يتناوله البحث.

ودراستنا غير شاذة عن هذه القاعدة ، فهي تحاول ان تتعرض لبعض المفاهيم الاجتماعية الاساسية المرتبطة بموضوع البحث والتي تعتبر الخط الواصل (الرابط) بين الدراسة الميدانية واطارها النظري (الدراسات السابقة) .

تحديد مصطلح العائلة :

(ان مصطلح عائلة مشتق من عال ، يعيل ، معيل ، عيال ... الخ (1) . ومع سيطرة النظام الابوي اصبح الرجل هو المعيل واصبح بقية افراد العائلة عيالا مهما كانت درجة مشاركتهم في العمل ، ومهما كانت علاقات الاعالة والاعتماد متبادلة (2)

تحديد مفهوم العائلة :

يستخدم (محمد عاطف غيث) مفهوم العائلة ليشير الى انها الجماعة التي تقيم في مسكن واحد وتتكون من الزوج والزوجة واولادهما الذكور والاناث غير المتزوجين والاولاد المتزوجين وابنائهم وغيرهم من الاقارب كالعم او العمة والابنة والارامل الذين يقيمون في نفس المسكن ويعيشون حياة اجتماعية واقتصادية واحدة تحت اشراف رئيس العائلة (3) .

---

(1) حليم بركات ، النظام الاجتماعي وعلاقته بمشكلة المرأة العربية ، In المرأة العربية ودورها في الوحدة العربية ، بيروت ، مركز الوحدة العربية ، ط1 ، افريل 1982 ، ص 63 .

(2) نفس المرجع ص. 63 .

(3) محمد عاطف غيث ، دراسات في علم الاجتماع القروي ، بيروت ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بدون ذكر السنة ، ص. 105 .

و نظرا لا رتباط مفهوم العائلة بمفهوم الا سرة الممتدة نجد ان الكاتب محمد عاطف غيث يستخدم نفس التحديد في كتابه قاموس علم الا جتماع لمفهوم الا سرة الممتدة فهي ، ((اسرة تتكون بنائيا من ثلاثة اجيال او اكثر ولهذا تضم الا جداد و ابنائهم غير المتزوجين و ابنائهم المتزوجين و كذلك احفادهم)) (1) .

غير ان مفهوم العائلة اكثر شيوعا و استخداما من مفهوم الا سرة الممتدة خاصة في مجتمعات المغرب العربي و الجزائر على وجه الخصوص ، لقد انشق عنه مفهوم "العايلة" في الا ستعمال اليومي . وتمثل العائلة في المغرب العربي وحدة سكانية و انتاجية في آن واحد ، فعدد كبير من الا شخاص او بالا حرى من الا جيال يعيشون تحت سقف واحد (البيت الكبير) و تربطهم ببعضهم رابطة الدم و القرابة ، و الحياة الا قتصادية و الا جتماعية الواحدة ، و ذلك تحت اشراف رئيس العائلة . وتعين العائلة عموما بالنسبة لوحدتها السكنية و التاريخية ، فيشار الى عائلة ما (بيت فلان) او دار فلان كدار (سي بلقاسم) و (دار سي العربي) ... الخ و يعود اسم العائلة الى الجد الا كبر و الشهير باعمال معينة في وسطه الا جتماعي و يبقى الا بناء و الا حفاد ينادون باسمه بعد ذلك (2) .

المفهوم الا جرائي (للعائلة التقليدية) :

استنادا الى المفاهيم السابقة و هي كون ان العائلة بمثابة وحدة انتاجية و ايديولوجية و تربوية ... الخ ، فاننا نستخدم اضافة الى ذلك مفهوم (تقليدي) و ذلك وفقا للنمط الا قتصادي التقليدي الذي عاشته العائلة الجزائرية (قبل التغيرات التي طرأت عليها) . و الذي كان يستخدم وسائل و ادوات انتاجية تقليدية بسيطة (غير خاضعة للتكنولوجية) بالنسبة للمدينة او الريف . كما تعتبر تقليدية ايضا نسبة للعادات و التقاليد الا جتماعية ، حيث ان العائلة كانت توليها كل الا همية و الخضوع .

---

(1) محمد عاطف غيث ، قاموس علم الا جتماع ، الا سكندرية ، كلية الا داب ، 1979 ، ص. 180 .

(2) BORRMANS Maurice, Statut personnel au Maghreb de 1940 à nos Jours, Paris, Mouton; 1977, PP.615 à 616.

ورغم التغيرات الاجتماعية والاقتصادية التي عرفها المجتمع الجزائري ، فان العائلة (الاسرة الممتدة) لا تزال موجودة حتى في المناطق الحضرية وان تقلصت معظم وظائفها الاساسية التى كانت قائمة من اجلها وتماشيا مع مختلف التغيرات الاجتماعية والاقتصادية التى تأثرت بها العائلة فقد انبثق عنها نوع جديد من الاسر وهو ما يطلق عليه بالاسرة الزواجية .

تحديد مفهوم الاسرة الزواجية :

وتبنى العلاقة في هذه الاسرة (على محور الزوج والزوجة اكثر من قيامها على العلاقات الدموية . ويقوم بالادوار الهامة في هذا النموذج الزوج والزوجة وابناؤهما غير المتزوجين ، واذا ضمت الاسرة أقارب آخرين ، فان دورهم يكون سطحيا اولا تتشكل الاسرة في هذه الحالة اوتتحول الى اسرة ممتدة (1) .

وفي دراستنا هذه نستخدم عادة مفهوم الاسرة الزواجية لارتفاع عدد افرادها (حيث انها تتميز بدور الانجاب) من جهة ولارتباط اعضائها بعلاقات اجتماعية متينة اساسها القواعد الاجتماعية السائدة في المجتمع .

وذلك عكس نموذج الاسرة النواة الذي يتميز اعضاؤه بدرجة عالية من الفردية والتحرر الواضح من الضبط الاسري مما يترتب عليه . ان تعلو مصلحة الفرد مصالح الاسرة ككل . وتمتاز الاسرة النواة بصغر حجمها ، حيث تتكون عادة من زوج وزوجته وابنائهما غير المتزوجين ولا يحدث الا نادرا في ظل ظروف استثنائية ان يعيش احد الابناء المتزوجين مع والديهم (2) .

بناءا على تحديد هذا المفهوم فان (الاسرة النواة) لا يمكن ان تكون اسرة ممتدة وذلك عكس الاسرة الزواجية ، رغم عدم توفر الظروف الملائمة لذلك ، كعدم اتساع المسكن على سبيل المثال ، وحتى اذا حدث وانفصل احد الابناء عن المسكن العائلي عند زواجه فانه يبقى مرتبطا باسرته .

---

(1) محمد عاطف غيث ، المرجع السابق ، ص.197 .

(2) نفس المرجع ، ص.178 .

تحديد مفهوم النموذج :

لقد اختلفت الاراء حول تحديد مفهوم النموذج ، غير اننا حاولنا في صدد دراستنا اختيار ابسط التعاريف ، واقربها الى الواقع الاجتماعي فالنموذج اذا : «يتكون من خصائص فرد او جماعة او ثقافة أخرى ، وتستخدم النماذج من اجل توفير وسيلة لتصنيف الاشخاص او الثقافات كما انها تفيد في التحليل في نفس الوقت» (1) .

وقد يحدث ان يحتوي النموذج الواحد على عدد من الاشكال التي تختلف فيما بينها بساطة وتعقيدا ولكنها متشابهة لانها في فكرتها الاساسية تتبع نمطا واحدا (2) .

بناءا على هذا التعريف فقد تطرقت بعض الدراسات حول الاسرة الى عدة نماذج متنوعة وذلك من اجل التصنيف من جهة ، ومن اجل معرفة النتائج التي تحدث نتيجة المتغيرات التي تدخل عليها من جهة اخرى . وكما يستدعي هذا التصنيف الارتكاز على البنية الاسرية (كأن تكون اسرة مركبة ، نواة ....) وعلى نوعية العلاقات الاجتماعية بين افرادها .

تحديد مفهومي العادات الاجتماعية والتقاليد :

ان كل مجتمع يحمل في طياته عادات اجتماعية وتقاليد تميزه عن كافة المجتمعات الاخرى . ودراستها تعتبر ضرورة ملحة في كل بحث اجتماعي مهما كان ، ولذلك فان دراستنا لا تخلو من هذه المفاهيم .

العادات الاجتماعية :

ان العادات الاجتماعية بصفة عامة كما عرفها جلن وجلن ( Gillin - Gillin ) هي «سلوك متكرر يكتسب اجتماعيا ، ويتعلم اجتماعيا ويمارس اجتماعيا» (3) .

---

(1) نفس المرجع ، ص 491 .

(2) ابراهيم مذكور ، معهد العلوم الاجتماعية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة 1975 ، ص 625 .

(3) فوزية دياب ، القيم والعادات الاجتماعية : من بحث ميداني لبعض العادات ، بيروت ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ط2 ، 1980 ، ص 104 .

«غير ان هذا لا يعني ان كل سلوك متكرر هو سلوك يدخل في اطار العادات الاجتماعية، تعبر هذه العادات عن مظاهر السلوك الجماعي المتكرر واساليب الناس في التفكير» (1)

وتترسخ العادات الاجتماعية في الفرد تدريجيا اي منذ تنشئته الاجتماعية الاولى إلى غاية ان يكتمل دوره الاجتماعي . فالفرد يجهد في المحافظة على العادات الاجتماعية التي تحافظ بدورها عليه بحيث تسهل اندماجه في وسطه الاجتماعي .

والعادات الاجتماعية نوعان : عادات تقليدية وعادات مستحدثة :

1 ) عادات تقليدية :
وهي عادات قديمة متأصلة راسخة في الثقافة تؤدي نوعا من الاستمرار والتواصل بين الاجيال المتعاقبة ، ومن خصائصها الاستمرار والدوام : وذلك لانها تنتقل في نطاق تراث ثقافي يضفي عليها نوعا من الاحترام والقدسية ومقاومة اي تغير يلمسها .

2 ) عادات مستحدثة :
وهي كل ما يستجد في المجتمع من ممارسات واستعلامات اجتماعية يستسيغها الافراد ويتقبلونها كالموضة ( MODE ) والبدع وهي عادات لا تتصف بالاستقرار والدوام فهي قصيرة الاجل وسريعة الزوال (2) .

تحديد مفهوم التقاليد :
وفي نفس المنوال لقد جاء في كتاب الباحثة (دياب فوزية) ان كلمة تقليد ( TRADITION ) منبثقة من الفعل اللاتني (TRADER) الدال على التسليم والاعطاء وهو فعل يدل على التوصل والنقل . وان اصطلاح تقليدي : يطلق على الرأي والاعتقاد او العادة المتوارثة من السلف الى الخلف، واذا اتصف السلوك بانه تقليدي نفهم بان مزاولته دامت حقبا طويلة ، وانه محكاة لسلوك القدامى ومتوارث عنهم (3) ولقد ركزنا في دراستنا على مفهوم (تقليدي ) لتبيان مدى اصالة الشيء واستمراره ، هذا من الوجهة الزمنية او بالاحرى التاريخية .

---

( 1 ) نفس المرجع ، ص 104 .

( 2 ) نفس المرجع ، ص 150 .

( 3 ) نفس المرجع ، ص 164 .

التعريف الاجرائي (التقليدي) :

لتفادي القطيعة بين كل ما هو حديث وتقليدي كما لاحظناه في بعض الدراسات فاننا نرى هذا المفهوم (تقليدي) يشمل مستويين مادي و معنوي ولهذا فان التغير الاجتماعي قد يحدث على مستوى دون الاخر ، هذا ما يسمح بتعايش مفهومين يرى البعض انهما متناقضين حديث/تقليدي .

غير انه يتميز المستوى المعنوي و نقصد به العلاقات الاجتماعية بين الافراد ، التصورات الاجتماعية . . . الخ ، بالاستمرارية و الدوام : فقد تتغير القاعدة المادية للاسرة (او حتى بنيتها) على سبيل المثال بينما تبقى هذه الاخيرة اي الاسرة على علاقاتها الاجتماعية السابقة وكما انها تعطي اهمية بالغة للتقاليد .

وعلى هذا الاساس فقد سعينا الى استخدام مفهوم النموذج العائلي التقليدي كلما اتيحت الفرصة بذلك .

تحديد مفهوم التغير الاجتماعي :

لقد تعددت الدراسات حول تحديد التغير الاجتماعي ، غير اننا اخترنا لدراستنا هذه مفهوم (هانري مندراس ، و ميشال فورسي) لما يحتويه من تفاعل جدلي و ديناميكي لمختلف التغيرات .

فالتغير الاجتماعي حسب هذين الباحثين (هو تفاعل جدلي بين التغيرات الاجتماعية التي تحدث على المستوى الاجتماعي الشامل ( Macrosociologique ) . والتي تحدث على المستوى الاجتماعي الجزئي ( Microsociologique ) كما ان التغير الاجتماعي الشامل لا يجلب حتما تغيرات جزئية او محلية ،كما يعتقد بعض علماء الاجتماع الذين يستندون في دراستهم الى الاختراعات الصناعية الكبرى التي بلورت العالم ابتداء من القرن الثامن عشر ( XIIII° Siecle. ) . وعلى العكس من ذلك فان مجتمعاتنا الحالية الكثيرة التنوع و التشعب ، فان التغيرات الاجتماعية المحلية او الجزئية فيها قد تتاضمن بعضها البعض لتحدث تغيرا اجتماعيا شاملا (1) .

---

(1) MENDRAS Henri et FORSE Michel; le changement social : Tendances et Paradigmes, Paris, ED.: Armand Colin, Collection U, 1983, P.9.

، تحديد مفهوم الدور والمكانة الاجتماعيين :

«الدور هو المظهر الدينامي للمكانة كما يقول - رالف لينتون - فهو كذلك فيه الموروث والمكتسب. (فالدور الموروث) ، يحصل عليه الفرد بصفة تلقائية عند ميلاده ، او عند وصوله الى سن معين . ويعتبر دور الجنس (الذكر او الانثى) من اكثر الادوار عمومية كما ان مستويات السن المختلفة ترتبط بتوقعات متباينة . واما الدور المكتسب فيقوم به الفرد سواء اختاره او تعلمه ، ولذلك فالدور المكتسب يعتبر نتيجة جهود الفرد وافعاله . ويقوم البناء الاجتماعي بتحديد متطلبات معينة تنعكس على التوقعات المتصلة بوضع معين للمكانة (كوضع الاب او الطبيب او الزوج او الزوجة) .

ومع ذلك فهناك مستوى معين ينبغي ان تتحرك فيه هذه الفروق وهو مستوى السلوك المتفق عليه ثقافيا» (1) .

ويقصد بالمكانة الاجتماعية : «(او كما يسميها البعض الاخر بالوضع الاجتماعي فهناك المكانة الوارثية الالزامية كالمتصلة بالمولد (كالجنس والاسرة والعنصر والجماعة الاثنية) واما المكانة المكتسبة فيكسبها الفرد عن طريق جهوده التي تتميز في اغلب الاحيان بالمنافسة واستخدام القدرات الخاصة والمعرفة ، والمهارة . وهي مكانة غير موروثة وبناءا على ذلك ، تعتبر كثير من المكانات المهنية المكتسبة كالطبيب مثلا او المحامي او الفنان)» (2) .

المفهوم الاجرائي للمكانة الاجتماعية (المرأة) :

ونحن في دراستنا هذه نركز على وجه الخصوص على المكانة الاجتماعية للمرأة أكثر ، ونعني بالمكانة الاجتماعية مدى الاعتبار والاهمية التي تكتسبها المرأة كشخص فعال داخل وسطها العائلي الاجتماعي من جهة ، وداخل المجتمع ككل .

وهناك عدة مؤشرات مؤثرة في تحديد المكانة الاجتماعية (كالعمل ، المستوى التعليمي ، الميراث ، القرابة ، القوانين ، العادات الاجتماعية والتقاليد ... الخ) . وقد تكون هذه المؤشرات متناقضة عند ممارستها ، فالبعض منها يسعى الى الارتقاء بمكانة المرأة والبعض الاخر يعمل على ابقائها على حالها .

---

(1) محمد عاطف غيث ، المرجع السابق ، ص390 - 391 .

(2) نفس المرجع ، ص. 473 .

المبحث الاول : مكانة المرأة والنماذج العائلية المختلفة :

لا شك ان اختلاف الادوار والمكانة الاجتماعية للافراد من مجتمع لآخر لا يعكس طبيعة النظم الاقتصادية والسياسية فحسب ، بل تخضع ايضا لاختلاف النماذج والبنيات العائلية المتنوعة .

كما ان البنيات العائلية ونوعية العلاقات الاجتماعية بين افرادها في مسائل معينة كمبدأ التساوي بين الاخوة في الارث ، وتحديد سن الزواج بالنسبة للرجل والمرأة ، ان كل هذه الامور هي التي تحدد المكانة الاجتماعية للمرأة في آخر المطاف ، اضافة الى هذا لا يمكن تجاهل عامل آخر حاسم في تعداد النماذج العائلية الا وهو الانتشار الثقافي اذ يمكن ايجاد نماذج عائلية ومكانات اجتماعية مختلفة للافراد في اطار المجتمع الواحد .

وعلى ضوء هذه المعطيات ستحاول الدراسة من خلال هذا الفصل عرض بعض النماذج العائلية المعروفة كالنموذج العائلي الثنائي بنوعيه : العمودي الاستبدادي ( Verticale autoritaire ) ونموذج اسرة النواة ( Nuclaire ) بالاضافة الى معرفة النموذج العمودي الجماعي ( Communautaire ) .

1 . مكانة المرأة من خلال النماذج العائلية الثنائية :

ان اغلبية النماذج العائلية الموجودة في أوروبا الغربية تعتبر (ثنائية) ميزتها الاساسية انها تمنح اماكن متساوية للقرابة بين الرجال والنساء .

كما ان التركة توزع بصورة متساوية بين الذكر والانثى ، ويعترف بادوار ومكانات اجتماعية متساوية لكلا الجنسين (1) .

غير ان درجة الثنائية ليست واحدة ، بمعنى ان هناك نماذج ثنائية تمنح اعتبارا اكبر للنساء عن الاخريات وهذه الخاصية تتجلى اكثر في أوروبا الجنوبية والشمالية من البحر المتوسط الى البلطيق .

الى جانب هذا يوجد ايضا اختلاف في البنية العائلية نفسها فهناك : البنية العائلية العمودية الثنائية ، الاسرة النواة .

---

(1) TODD Emmanuel, l'enfance du monde : Structures Familiales et développement, Paris, ED : Seuil, 1984, P.14.

أ ) النموذج العائلي الثنائي العمودي :

يطلق على هذا النموذج العائلي بانه عمودي لانه ( يتضمن على الاقل ثلاثة اجيال : أولياء / أبناء / أحفاد . والمرادف الممكن هنا بالنسبة لمصطلح (عمودي) هو استبدادي ( Autoritaire ) وذلك لما يتميز به من صرامة في تربية الاطفال ، وفي اتخاذ القرارات بالنسبة لأعضائها (1) .

هذا النموذج العائلي منتشر لدى البلدان المتطورة (ثقافيا ) هذه الاخيرة يمكن تسميتها بمجموعة القطب الثقافي وعلى رأسها اسكندنافيا ، ألمانيا .

واهم مميزات هذا النموذج العائلي انه لا يسمح التساوي بين الاخوة بحيث ان التعاقب ( Succession ) بين الاجيال ضعيفة جدا .

غير ان مبدأ عدم التساوي بين الاخوة يسمح للمرأة ان تبرز وان تحتل مكانة معتبرة ضمن هذا النموذج العائلي ، مادام انه يقبل ان تمارس التركة على الخط النسوي .
(Il accepte fort bien en pratique la succession en ligne feminine.)

كما ان سلطة الام قوية جدا ضمن هذا النموذج العائلي الذي يوفق بين مكانة الأم المعتبرة وسلطة الأولياء في التربية والتهذيب .

وجملة القول ان هذا النموذج لا يلغي بتاتا سيطرة الرجال ولا يبحث عن التخفيض او التقليل من اهمية ودور المرأة ضمن النسق الثقافي العام (2) .

وهذه البلدان المتقدمة ثقافيا عاشت ثورة ثقافية عظمى ، اذ عرفت نسبة ثقافية مرتفعة في محو الامية وصلت الى اكثر من ( 70٪ ) في كلا الجنسين ، وهذا ما نعكس على وضعية الزواج عند الفتيات حيث تجاوز 27 سنة ، وهذا كان منذ 1950 (3) .

ان مرحلة الامتداد الثقافي لدى النساء ان دل على شيء انما يدل على درجة الوعي والرشد الذي كسبته خلال هذه المرحلة ، ودورها الاجتماعي والاقتصادي الفعال داخل المجتمع الذي تنتمي اليه .

اما خارج أوروبا فان هذا النموذج العائلي يتجلى في ثلاثة مناطق كبرى في العالم وهي اليابان ، كوريا ، اسرائيل (4) .

---

(1) Ibid, P.14
(2) Ibid, PP.63 à 65
(3) Ibid, P.59
(4) Ibid, P.64.

تعتبر بعض المجتمعات عظمى بفضل نماذجها العائلية التي تسمح لاعضائها بالارتقاء الى مرتبة معينة . فانه كما تبين ان النموذج الثنائي العمودي يمنح لاعضائه نفس الحظوظ في التعليم و التثقيف ، ولا يميز بين الرجل و المرأة في عدة مجالات كالعمل على سبيل المثال ، كما انه يصعب لاعضائه الانحراف عن القالب الاجتماعي خاصة و ان هذا النموذج يتميز بالصرامة . الى جانب هذا النموذج يوجد نموذج عائلي آخر لا يقل أهمية عن الذي سبق وصفه و هو نموذج الاسرة النواة .

ب) نموذج الاسرة النواة :

ان الاسرة النواة ليست ظاهرة معاصرة او وليدة التقدم الصناعي ، بل انها تمثل النموذج الاصلي لجزء معين من أوروبا القديمة . فالمعطيات التاريخية المعتمدة على الوثائق و الاحصائيات القديمة للسكان في القرن السادس و السابع و الثامن عشر ، أوضحت أن (78٪) من الاسرة النواة ظهرت في الينق ( Ealing ) في انجلتر (76٪) في فرنسا ، (69٪) في بلغراد (1) .

و بناءا على تحديد مفهوم الاسرة النواة التي ترفض التجمع العائلي المركب من الاولياء و الابناء المتزوجين ، و بما يتميز به اعضاؤها من درجة عالية من الفردية و التحرر من الضبط الاسري ، فانه يمكن القول انها تمنح حظوظا متساوية لكلا الجنسين في عدة مجالات كالعمل و التعليم دون تمييز ..... الخ . الا انه يمكن القول ان الاسرة النواة هي الاخرى تنقسم الى قسمين - الاسرة النواة المتساوية بين الاخوة في مسألة الارث و الغير المتساوية بالنسبة للاولى توجد في فرنسا الشمالية و ايطاليا الشمالية و الجنوبية و الجنوب الاسباني و في هذه الحالة ليس للاب الحق في توزيع تركته (ارثه) كما يريد ، بل يجب عليه توزيعها بطريقة عادية . و اما بالنسبة للغير المتساوية في الارث ( Inégalitaire ) فان الاب حر في توزيع ثروته على ابنائه كما يريد و توجد هذه الخاصية في انجلترا ، الدانمارك و ايضا هولندا .

(1) SEGALEN Martine, Sociologie de la famille, Paris, Armand Colin, Collection U, 1981, P.24.

وتعتبر الاسرة الغير المتساوية في الارث أكثر ميلا عموما للمرأة ، كما تعتبر سلطتها في التهذيب والتقويم ( Dréssage ) أكثر درجة من الاسرة المتساوية وأقل درجة من جهة اخرى من الاسرة الثنائية العمودية .

غير ان هذا لا ينفي القول انه رغم هذه الخصوصيات فان الاسرة النواة تتميز بثنائية العلاقات بين الزوجين والاعتراف بتساوي المكانات بين الجنسين (1) . ونستنتج من هذا ان للمرأة مكانة اجتماعية لا بأس بها ضمن النماذج الثنائية اذ يمكنها ان تبرز في عدة ميادين كالتعليم ، العمل ، الارث ... فهل هذا يمكن ان يحدث بالنسبة للنماذج العائلية الاخرى ؟ وهذا ما ستحاول الدراسة ابرازفي التحليل التالي :

2 ) مكانة المرأة ضمن النموذج العائلي العمودي الابيسي :

ان اهم البلدان التي تمثل هذا النموذج العائلي العمودي الابيسي او ما يمكن تسمية بالعائلة الجماعية هي روسيا ، يوغوسلافيا ، شكسلوفاكيا ، بلغاريا ، المجر ، فلندا ، البانيا ، ايطاليا المركزية ، الصين ، فييتنام ، كوبا الهند الشمالية . واذا اخذنا روسيا كمثل فان البنية العامة لهذا النموذج العائلي هو ابيسي عمودي ( Patrilineaire Verticale ) ( اي ينسب امتياز القرابة للرجال ، وتحويل الاملاك يكون عن طريقهم ، والاعتراف بدور الاب في الانجاب ) (2) . الى جانب هذا تتمثل هذه العائلة في اطار تجمع عائلي كبير يضم الاب وابنائه المتزوجين يقطنون مع بعض ويتساوون في الملكية الجماعية لوسائل الانتاج ، والتعاون في الانتاج . غير انه رغم هذا التعاون والارتباط في الانتاج فان الزواج يكون خارجي (خارج العشيرة) ( Exogame. ) .

---

(1) EMMANUEL Todd, OP. Cit, PP 73 à 79

(2) Ibid, P.14.

ان المكانة الاجتماعية للمرأة في مثل هذا النموذج العائلي تكون ضعيفة جدا لا تقارن بمكانة الرجل ، فهم الذين يقررون و ينتجون و مع على النساء التنفيذ و الطاعة ، و تعتبر هذه الاخيرة في مرتبة الاطفال ، و الازواج يكونون اكبر سنا من الزوجات تقريبا الضعف.

ففي الشمال الهندي الذي يمثل النموذج العائلي (الابيسي العمودي المطلق) فانه يلاحظ تضامن كبير بين الاخوة و ليس للاب الحق ببيع الاراضي ام الثروة المشتركة بينه و بين ابنائه الا بعد استشارتهم ، فهو لا يعتبر الا كوكيل ، و اما مكانة المرأة في اطار هذه العائلة تعتبر هامشية و دنيئة جدا (1).

غير ان الامر ليس كذلك في روسيا التي تنحرف عن المقياس العام لهذا النموذج ، و ذلك بالتساوي في السن بين الزوجين مثلا و هذا ما يقرب اكثر بين الزوجين ، و يسمح للزوجة ان تكون لها مكانة معتبرة داخل العائلة الروسية و المجتمع عامة (2).

ان الانحراف الروسي عن القياس النظري للنموذج العائلي الابيسي العمودي لم يكن وليد الصدفة و لكن نتيجة لتأثره بالنموذج الثنائي العمودي لا سكندنفيا .

فالى جانب العامل الجغرافي نجد هناك عدة عوامل اخرى مؤثرة في النموذج العائلي كالانتشار الثقافي الذي له تأثير مباشر في احداث عدة تغيرات و تحولات اجتماعية كخروج المرأة للعمل ، و امتداد مدة التعليم للفتيات . . . الخ . و مع التغيرات الاجتماعية و الاقتصادية التي تأثر بها النموذج العائلي الابيسي العمودي ، انخفضت نسبة الاسر الجماعية مع القرن العشرين ، فحسب الاحصائيات السوفياتية لسنة 1970 نجد روسيا تمثل (1،3 %) من الاسر المتعددة الازواج (ménages) اما المجر فتمثل (2،6 %) .(3)

و خلاصة القول يمكن اعتبار دور و مكانة النساء في الحياة الاجتماعية تخضع لطبيعة النسق العائلي الذي قد يعرف عدة تغيرات داخلية او يتأثر بعوامل اخرى خارجية كالتي تحدث على المستوى الاقتصادي السياسي و الاجتماعي على السواء .

---

(1) TODD Emmanuel, la troisième planète : structures familiales et systèmes ideologiques, Paris, ED : SEUIL, 1983, P.47.

(2) TODD Emmanuel, OP. Cit, PP 91 à 94.

(3) TODD Emmanuel, la 3ème planète, PP 59 à 61.

وعلى الرغم من ان كل المجتمعات لم تسـر على نفس النمط لصيرورة التحضر و التصنيـع فيمكـن اعتبار هذه الاخيرة قد مست كل مناطق العالم المختلفة و دعمت العمل النسـوي ، مع العلم ان عمل المـرأة داخل البيت أم خارجه كان موجودا قبل الثورة الصناعيـة ، وذلك بمشاركتها في الاقتصاد المنزلي ضمن التنظيم العائلي العام . الا ان سـوق العمل المأجـور يمنح للعاملـة عدة امتيازات اجتماعية كحق التقاعـد، المنح العائلية ، العطلـة ... الخ . وفي هذا الاطار المنهجي سيتم معرفة مدى تأثير النموذج العربي الاسلامي في مكانة المـرأة الاجتماعية ، وبالتالي التطـرق للعائلـة الجزائريـة وذلك بحكم انتمائها الى المجتمـع العربي الاسلامي .

المبحث الثاني : أهمية ومكانة المرأة في النموذج العائلي العربي الاسلامي :

لقد جاء الاسلام كدين وعقيدة ونظام اجتماعي وسياسي في آن واحد ، وفي اطاره الاجتماعي لقد خصص للمرأة مكانة معينة ، فاذا نقبنا في التاريخ فيذكر أن شبه الجزيرة العربية قبل الاسلام كانت مكونة من قبائل لا يجمعها نظام ولا يشملها وئام ، فكان يحقر من شأن المرأة وينظر اليها على انها تمثل الرجس والدنس ولقد كانت هناك قبائل تئد بناتها ، وكانت حالة المرأة سيئة كما اشار اليها القرآن الكريم : (( اذا بشر احدكم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ايمسكه على هون ام يدسه في التراب الا ساء ما يحكمون))(1).

لقد حارب الاسلام هذه العادة الشنيعة التي هي وأد البنات واسترجع كرامة المرأة واحترامها حتى راح الرسول صلى الله عليه وسلم يقول في معنى المدح بهن : «أنا أبو البنات».

لقد ذهب الاسلام اكثر من ذلك في تبيان الحقوق المدنية للمرأة فقرر لها اهلية التصرف في مالها بيعا وشراءا في التجارة او غيرها من الامور ، كما سمح لها ايضا بحق الولاية على القاصرين والتركات بالوصاية والتقديم : تراعي الابناء وتقوم على ضبط الاموال .

وفي مجال الكسب والتملك والسعي وراء الرزق تقول الآية الكريمة :(( للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن ))(2).

ولكن ما اوسع الهوة بين النظريات والتطبيق ،ان الملاحظ اليوم في اكثر المجتمعات العربية الاسلامية ان الرجل لا يزال يستصغر وظيفة المرأة ولا ينظر اليها نظرة اكبار. ويمكن الاشارة في هذا الصدد انه مهما كان الاسلام حكيما في التدرج بحقوق المرأة حتى لا يبلغ بها الكمال بسرعة مذهلة ، فقد كان هذا شديد الوقع على المسلمين غير محتمل وذلك في عدة مسائل كالميراث على سبيل المثال ،لقد اصبحت المرأة في ظل الاسلام ترث بعد ما كانت في الجاهلية هي نفسها تورث ، أي تعتبر كسلعة وفي هذا الشأن تقول الآية الكريمة : (( للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون ، مما قل منه او اكثر نصيبا مفروضا))(3).

---

(1) سورة (النساء)،الآيتان : (58 - 59).
(2) سورة (النساء) ،الآية : (7).
(3) سورة (النساء) ، الاية : (7).

و تقرر الآيـة الكريمة الحادية عشر من سورة النساء هـذا النصيب بقولهـا : ((يوصيكم اللـه فيى اولا دكم للذكـر مثل حظ الا نثيين ، فان كـن نسا، فون اثنين فلهن ثلثا ما ترك ،و أن واحدة فلهـا النصف و الا بويـة لكل واحـد منهمـا السد س من بعـد وصية يوصى بهـا أو ديـن ....)) (1) .

غير انه رغم الحاح الآيات عن نصيب المرأة في الميرات ، فان المجتمعات العربية الا سلا مية ظلت على عادتهـا فيى تحبيس الأب المال على الذكور فقط . فكانوا يرون بان المرأة لا تستطيع الا نغراد بميراثهـا الذي ينتقل بواسطتهـا الى عائلة زوجهـا التي تمنعهـا هي الا خرى ا ن ترجـع شيء من مال زوجهـا الى بيت ابيهـا . و مازالت هـذه الاعتبارات معمول بهـا الى غاية اليوم فيى حرمان الا ناث خصوصا فيى البوادي و القرى ، فهـم يعتبرون ان بناتهم خلقت لتعمير بيوت غيرهم . (2)

غير ان جل هذه التصرفات و المواقف الا جتماعية لا يمكن فهمهـا و تفسيرهـا الا في اطـار خصوصيات المجتمعات العربيـة الا سلا ميـة ، و بما فيهـا النظام الا بوي .

1 . <u>العائلة العربيـة الا سلا ميـة فيى اطار النظام الا بوي</u> :

((ان العائلة العربيـة أبوية هرمية - تماما كالمجتمع العربي الطبقيى - يقوم التمـايـز و توزيـع العمـل فيهـا على اساس الجنس و العمر ، فيتسلط الذكـر على الا نثى و الكبيـر على الصغير . انهـا في الصلب الا جتماعي مصغرة للمجتمـع ، تشكـل حولهـا وحـدة المجتمـع الا قتصادية و الا جتماعيـة و يتوارث فيهـا الا فراد و الجـماعات هواياتهم و انتمائـتهم الطبقيـة و الدينية و الثقافية )) . (3)

لقد عرف المجتمـع العربي مختلف التجمعات العائلية فيى مراحل تطوره التاريخيى الـى ان استقر فيى النظام الا بوي ، و بسيطرة هـذا الا خير حيث اصبح الرجـل هو المعيـل ، و اصبح بقية افراد العائلة عيالا مهمـا كانت د رجـة مشاركتهم فيى الا نتاج و علا قـات الا عتماد و الا عالة المتبادلـة . (4)

---

( 1 ) سورة النساء ، الآيـة : ( 7 ) .
( 2 ) الطاهر الحداد ، امرأتنا فيى الشريعة و المجتمع ،تونس ، الدار التونسية للنشر ، النشرة الثالثة ، 1984 ، ص ص 25 - 39 .
( 3 ) حليم بركات ، النظام الا جتماعيى و علا قته بمشكلة المرأة العربية ، المرأة و د ورهـا فيى الوحدة العربية ، بيروت ، مركز الوحدة العربية ، ط 1 ، افريل 82 ، ص 63 .
( 4 ) نفـس المـرجـع ، ص 64 .

ويمكن تصنيف النموذج العائلي العربي الاسلامي كنموذج عمودي أبيسي حيث انه يجعل الرجل مركز السلطة والاحترام والتنفيذ والارث والانتساب كما ان تقسيم العمل والنفوذ والمكانة يكون حسب الجنس والسن.

وتعتبر مكانة المرأة ضمن النظام الابوي المتسلط هامشية ، حيث ظل الرجل لمدة طويلة من الزمن سيد المجال الخارجي اين يقضي جل اوقاته في دائرة الانتاج لتأمين الرزق لافراد عائلته من بينهم زوجته، بينما ظلت المرأة مهتمة بالمجال الداخلي وذلك بتحويل المواد الانتاجية من اجل استهلاك افراد العائلة. وبقي المنزل بالنسبة للمرأة مجالا للانسال والاستنساخ الثقافي وذلك بتلقين ابنائها التربية والعادات الاجتماعية والتقاليد السائدة داخل المجتمع. (1)

وفي هذا السياق ان مكانة الأم تقدر بعدد اطفالها خاصة اذا كانوا ذكورا وذلك لما تقتضيه عمل الارض والزراعة من ايدي عاملة وقوة منتجة فغالبا ما كان يستقبل المولود الذكر بالزغاريد والحفل اثر ولادته ، وذلك على خلاف المولود الانثى التي تنشر الذعر والاسف حين ولادتها. وانطلاقا من هذه اللحظة تبدأ سلسلة من التميزات والفوارق الاجتماعية بين الجنسين ، والتي تمجد الذكورة وترفع بها الى مكانة معينة داخل الوسط الاجتماعي. (2) يمكن تفسير تمجيد الذكورة بكون ولادة الذكر تتيح بقاء اسم العائلة وخلوده ، وضمان الارث داخل العائلة ، وايضا للمحافظة على النسب العائلي المبني على النسل الذكري ، حيث ان الابناء ينتسبون الى اسم عائلة الأب.

وغالبا ما كان يفضل النسب بين ابناء العم اي الزواج الداخلي ( endoGame ) وذلك للمحافظة على تماسك وصلابة العائلة ولبقاء الارث في اطار عائلة الاب والأم على السواء ، وكان الزواج الداخلي ذا طابع الزامي اثناء الجاهلية. (3) وفي سياق الحديث لقد كانت ظاهرة تعدد الزوجات تسعى الى تكوين اكبر عدد من الايدي العاملة لتنمية الغلة واتساع الاملاك ، وفي هذا المنظور لم يصبح للمرأة العاقر اية مكانة اجتماعية. (4)

ان تقسيم العمل بين الجنسين ادى الى تقسيم المجال بينهما وهذا ادى الى عزل المرأة عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية ، وعلى هذا الأساس نجد ان مفهوم الحجاب طبق على اساس الفصل بين الرجل والمرأة وبابعاد هذه الاخيرة عن الركب الحضري.

---

(1) حليم بركات ، المجتمع العربي المعاصر ، بيروت ، مركز الدراسات الوحدة العربية ، ط 3 ، 1986 ، ص ص 171 - 173.

(2) نفس المرجع ، ص. 190.

(3) زهير حطب ، تطور بنى الاسرة العربية : الجذور التاريخية والاجتماعية لقضاياها المعاصرة ، بيروت ، معهد الانتماء العربي ، ط1 ، 1979 ، ص 19.

(4) نفس المرجع ، ص. 129.

ففي الواقع ان الاسلام أمر بالحجاب بمعنى السترة ، ونهى عن الخلوة بالنساء كما جاء في قول سبحانه وتعالى : (( قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ، ذلك ازكى لهم ان الله خبيرا بما يصنعون وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين الا ما ظهر وليضربن بخمارهن على جيوبهن ولايبدين زينتهن الا لبعولتهن او ابنائهن أو آباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن واخواتهن او بني اخواتهن أو نسائهن او ما ملكت ايمانهن او التابعين غير اولى الاربة من الرجال او الطفل الذين يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ... ))。 (1)

غير ان الاسلام لم يمنع المرأة من الخروج الى مجالس العلم والمساجد والقيام بالاعمال الخيرية المفيدة ، وقد جاء في الحديث الصحيح عن الرسول صلى الله عليه وسلم : ((طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ))。

فالاسلام يعترف بقدرات المرأة العقلية والذهنية في تلقي العلم والمشاركة في الحياة الاجتماعية ، ومما يبرز هذا المعنى خلود بعض النساء في التاريخ كخديجة بنت خويلد احدى زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم التي برعت في التجارة ، والتي كانت السبب في اخذ بيد الرسول في هذا المجال。

غير انه كلما ابتعد المسلمون عن عصر النبوة ظهرت هناك عدة تطبيقات وتفسيرات لبعض التقاليد الدينية وذلك بسبب تفشي الجهل والامية على نطاق واسع حتى استحال للمرء الجاهل التمييز بين الخلوة والاختلاط وبين خروج المرأة من منزلها والتسكع في الشوارع。

---

(1) سورة (النور) ، الآيتان : (30 - 31)。

ان التستر وراء الدين ليس الا تبريرا لبعض المواقف و الاراء المتحجرة التي اساسها هو ممارسة بعض التقاليد الاجتماعية التي كانت موجودة قبل ظهور الاسلام .(1)

غير ان مع التشكيلة الاجتماعية و الاقتصادية في المجتمعات الاسلامية ومنها العربية على وجه الخصوص تطورت وضعية العائلة تبعا لمراحل التغير الاقتصادي و الاجتماعي على حد السواء.

2 . التغيرات الاجتماعية الطارئة على العائلة العربية الاسلامية :

هناك عدة تغيرات اجتماعية و اقتصادية ظهرت عبر الحقبة التاريخية ابتداء من ازالة النظام الاقتصادي الى غاية انتشار ظاهرة التحضر و التصنع ، لقد تعرضت وحدة العائلة الاجتماعية و الاقتصادية لبعض التغيرات نتيجة لتوسع نظام الخدمات و سيطرة الدولة على مختلف مرافق الحياة ، و اتساع نطاق الوظائف البيروقراطية ، و تقلص معظم وظائف العائلة التقليدية و حلت محلها عدة مؤسسات انتاجية و تربوية التي تقوم بهذه المهام و فتح العمل المأجور عدة مجالات لتوظيف اعضاء العائلة و بذلك اصبحوا يتقضون رواتب مقابل العمل الذي يقدمونه . (2)

و بارتفاع المستوى المعيشي و ازدياد متطلبات الفرد في الحياة الحضرية و تطور نمط الاستهلاك يستدعي عدد من المداخيل ، و تحت هذه الضغوط الاقتصادية اضطرت مجموعة من النساء الدخول الى سوق العمل المأجور وذلك من اجل المساهمة باجرها في ميزانية الاسرة .

---

(1) زهير حطب ، المرجع السابق ، ص ص 191 - 194 .

(2) حليم بركات ، المرجع السابق ، (المرأة و دورها في الوحدة العربية ) ص178 .

وفي هذا الصدد يمكن الاشارة الى ان خروج المرأة للعمل المأجور لم يكن في نفس المستوى في كل المجتمعات العربية الاسلامية ، ولكن من جهة اخرى وبالرغم من الاختلافات الموجودة في النسب المئوية ، فيبقى عمل المرأة المأجور ضعيفا ويتمحور حول بعض الوظائف كالتدريس وقطاع الخدمات والادارة العامة والصحة .

غير ان ما يستدعي النظر فعلا في كثير من المجتمعات العربية : هو ان نسبة لا يستهان بها من النساء العاملات في القطاع الزراعي (66،1٪) في العراق (65،9٪) في الاردن (92،2٪) في الصومال (37،5٪) في السودان (87،2٪) في الجمهورية العربية اليمنية (1) . والواقع فان العمل النسوي في الزراعة يعتبر امتدادا للاعمال المنزلية ويؤخذ كنشاط للدخل دون أجور ، فان النساء العاملات في هذا القطاع غالبا ما يحذفن من احصائيات القوى العاملة مما يقلل من معدلات اشتراك النساء في سوق العمل .

ويأتي قطاع الخدمات في المرتبة الثانية لمجموع الاقطار العربية بالنسبة للنشاط الاقتصادي للنساء العربيات حوالي (75٪) من اجمالي النساء العاملات في البحرين مثلا يشتغلن في قطاع الخدمات . بينما نرى في قطاع التصنيع وقطاع البناء والتشييد وقطاع الكهرباء والغاز نسبا منخفضة جدا لاشتراك المرأة في القوى العاملة لهذه القطاعات على سبيل المثال فقط (10٪) من النساء العاملات في مصر ، (6،3٪) في الاردن و (10،3٪) في العراق ، (1،4٪) في الكويت (2) .

---

(1) حنى عزام ،المرأة العربية والعمل : مشاركة المرأة العربية في القوى العاملة ودورها في عملية التنمية ، in المرجع السابق ذكره ، المرأة ودورها في حركة الوحدة العربية ، ص. 267 .

(2) نفس المرجع ، ص. 267 .

بشكل عام تبقى نسبة اشتراك المرأة في القطاعات الاقتصادية المنتجة تأخذ نسبا متناقصة جدا اذا ما قورنت بنسبة اشتراك الرجال . واستنتاجا لما سبق ذكره فانه يمكن القول على الرغم من تعرض النظام الابوي لبعض التغيرات والتحولات الاقتصادية والاجتماعية فتبقى هذه الاخيرة على المستوى الشكلي فقط ، حيث مازال يسود العائلة المعاصرة النموذج التقليدي وذلك بتمسكها لبعض التقاليد والقيم والمعايير الاجتماعية التي تعتبر كآخر شيء يزول في المجتمع ، حيث مازال الرجل حارس على السلطة داخل الاسرة وخارجها وذلك استنادا الى قوانين الاحوال الشخصية في المجتمعات العربية التي تدعم هذه الاختلافات . وحتى لا نخوض في تفاصيل هذه الفكرة سيتم معالجتها ضمن دراسة للعائلة الجزائرية بحكم انتمائها الى المجتمعات العربية الاسلامية .

المبحث الثالث : العائلة الجزائرية التقليدية :

ان ادراج العائلة الجزائرية التقليدية ضمن النموذج العائلي العربي الاسلامي بمعنى انها تمثل النموذج العائلي العمودي الابوي اي انها تحوي على اكثر من ثلاثة اجيال الاجداد / الاباء / الاحفاد الذين يسكنون مع بعض تحت سقف واحد مهما ارتفع عددهم وذلك بحكم انتمائهم الى نفس العايلة مثلما يطلق عليها في الجزائره وتكون سلطة رئيس العائلة الذي هو الجد في غالب الاحيان قوية جدا ،اذ يمثل مركز النفوذ والقوة داخل عائلته ، ويحظى باحترام وهيبة لا مثل لهما ، يملي أوامره وارشاداته دون ان يتوقع من افراد عائلته نصائح وارشادات مادام هو المسؤول والمعيل ، الذي اكتسب معرفة تفوق معرفة بقية افراد العائلة بحكم سنه وكفاحه في معترك الحياة خارج المنزل .

وهذه السلطة القوية لرئيس العائلة هي التي تسمح بتماسك الاخوة فيما بينهم ، بحيث انهم يتعاونون مع بعض في وحدة الانتاج ، وفي امور اخرى متنوعة . غير ان هذا التماسك القوي بين الاخوة لا يترك اي اعتبار للنساء خاصة اذا ذكرنا بان القرابة تكون على الخط الابوي ، واما الارث فانه يبقى بين الاخوة الذكور علما بان الزواج يكون داخلي اي بين ابناء العم وذلك حرصا على املاك العائلة التي تبقى تورث من جيل الى جيل . (1)

ان اهم شيء يذكر في هذا التماسك العائلي هو انه يسمح للعائلة ان تؤدي عدة وظائف : الايديولوجية منها والاقتصادية والتربوية . ان العائلة التقليدية كانت تحكم بما يسمى العرف ، وليس بالقوانين كما هو الشأن حاليا وذلك في عدة مجالات حياتية كالزواج ، الطلاق ،أم في امور اخرى كحل النزاعات والخلافات التي تقع بين عائلتين على سبيل المثال ، او حتى بين الافراد انفسهم .

---

(1) BORRMANS Maurice, statut personnel au Maghreb de 1940 à nos jours, Paris, Mouton, 1977, P.614.

ولقد كان لشيوخ القبيلة دور كبير في هذا المجال فانهم كانوا مثالا للرزانة والحكمة وذلك بفضل سنهم وخبرتهم في الحياة الاجتماعية .

أما فيما يخص وظيفة العائلة الاقتصادية فانها كانت تمثل وحدة منتجة ومستهلكة في آن واحد ، فهي مكتفية ذاتيا حيث تقوم باستهلاك كل ما تنتجه بنفسها ، كما كانت تخزن وتعيد انتاج كل استثماراتها الخاصة . غير ان هذا لا ينفي القول بان كان هناك نوع من التعاون والتجمع بين العائلات في العمل ، وهذا ما يسمى بالتويزة . (1)

واما عن الفائض الانتاجي فكان يوجه الى المناطق الاخرى ، حتى الى خارج البلاد وفي هذا الصدد يذكر بان الجزائر كانت من اكبر الدول المصدرة للقمح قبل دخول الاستعمار الفرنسي . (2)

ولقد كان هناك ومازال لحد الآن في القرى الجزائرية ما يسمى بالسوق الاسبوعية طوال السنة والتي تعتبر نقطة تجمع لمختلف تجار المناطق المجاورة من اجل التبادل العيني للسلع . وأهم ميزة يتميز بها هذا السوق هو انه رجالي : البائعين فيه والمشترين كلهم رجال ، بينما يلاحظ غياب كلي للنساء . (3)

غير ان التقسيم العملي والمجالي يمكن ادراجه ضمن النسق الثقافي والاجتماعي السائد والذي يعمل على تهيئة كل من الرجل والمرأة منذ صغرهم على الادوار والمكانات الاجتماعية المهيئة لهم . فالعائلة كانت تلعب دورا تربويا حساسا في هذا المجال ، فكانت هي المدرسة الاولى لتهيئة الاجيال لممارساتهم المستقبلية ضمن القالب الاجتماعي التقليدي المسيطر .

---

(1) Mostefa BOUTEFNOUCHET, système Social et changement social en Algerie, ALGER, O.P.U, sans date, P.31.

(2) Ibid, P.37

(3) Ibid, P.66.

1 ، توزيع الادوار و المكانات الاجتماعية :

تقوم العائلة عن طريق التنشئة الاجتماعية بتهيئة الفرد منذ صغره للدور الذي سوف يقوم به على المستوى العائلي و الاجتماعي في البنية الثقافية السائدة .

فمنذ الطفولة الاولى يتكون عند الطفل نسق من الطبائع و العادات التي يكتسبها تدريجيا ، و من ثم تترسخ فيه عن طريق التربية و الخبرة التي تحدد جزءا كبيرا من سلوكاته و مواقفه الاجتماعية في الحاضر و المستقبل . (1)

ان افراد المجتمع لا يختارون ادوارهم و مكانتهم الاجتماعية ، بل هم يخضعون في ذلك الى العادات الاجتماعية و التقاليد الموضوعة من طرف المجتمع و التي تسيطر على حيز كبير من سلوكاتهم و مواقفهم الاجتماعية المختلفة . و لهذا لا يكتسب كلا من الرجل و المرأة ادوارهما الاجتماعية الا عند اكتمال شخصيتهما بالزواج اولا و بعد انجاب الاطفال ثانيا ، اذ يصبح الرجل أبا و المرأة أما .

أ ) الدور الاجتماعي للرجل داخل العائلة :

يكتسب الرجل دوره الاجتماعي تدريجيا في الوسط العائلي و ذلك منذ ان يكون طفلا صغيرا يخرج من عالم الامومة و ذلك بعد عملية الختان التي تعتبر الجسر الذي يحمله الى وسط الذكور . (2)

و منذ المرحلة العاشرة من عمره يبدأ بالخروج الى البيئة الخارجية كالسوق او المسجد و هذان الوسطان يمهدان له اكتساب قيم جديدة و يصبح عضوا كاملا يعمل الى جانب الأب و الذي يرثه فيما بعد .

---

(1) LACOSTE Du JARDIN Camille, des mères contre les femmes : Matriarcat et Patriarcat au Maghreb; Paris, ED/LA DECOUVERTE, 1985, P.61

(2) Souad KHODJA, Les Femmes Algeriennes et le développement in annuaire de l'Afrique du Nord, ED : du C.N.R.S 1979, P.125.

ويعتبر السوق بالنسبة له عالما جديدا يتميز بالصلابة والخشونة والذي يختلف تماما عن العالم الذي كان يحضنه وهو عالم البيت والام التي تغمره بكل حنانها . فهو يكتسب تدريجيا اسرار السوق وقواعده ، وكيفية التعامل مع الاشخاص واتخاذ المواقف الصارمة .

غير ان الابن لا يرث هذه السلطة التي يتمتع بها رجال العائلة ومن بينهم ابيه ، ولا يكتمل دوره الاجتماعي الا بعد زواجه : «اذ مادام الرجل عازب يبقى ناقص في الجزائر على وجه الخصوص ، بحيث يعتبر غير بالغ سن الرشد ، واما المرأة لا تأخذ دورها ومكانتها الاجتماعية الا بعد الولادة »(1) . ان الرجل لا يكتسب دوره ومكانته الاجتماعية في وسطه العائلي والاجتماعي الا بعد ان تكون له زوجة والاطفال ينفق عليهم ، يحميهم ، ويمارس عليهم سلطاته ايضا ، وعند ذلك تتكون لديه هيبة واحترام بين افراد عائلته وعشيرته بحيث يصبح أبا لفلان ( بمعنى انه يخلف اسما بعده ) .

ب) دور المرأة ومكانتها الاجتماعيين داخل العائلة :

ان مصير المرأة داخل العائلة التقليدية متعلق بالدور البيولوجي الحساس الذي سيكسب انوثتها ويعيد لها اعتبارها بحيث «ان مجد المرأة يكمن في انجاب الاطفال »(2) ، كما يقول المثل القبائلي .

---

(1) **VON ALLEMEN** Jean Dominique (Malik), mariage et famille : l'évolution des structures familiales en Algerie, thèse 3ème. cycle, Paris, 1985, P.28

(2) LACOSTE-Du JARDIN camille, OP.Cit, P.83

ولهذا نجد ان الانجاب يحظى ببالغ الاهمية ليس من طرف الزوجة فحسب بل من طرف كل افراد العائلة الذين ينتظرون من المرأة أن تلد وذلك مباشرة بعد زواجها ، من اجل استمرار العائلة واتساعها . فالمرأة العاقر تطلق في غالب الاحيان لكي تعوض بامرأة اخرى لها القدرة على الانجاب ، فكلما زاد عدد أطفال هذه الاخيرة كلما تمكنت من الترسيخ داخل العائلة أكثر ، ولا تزعزع مكانتها بفضل ابنائها الذكور . (1)

ان نفوذ وسلطة العائلة التقليدية يدعم بعدد رجالها الذين يمثلون قوة انتاجية وايديولوجية في آن واحد . والعائلة التي لا تحوي على عدد كبير من الرجال تحتقر من طرف العائلات الاخرى .

ان اهمية المرأة داخل العائلة لا تتوقف عند الانجاب فحسب بل تتعداه الى دور آخر مكمل وهو الدور التربوي . ولهذا تعتبر الام حارسة القيم والتقاليد الاجتماعية وذلك بدورها الحساس المتمثل في الاستنساخ الثقافي .

وفي هذا المضمار أهم ما تقوم به الام هو الفصل والتمييز بين الذكور والاناث في تربيتهم الاولى ، أين تكون علاقتها وطيدة جدا بالذكر ، كما يحظى ببالغ الاهمية من طرفها مادام هو السبب في اعادة اعتبارها داخل العائلة.

بينما تكون علاقتها بابنتها محددة جدا في أوامر ونصائح قد تساعدها على الاندماج في العائلة التي تنتظرها بعد زواجها .

---

(1) Ibid, P.83

ولهذا تعتبر مسؤولية الام ونساء العائلة الأخريات كبيرة في السهر على تلقين البنت اصول التربية المبنية على الحشمة والوداعة والطاعة لكل اعضاء العائلة، وعلى عدم تجاوز الحاجز المتين الموجود بينها وبين الذكور وذلك للمحافظة على سمعة العائلة . الى جانب هذا تتدرب البنت منذ صغرها على الاعمال المنزلية الشاقة من غسيل وطبخ وغيرها من الاشغال وذلك للاستعداد لدورها الذي ينتظرها بعد انتقالها الى عائلة اخرى بعد زواجها ، اين تجد نفسها مجبرة على خدمة كل افراد العائلة خاصة الحماة (العجوزة) ، وتكون سيطرة وسلطة هذه الاخيرة اقوى من سيطرة الام حيث ان : « بيوت الناس متعبة وشاقة ، اذ لم تمت فانها تقتل ببطئ » .(1) كما يقول المثل القبائلي .

غير ان السلطة التي تتمتع بها الحماة (العجوزة) داخل العائلة الجزائرية لم تأت صدفة ولكن بعد المرور بمراحل عديدة من بنت وديعة الى (عجوزة) مسيطرة .

ج) المكانة الاجتماعية للحماة (العجوزة) داخل العائلة :

تعتبر مكانة الحماة (العجوزة) ارقى مكانة اجتماعية في السلم الترتيبي بين نساء العائلة الأخريات . ولقد اكتسبت هذه المكانة بفضل سنها لأنها في سن يؤمن عليه من جهة ومن جهة اخرى لانها تلعب دورا حساسا في الربط بين عائلتين (بالمصاهرة) . اذ انها تمنح الثقة الكاملة في كيفية اختيار زوجة ابنها ، ويلاحظ في هذا الصدد ان المولود الذكر يدعم مرتين مكانة أمه داخل الوسط العائلي : مرة عند ازدياده والمرة الثانية عند تزويجه .

---

(1) Ibid, P.63

وتعتبر هذه الاخيرة لحظة حاسمة في حياة المرأة بحيث تسمح لها بممارسة سلطتها و سيادتها في البيت على نساء الأخريات أقل سنا و خبرة و مكانة من بينهن الكنة (العروسة) ، فلا تقبل هذه الاخيرة على اي عمل منزلي الا باستشارة حماتها التي تدبر و تراقب كل اعمالها .

وتستمر الكنة (العروسة) على هذه الوضعية حتى يأتي دورها تدريجيا اين تصبح كذلك (عجوزة) و هكذا .... دواليك تسير الامور على شكل حلقة .

وفي هذا السياق سيتم التطرق الى نقطة اخرى مكملة و هي نوعية و مشاركة المرأة في الاقتصاد العائلي .

2 . طبيعة العمل النسوي ضمن الاقتصاد العائلي :

في اطار التنظيم الاقتصادي العام للعائلة الجزائرية لقد اختص كلا من الرجل و المرأة باعمال معينة و مختلفة حسب الاختلاف الجغرافي لكل منطقة.فبالنسبة للرجال نجد هم يشتغلون بالفلاحة في المناطق الريفية ، بينما يختص أهل المدن بالنشاط الحرفي أو التجاري .

و اما العمل النسوي فان المرأة الريفية تقوم باعمال تختلف تماما عن اعمال المرأة البدوية او الحضرية .

ففي بعض النواحي من منطقة القبائل كانت المرأة تقوم ببعض الاعمال خارج المنزل كجلب الماء من الينابيع و تحتطب لشعل الموقد الذي كان يستعمل للطبخ و التدفئة في آن واحد . وكانت تخرج النساء جماعات لتقوم بعطية (التويزة) في اطار التعاون و المساعدة بين النساء .

اضافة الى هذا كانت تقوم باعمال آخرى كالحياكة و النسيج و صناعة الفخار، فكل الاواني المنزلية كانت تصنع من طرف النساء . و اما بالنسبة لصناعة الزرابي فلم تكن من اختصاص المرأة القبائلية ، بل نجدها من اختصاص المرأة في الاوراس و الصحراء و للتذكير هنا يمكن الاشارة الى ان هذه الصناعة اليدوية (الزرابي ، الحياكة ) كانت تتطلب نوع معين من تقسيم العمل بين النساء ، فنجد في المقام الاول المسنات ذات الخبرة ، ثم تأتي نساء العائلة الاخريات كمساعدات فقط.

اما نساء المدن الحضرية كالجزائر العاصمة ، او تلمسان فانها تختص بنوع آخر من الصناعة اليدوية : كالخياطة ، و الطرز بانواعه و الذي يتطلب ايضا نوعا من الدقة و الاتقان ، و حتى التعاون بين النساء كعند تحضير ما يسمى (بجهاز العروسة ) ( و هو مجموعة من الالبسة المتنوعة المخصصة للعروس يوم زفافها ) .

الى جانب كل هذه الصناعات التقليدية المختلفة التي كانت تساهم بها المرأة في الانتاج العائلي عبر مختلف مناطق البلاد ، فانها كانت تؤدي دور اقتصادي آخر فعال الا و هو تخزين و تحويل المواد الغذائية .

و تتفنن النساء عموما في تسمية تخزين المواد الغذائية (بالعولة ) و ان كانت تختلف في كيفية التحضير ، التقنيات و الادوات المستعملة و المواد الغذائية المخزونة حسب كل منطقة .

و العولة : هي تأمين غذائي لمدة سنة ، فهي تمثل نظام غذائي اقتصادي لقهر الظروف المناخية القاسية ، الازمات المختلفة التي تتعرض لها العائلة (كالسنوات الغير المنتجة مثلا ) .

ففي مناطقة القبائل مثلا تقوم النساء بتخزين و تحويل بعض المواد الموجودة في المنطقة : كالقمح ، التين ، الزيتون .... فبالنسبة لمادة القمح تقوم بتخزينها داخل قلات ضخمة مصنوعة من الطين الخام ايكوفن ( IKouffans ) ومنها تستخرج كميات معينة لطحنها و من ثم تحويلها الى كسكس يجمع في اكياس تستعمل في الضرورة . (1)

ويتم هذا التحضير في اطار تجمع نسوي اشبه بالعرس او العيد بمعنى انها تخضع الى طقوس معينة تفرضها العادات و التقاليد ، و ذلك بادراج بعض الانشطة الثقافية كالطبخ المتميز ، و الغناء ... الخ (2).

من هنا يمكن الاستنتاج ان مشاركة المرأة ضمن الاقتصاد العائلي هامة جدا و ان كان ذلك لا يدخل في اطار العمل المأجور . ان وجودها داخل العائلة ضروري و اساسي كما نستلخصه من خلال هذا المثل : « المنزل بدون امرأة كالبحر بدون سمك». (3)

ذلك هو باختصار العمل النسوي الذي يتم في مختلف المناطق داخل المنزل و كيف تكون علاقتهن بالمجال الخارجي ؟

---

(1) نورا أبو عزيز وليندا مساسي ، العولة بين التصور و الممارسة ، مذكرة ليسانس في علم الاجتماع ، جامعة الجزائر ، 1988 ، ص 6 .

(2) نفس المرجع ، ص 10 .

(3) LACOSTE-DUJARDIN camille, OP.Cit, P.81.

ج ۰ علاقـــة النساء بالمجال الخارجي :

ان تقسيـم العمل بين الجنسين داخل العائلة الجزائرية ادى بطبيعة الحال الى تقسيم المجال بينهما : مجال خارجي خاص بالرجال اين يقضون جل اوقاتهم منهمكين فـي الاعمال الخارجية الخاصة بهـم و مجال داخلي خاص بالنساء ۰ وفي هـذا الاطـــار يبقى كل من الجنسين يحترم المجال الخاص به ، بحيث لا يغامر اي واحد منهمـــا ان يجتاز المجال الاخر بدون اي مناسبة او ظرف معيـن ۰

فالرجل لا يجتمع بنساء العائلة ولا يحادثهن حتى عند تناول الطعام فكل واحد يأكـل على حداه ۰ ونفس الشيء بالنسبة للمرأة التي تتجنب هي الاخرى اي نوع من المعاشرة والاختلاط ، فهي حاذرة في كل تصرفاتها ۰ (1)

وحتى الهندسة المعمارية للمنازل مهيئة خصيصا لهذا الفصل فالاماكن المخصصـة لرجال العائلة او الضيوف تكون منفصلة عن الاماكن المحجوزة للنساء كالمطبخ ، او الساحة الداخليـة ۰ (2)

وفي غالب الاحيان لا يدخل الرجل الى المنزل الا عند الضرورة الملحة كأوقات الأكـل والنوم وتبقى المرأة طول الفترة في عالمهـا الداخلي الذي هو البيت ۰

فانها لا تنتقل الى المجال الخارجي الا في مناسبات معينة كالاعراس ، أو ازدياد مولـود وعند زيارة المريض ، او الموت ، زيارة المقابر ، أو الذهاب الى الحمام بالنسبـة للوسـط الحضري ۰

هـذا مع الاشارة ان النساء لا تجتاز الشارع الا وهي محتجبة اي توضع فوقها غطاء يطلق عليه في الجزائر العاصمة (الحايك) بينما المرأة الريفية لا تضع اي نوع من الغطاء فـوق جسمها الا عند تنقلها الى المدينة كميزة من ميزات التمدن ، ونستثني النساء المرابطات (*) المحتجبـات ۰ (3)

(1) DESCLOITRES Rober et DEBZI Laid, système de parenté et structure familiale en Algerie in Annuaire de l'afrique du Nord, Paris, ED/CNRS, 1963, PP 41 à 43.

(2) Souad KHODJA, Les Algeriennes du quotidien, Alger, ENAL, 1985, P.22.

(3) LACOSTE-DUJARDIN camille, OP.Cit, P.71.

(*) للمرابطين تاريخ في الجزائر ولكن المهم هنا هو إزالة الستار عن سبب هذا التمييز والاختلاف الموجود بين المرابطات والنساء الأخريات ، لاعتبار هن نساء الأسياد وبالتالي سيدات . ولهذا تحتجب وحتى بالنسبة للعمل خارج المنزل فإنهن لا يعملن كنساء القبائل ، وكل شيء يصلهن إلى غاية البيت .

و المدلول الاجتماعي (اللحاف) او الحجاب يختلف حسب المناطق ، من حيث نوعية القماش و طريقة خياطته ، ولونه وحتى تسميته ،فيعتبر مرآة لثقافة المنطقة بحيث اننا نعرف مباشرة اصل المرأة الجغرافي من نوعية الحجاب الذي ترتديه . فالمرأة القسنطينية تلبس ما يعرف باسم (الملاية) و هو لباس اسود عريض يغطي كل جسم المرأة ، بينما تلبس المرأة في الجزائر العاصمة كما ذكر سابقا ما يعرف بالحايك و هو غطاء ابيض تضعه فوق جسمها كلما خرجت الى المجال الخارجي ، و هو حريري و يطرز في اسفله ، كما يختلف هو الاخر من حيث النوعية حسب المستوى المادي للعائلة و الفئة الاجتماعية التي تنتمي اليها المرأة . فالمرأة المتوسطة الحال تلبس من النوع العادي ، و اما الغنية نوعا ما تلبس ما يسمى بالحايك المرمة : و هو من النوع الرفيع من حيث القماش و الطرز و يميل الى اللون الاصفر اللامع.

غير انه مهما اختلفت النوعية ،فان الهدف من لباسه واحد و الذي يتمثل في الحماية من المجال الخارجي ، لكي تتمكن المرأة من عبور الطريق و هي مطمئنة ، حيث انها لا تجلب انظار الاخرين (اي الرجال) . (1)

---

(1) Nadia CHELLIG, l'espace sexualisé en Algerie et l'ambiguité du voile feminin in actes du colloque National : Femme, feminisme et recherche, Toulouse, 1982, P.462.

## استنتـــــاج :

ان اهم ما يمكن استخلاصه من خلال التحليلات السابقة ، هو ان العائلة الجزائرية التقليدية الابوية كانت تمثل وحدة انتاجية و استهلاكية متماسكة ، هذا التماسك الذي يسمح لها بتأدية عدة ادوار أخرى منها الاديولوجية و التربوية ... الـــخ .

ان توزيع الادوار و المكانات الاجتماعية للافراد يمكن ادراجها ضمن النسق العائلي التقافيى و الاجتماعى السائد ، بحيث كانت العائلة الجزائرية المدرسة الاولى لتهيئة الافراد او بالاحرى الاجيال اجتماعيا فكلا من الرجل و المرأة استلما تدريجيا ادوارهما الاجتماعية المهيئة لهما منذ الصغر .

وفي هذا الاطار لقد كان للرجل الدور الاساسي في العمل الانتاجي الذي كان يتم في معظمه في المجال الخارجي ، بينما اهتمت المرأة بادوار اخرى منها المنزلية و التربوية خاصة ، حيث انها كانت تمثل الركيزة الاساسية داخل العائلة في المحافظة على القيم والمعايير الاجتماعية السائدة .

غير انه مع توسيع نظام الخدمات و سيطرة الدولة على مختلف مرافق الحياة تقلصت معظم وظائف العائلة التقليدية ، بحيث حلت محلها عدة مؤسسات انتاجية و تربوية أخرى ، و التي اصبح فيها معظم افراد العائلة موظفين ، و عاملين باجرة .

وفي اطار هذا الوضع الاقتصادي و الاجتماعي الجديدين الذين تأثرت بهما العائلة نحاول معرفة الادوار و المكانات الاجتماعية الجديدة للافراد ، و نركز في ذلك على مدى مساهمة المرأة في البناء الاقتصادي و الاجتماعي عموما .

مـــدخـــل

ان التغيرات الاقتصاديــة ، الاجتماعيــة و الثقافيــة و السياسية التي عرفهـا المجتمع الجزائري منـذ الاحتلال الفرنسي الى ما بعـد الاستقلال كان له تأثير مباشر على العائلـة . حيـث فقد نظام العائلي الاصلي كوحدة منتجة و مستهلكة و ذلك اثر التشتيت الذي عرفـه منـذ مصادرة الاراضي الخصبة من طرف المستعمر و هدم النمط الانتاج التقليدي حيـث انجـر عن هذا الوضـع تفشي البطالة ، وتضخم المدن بسبب تعدد وظائفهـا . فمعظم الافراد اضطروا الى البحث عن العمل في المناطق التي توجد بهـا مزارع المعمريـن ، وكذا الهجرة الى المدن و العمل في المصانـع ، أو حتى الى خارج الوطن من اجـل التكفل باعباء عائلتهـم .

هـذا التحول في نظام العائلة ادى هو الاخر الى تقليص عـدد افراد العائلة و انفصـال اعضائهـا من الابناء عنهـا و عن سلطتهـا كما انجـه تقلص بارز في معظم وظائفهـا : التربويـة ، الاقتصاديـة ، الثقافيـة ، وحلت محلهـا عدة مؤسسات أخرى مختصة كالمدرسة المصنع ، السوق ... الخ . واصبحت العائلة نفسهـا خاضعة لهذه المؤسسات فـي مختلف حاجياتهـا و استهلاكاتهـا اليومية ، و ذلك على اساس التداول النقدي الذي مصدره العمـل المأجـور .

و الواقـع فان التغير الذي طـرأ على مستوى البنية الاقتصاديـة للعائلـة لـم يكـن منفصـلا بطبيعـة الحال عن التغيرات التي تحدث على مستوى العلاقات الاجتماعيـة بين افراد هـا . اذ ساهمت الثورة التحريرية في بداية الامر في ازالة الحواجز الاجتماعية التي كانت موجـودة بين الافـراد عمـوما ، و بين الجنسين بصفة خاصة و يتضح ذلك من خلال مشاركـة المرأة في الحرب مهما كانت درجة مشاركتهـا ، فانه يمكـن اعتبار ذلك اعترافـا بقدراتها و ضـرورة وجـود هـا .

وقد اقتصر العمل النسوي في فترة الاستيطان الفرنسي على بعض النشاطات المنزلية اليومية عند المعمرين وذلك من اجل تلبية الحاجيات الاقتصادية للعائلة ، كما كانت النساء تقريبا أميات ، ورواتبهن ضعيفة جدا . (1)

وعلى هذا الاساس فان عمل المرأة كان من اجل الحاجة الماسة وليس لتحقيق الذات ، وذلك بسبب تفشي الامية والنظرة السيئة اتجاه العمل .

هذا وبالرغم من المجهودات الجبارة التي انتهجتها الدولة بعد الاستقلال في مختلف الميادين كالتصنيع ، والتدريس ، خلق مناصب شغل ... الخ ، فان العمل النسوي مازال ضعيفا ، وهذه الوضعية لا يمكن تفسيرها وتحليلها الا في اطار معرفة استمرارية النموذج العائلي التقليدي .

---

(1) زبيدة بن عويشة ، اثر عمل الزوجة الام في بناء الاسرة الجزائرية ، اطروحة ماجيستر في علم الاجتماع ، جامعة الجزائر ، 1986، ص ص:116 - الى 126 .

**المبحث الاول : الاسرة الجزائرية بين تحديدات التغير والاستمرار :**

استعملت الدراسة مفهوم الاسرة نظرا للتغير الذي طرأ في نظام العائلة الذي أدى الى تقلص عدد الافراد والوظائف ، وعلى هذا الاساس تم التركيز على هذا المصطلح ، رغم انها لم تنسلخ تماما عن النموذج العائلي التقليدي الجزائري .

ان كل ثقافة تحمل في طياتها نموذج عائلي خاص ، وعلى اساس هذه الفكرة يستحسن التمييز فعند دراسة النموذج العائلي في المغرب العربي عامة والمجتمع الجزائري خاصة يجب الاخذ بعين الاعتبار كل الصيرورات التاريخية والتغيرات الداخلية والخارجية التى عاشتها العائلة .

ان عدد من المفكرين ذوي الفكرة التطورية والتجريدية يرون بان العائلة التقليدية لاسباب خاصة كاندلاع حرب التحرير الوطني ، التطور الاقتصادي تمزقت وهي حتما تسير نحو التفتت وذلك ككل مجتمع حديث (1) .

غير ان هذه الفكرة التطورية تأخذ اطارها المرجعي المجتمعات الأوروبية التي عرفت في وقت معين النموذج العائلي التقليدي (Groupe Domistique) الذي ارتكز على الاقتصاد الريفي ، ولكن مع التطور التكنولوجي الذي عرفته أوروبا اضمحل هذا النموذج ليحل محله نموذج الاسرة النواة المتكونة من الزوجين وعدد محدد من الاطفال لا يتعدى ثلاثة في غالب الاحيان ، كما يتميز اعضاؤها بدرجة عالية من الفردية والتحرر .

غير ان ما يمكن قوله في هذا الصدد انه بالرغم من التحول الذي طرأ في الحياة الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع الجزائري فمن درجة الفردية والتحرر لم تصل الى نفس الوضعية التي وصلت اليها المجتمعات الأوروبية ، وذلك لعدة اسباب واضحة منها اختلاف الثقافة (العادات والتقاليد الاجتماعية ، القيم ....) بالاضافة الى درجة الرقي والتقدم التكنولوجي .

---

(1) CHAULET (Claudine); La tèrre les frères et l'argent : strategie familiale et production agricole depuis 1962, Alger, O.P.U, 1987, Tome.I, P.229.

وعلى الرغم من التغير القاعدة الاقتصادية والتحضر اللذان أديا الى تغيير النموذج السكني المميز بنمطه العصري وصغر حجمه والذي يستلزم عدد ضئيل من الافراد (أي نموذج الاسرة الزواجية) الا انه مازال يستقطب الاسرة الممتدة ، وهذا دليل على استمرارية النموذج العائلي التقليدي . (1)

هذا وتبقى الاسرة تتميز بدور الانجاب وكثرة الاطفال مما يشكل ضغطا في المدن ونتج عنه ما يسمى (بأزمة السكن) .

غير ان استمرارية النموذج العائلي التقليدي لا ينحصر على المستوى الشكلي فحسب بل على مستوى العلاقات الاجتماعية بين الافراد كالتعاون العائلي في عدة مجالات من الحياة اليومية ،كالاجراءات الادارية او اجراءات اخرى كالتسهيل في ادخال مريض الى المستشفى ... الخ . الى جانب هذا يتجلى مدى روابط العلاقات العائلية كزيارة المريض مثلا ، أو اجبارية حضور كل اعضاء العائلة في مراسيم الدفن حتى وان اقتضى الامر ان يكون السفر طويلا وباهض الثمن . (2)

وفي السياق هذه الفكرة تحاول الدراسة تبيان مدى العلاقة الموجودة بين التغيرات التي تحدث على المستوى الكلي التحليل السوسيولوجي الشامل ( Macrosociologique ) والتغيرات التي تحدث على المستوى التحليل السوسيولوجي الجزئي ( Microsociologique ) ونعني بهذا الاخير الاسرة .

---

(1) Ibid, P.229

(2) Ibid, P.231.

1 ـ تأثير التصنيع على حياة الاسرة الجزائرية :

ان سياسة التصنيع التي اتبعتها الجزائر منذ الاستقلال قد ترتب عنها عدة تغيرات اجتماعية من بينها تدعيم النزوح الريفي ولقد كان ذلك تدريجيا ، ففي المرحلة الاولى : ظهرت عملية النزوح على مستوى فئة الرجال بانفراد عن اسرهم (*) حيث هاجروا اراضيهم التي كانت المصدر الاساسي لمعيشتهم ، ولجؤوا الى المدن بحثا عن العمل في المصانع التي كانت مراكز استقطاب نظرا للامتيازات والمزايا الاجتماعية التي كانت تقدمها للعمال : كالعطل السنوية ، المنح العائلية ، الزيادة في الرواتب الشهرية حسب الاقدمية ... الخ .

واما في المرحلة الثانية : تمثل امتداد للمرحلة الاولى تجسدت باكمالها لتستقر نهائيا في المدن بصورة دائمة . ولقد تأثرت هذه الاسر بالحياة الحضرية اذ تغير نمط مستواها المعيشي ،بحيث تكونت لديها احتياجات جديدة كوسائل النقل والترفيه والاعلام المختلفة من تلفزة وراديو ... الخ .

وبالنسبة لوسائل الاعلام الخاضعة للاديولوجية المستعملة من طرف الدولة والتي حاولت قدر الامكان التأثير في عقليات الافراد في انتهاج اسلوب حياتي معين .

غير ان الاسر بقيت حذرة محافظة في كيفية استهلاكها واستيعابها للبرامج المعروضة عليها وذلك حتى تنزلق عن نموذجها العائلي المحافظ الذي يحرص على تثبيت مبادئ الاحترام المتبادل بين الافراد حسب السن والجنس ، وتعتبر التلفزة أحسن مثال على ذلك .

---

(*) لقد اضطر الازواج الريفيين الهجرة الى المدن بمفردهم في بادئ الامر نظرا لصعوبة المعيشة ومشكلة ايجاد مسكن ، وهذا ما يسمى بالهجرة الفردية المؤقتة .

الى جانب هذا تستعمل الاسر عدة أدوات منزلية وكهرومنزلية كالثلاجة ،آلة الطبخ ... وغيرها من الادوات العصرية التي تسهل الاعمال المنزلية اليومية .

غير انه من جهة اخرى مهما وصلت درجة استهلاك هذه الادوات الحديثة فانها لم تقض على جميع الممارسات الانتاجية للمرأة ، فمازالت بعض النساء تمارس بعض النشاطات المنزلية القديمة كصناعة الملابس ، اعداد الوجبات الغذائية وكما تستعمل الطرق التقليدية في حفظ الخضر والفواكه وتعليبها ... وغيرها من التحضيرات المفضلة من طرف بعض الاسر عن المنتوجات المصنوعة من طرف المصنع . (1)

ومن آثار التصنيع والتحضر ايضا على الحياة الاسرية هو احداث نوع من التغير في كيفية توزيع الادوار والمكانات الاجتماعية بين الجنسين ، اذ يمكن ملاحظة نوع من مشاركة النساء في سوق العمل المأجور وان كانت نسبتهن ضئيلة جدا ، ومزاولة نسبة لا بأس بها من الاناث التعليم على جميع المستويات من الابتدائي الى الجامعي .

2 . هل يعتبر التعليم كعامل للتغير الوضعية الاجتماعية للمرأة ؟

في اطار سياسة الجزائر التنموية لقد منحت الدولة جزءا كبيرا من ميزانيتها لميدان التربية والتعليم ،انطلاقا من مبدأ ديمقراطية وتعميم التعليم وانشاء عدد هائل من المدارس والثانويات عبر التراب الوطني ، وهذه المؤسسات تمنح فرصا متساوية في التعليم بالنسبة للجنسين .

والجزائر اليوم تستقبل عددا هائلا من التلاميذ والطلبة على جميع المستويات اذ بلغ عدد المسجلين في 1987 ( 5.754.478 ) . (2)

/―――――――――――

(1) Souad KHODJA, Les Algeriennes du quotidien, **Alger** , ED/ENAL, 1985, P.61 .

(2) ANNUAIRE Statistique de l'Algerie, N° 13, **Alger** , ED/ONS, 1987, P.62 .

اى التدريس يعتبر ظاهرة جديدة بلورت نوعا ما نظام السلوك الذي كانت تسير عليه العائلة سابقا . فالفتاة اصبحت تخرج لوحدها لتقطع مسافات اذا ألزم الامر للالتحاق بمدرستها وكما انها تختلط بالذكور الذين يتقاسمون معها الشارع والقسم على حد السواء .

ونسبة البنات اللائي يزاولن دراستهن في الطور الاول والثاني من التعليم الاساسي سجل تقدما ملحوظا في هذه السنوات الاخيرة اذ بلغ العدد في سنة ( 84 - 85 ) :( 1.469.043 ) اناث من المجموع الكلي : ( 3.414.705 ) ، بينما وصل سنة ( 85 - 86 ) : ( 1.516.157 ) وذلك من المجموع الكلي ( 3.481.288 ) غير انه تطور الى ( 1.599.458 ) من المجموع الكلي : ( 3.635.332 ) بالنسبة لسنة ( 86 - 87 ) .(1)

غير اننا نلاحظ من خلال هذه الارقام انه رغم التقدم الملحوظ في عدد التلميذات الا ان عدد الذكور يتجاوزه كما يتبين من خلال هذا الجدول الذي اعتمدت عليه الدراسة في التحليل .

- جدول رقم (1) يبين عدد الذكور والاناث في التعليم حسب السنة :

| 1985 / 1984 | | | 1986 / 1985 | | |
|---|---|---|---|---|---|
| ذكور | اناث | المجموع | ذكور | اناث | المجموع |
| 1.045.662 | 1.469.043 | 3.141.705 | 1.678.531 | 1.516.157 | 3.481.288 |

| 1987 / 1986 | | |
|---|---|---|
| ذكور | اناث | المجموع |
| 2.035.874 | 1.599.458 | 3.635.332 |

في هذا الصدد يمكن طرح بعض الفرضيات ومنها عدم تقبل بعض الاباء فكرة مواصلة بناتهم الدراسة خاصة اذا وصلت سنا معينا ( 13 سنة ) اي مرحلة البلوغ . ويرجع ذلك لتخوفهم من ظاهرة الاختلاط من جهة ، ومن جهة اخرى لانهم يرون ان البنت في هذه المرحلة من العمر يستلزم الالتحاق بدورها الطبيعي كزوجة وأم اين تقوم بتربية الاطفال والقيام بالاشغال المنزلية .

(1) Ibid, P.69.

ففي منطقة غرداية مثلا المعروفة بحرصها الشديد للتقاليد و العادات الاجتماعية ، فالبنات بعد خروجهن مباشرة من التعليم الابتدائي يتزوجن ليصبحن أمهات غالبا تقليديات ، بحيث لا يمكن ان يحدث تغيير في عقلية البنت و رؤيتها للحياة الا اذا وصلت الى مستوى معين من التعليم على الاقل المرحلة الثانوية . (1)

و كما يمكن ان يرجع هذا التزايد في عدد الذكور عن الاناث الى عدم التوازن الجهوي من حيث توطين المدارس بعيدا عن اماكن الاقامة و هذا ما يرغم بعض الاباء الى عدم إرسال بناتهم للتعليم و خاصة اذا لم تتوفر وسائل النقل .

كما يظهر ذلك من الجدول التالي حيث تم التركيز فيه على بعض الولايات فقط ، لان الهدف منه هو اظهار الفرق بين المدن الحضرية و المناطق البعيدة .

(1) LACOSTE DUJARDIN, (Camille), Des Mères contre les femmes : Maternité et Patriarcat au maghreb, Paris ED/ LA DECOUVERTE, 1985, PP : 42 - 243.

جدول رقم (2) : يوضح توزيع التلاميذ الجزائريين في التعليم الاساسي .
(الطور الاول و الثاني) حسب الجنس و الولاية (1)

| رقم الولاية | 85 / 84 | | 86 / 85 | | 87 / 86 | |
|---|---|---|---|---|---|---|
| | ذكور | اناث | ذكور | اناث | ذكور | اناث |
| 01. أدرار | 14.079 | 7.321 | 15.087 | 8.512 | 15.519 | 9.406 |
| 03. لغواط | 34.814 | 22.131 | 16.174 | 12.042 | 17.535 | 13.251 |
| 11. تمنغست | 5.560 | 3.688 | 5.511 | 3.830 | 5.952 | 4.108 |
| 32. البيض | — | — | 10.815 | 7.658 | 11.441 | 8.248 |
| 33. اليزي | — | — | 1.367 | 897 | 1.512 | 1.061 |
| 16. الجزائر | 188.007 | 172.744 | 137.998 | 128.449 | 133.379 | 125.428 |
| 23. عنابة | 58.559 | 51.927 | 38.773 | 35.240 | 39.381 | 36.489 |
| 31. وهران | 80.435 | 72.299 | 79.613 | 72.124 | 81.037 | 73.702 |

من هذا الجدول يتضح ان التعليم التقني هو الآخر عرف تزايدا هاما في عدد الذكور عن الاناث و ذلك من خلال احصائيات 1986/1985 ، بحيث نجد ان عدد البنات وصل الى 20.027 فقط من المجموع الكلي (66.386) واما العدد الباقي فانه يتمثل في الذكور ، وكذلك بالنسبة لسنة (1987/1986) نجد ان عدد البنات بقي ضعيفا اذ وصل الى (30.329) من العدد الكلي (98.300) . (2)

و يرجع البعض هذا الضعف في عدد البنات في التعليم التقني الى استمرار تقسيم العمل بين الجنسين ، بحيث ان المجال التقني بقي مسيطر من طرف الرجال ، بينما ينحصر نشاط البنات في ميادين تربوية أخرى .

---

(1) ANNUAIRE Statistique de l'Algerie, OP.Cit, P.65

(2) Ibid, P.79.

الى جانب هذا يمكن الاشارة الى الصعوبات التي تتلقاها الفتيات عند متابعة الدراسة بحيث يجدن انفسهن ملزمات على القيام بالاعمال المنزلية بعد عودتهن مباشرة من المدرسة ، وهذا قد يؤثر على دراستهن في بعض الاحيان . غير ان ازدواجية الادوار عند الفتيات المتعلمات قد يؤدي بهن الى العيش في تناقض مستمر نتيجة للنزاع الموجود بين النموذجين الثقافيين السائدين في المجتمع الجزائري الحديث والتقليدي ، ويقصد بالنموذج الثقافي (الحديث) الطابع العصري ، ( الغربي ) ، و نظام ثقافي تقليدي غير مستمد من الثقافات الدخلية أي أصيل . (1)

غير انه مهما وصلت درجة هذه التناقضات فانه يمكن اعتبار التعليم كمؤشر هام للتغيير، بحيث انه يفتح المجال للمرأة في اكتساب مناصب شغل هامة داخل المجتمع.

3 . العمل النسوي المأجور وتأثيره في تغيير الوضعية الاجتماعية للمرأة :

لقد أدركت الدولة الجزائرية كغيرها من الدول التي تسير في طريق النمو ، انه لا يمكن الخروج من دائرة التخلف الا باستخدام الطاقة النسوية الهائلة للمساهمة في الانتاج الوطني . غير ان العمل النسوي المأجور لم يظهر الا في فترة ما بعد الاستقلال و اذ قبل هذه المرحلة كانت نسبة العاملات ضعيفة جدا . و بحكم الضرورة وانخفاض المستوى المعيشي الناتج عن اغتصاب الاراضي من طرف الاستعمار الفرنسي اضطرت بعض النساء ان تعمل عند المعمرين وتبيع قوة عملها مقابل اجر ضئيل . ويذكر (اندري نوشي) ( André NOUSHI. ) في هذا الصدد انه حتى الاطفال يزاولون نشاطهم الى جانب النساء كأجراء في المزارع وهذا منذ سنة ( 1957 ) ، وكانت اجرتهم ضئيلة جدا خاصة اذا قورنت باجرة الرجال . و من بين الاعمال التي كانت تقوم بها النساء يذكر (أ. نوشي) قطف العنب والاهتمام بزراعة البقول . (2)

والى جانب هذا هناك الاعمال التي كانت تقدمها النساء مجانيا باعتبارها نشاطات نسوية كالاعتناء بالدجاج يعتبر شأنا نسائيا ، تهتم المرأة بها

---

( 1 ) بمينة بن ثابت ، الطالبة الثانوية في وهران بين التقليد والحداثة! in المرأة الجزائرية ،ترجمة سليم قسطون ، بيروت ، دار الحداثة للطباعة و النشر 1983 ، ص.93 .

(2) Fatiha HAKIKI-TALAHITE, Travail domistique et Salariat feminin : Essai sur les femmes dans les rapports marchands cas de l'Algerie, thèse de Magister, Université d'Oran, 1983, P.198.

- وتحافظ على انتاجها ويمكنها بيعه لشراء حاجات شخصية صغيرة (1) . وكذلك الامر فيما يتعلق بالاعمال الحرفية مثل الطرز والحياكة التي كانت تورث وتتناقل من الام الى البنت ، اذ عرفت الجزائر تطور هذا النوع من الاعمال في بعض المدن الحضرية في الجزائر كتلمسان المعروفة بورشاتها في الحياكة والشهيرة في المغرب العربي منذ امد بعيد . (2)

الى جانب هذا يوجد ايضا الاعمال التي لا تدخل في اطار اعمال الاتحادات المهنية وهي الاعمال التي تجرى داخل المنزل وان كانت قليلة الذكر كصانعات الغزل أو الغزلات والتي تتحصل على مدخل . (3)

غير ان هذه الصناعة التقليدية قد نافستها الصناعة الحديثة وان لم تستطيع ان تقضي عليها ، ففي سنة (1903) عرفت الفترة الاستعمارية توطين لمعالجة الصوف ، وقد وضعت اكثر من مئة عاملة . (4)

بالاضافة الى ان العمل النسوي في صناعة النسيج قد شهد امتصاص لعدد هائل من النساء والتي اشتغلت من طرف الرأس المال الاجنبي حتى وهي تعمل في المنزل (Travail à Domicile. ) . (5)

ولقد وصل عدد النساء العاملات في صناعة النسيج عام (1930) الى (24331) من العدد الاجمالي للنساء العاملات الذي قدر ب (25201) ، بينما بقي عدد الرجال العاملين ضعيفا في هذا المجال اذ وصل الى (3557) وذلك من مجموع العدد الاجمالي الذي قدر ب (25900) عامل . (6)

ان العمل النسوي في المرحلة الاستعمارية كان نتيجة لظروف اقتصادية مزرية عاشتها العاملات ، ولهذا تمثلت الفئة العاملة خاصة في النساء المطلقات والارامل وايضا الفتيات الفقيرات . ان الحاجة الملحة قد تدفع بعض الاسر الى التنازل عن بعض عاداتها ومبادئها الاجتماعية السائدة التي ترى بان الرجل هو المسؤول الوحيد عن الانفاق .

---

(1) ليلى بفريش وكلودين شوليه ، العمل النسائي في الزراعة ، In المرأة الجزائرية ، المرجع السابق ، ص. 73 .

(2) Fatiha HAKIKI-TALAHITE, OP.Cit, P.195

(3) Ibid, P.195.

(4) Ibid, PP.200 - 201

(5) Ibid, P.201.

(6) Ibid, P.202.

واما عن العمل النسوي بعد الاستقلال نجده قد ارتقى نوعا ما في الفترات الاخيرة الى مستوى مرتفع نسبيا وذلك بواسطة بعض النساء العاملات اللواتي نالت مناصب عمل هامة بفضل مستواهن التعليمي العالي، وان كانت نسبتهن قليلة جدا، وذلك نتيجة لعدة تناقضات اجتماعية.

ان نسبة النساء العاملات عموما مازالت ضعيفة على رغم بعض التحسنات الطفيفة، ففي سنة (1977) لقد تم توظيف (138،234) عاملة وذلك بنسبة (6٪) من مجموع السكان المشتغلين، بينما انتقل هذا العدد الى (326،000) في سنة (1985) أي بزيادة قدرت ب (4،8٪). (1)

ان اغلبية النساء العاملات تتمركز في قطاع الخدمات الاجتماعية (كالادارة، التعليم، الصحة). ففي سنة (1985) سجل وجود (110،000) عاملة تشتغل في قطاع التعليم وحده وذلك بنسبة (1،36) مما يدل تأنيث هذا القطاع ويليه قطاع الصحة ب (48000) عاملة وبنسبة قدرت ب (9،44) في نفس السنة، ثم نجد في المرتبة الثالثة القطاع الاداري بنسبة (6،11٪).

بينما نجد (39،000) عاملة فقط في القطاع الزراعي وبنسبة ضعيفة جدا قدرت (7،3٪) وتليها نسبة اخرى اضعف منها تتمثل في النقل والمواصلات التي قدرت ب (1،3٪) فقط (2).

واهم ما يمكن استنتاجه من خلال هذه الارقام والنسب المئوية هو استمرار فكرة عدم تقبل عمل المرأة خارج البيت، الذي يعتبر بمثابة تنازل عن بعض القيم والمعايير الاجتماعية السائدة، ويكوّن ما يطلق عليه باللغة العامية (حشمة). (3)

ومن التحليل يتضح ايضا ان المكان الطبيعي للمرأة هو البيت اذ ان اغلبية العاملات يتحملن وحدهن اعباء الاعمال المنزلية كالطبخ، غسل الملابس... الخ، وهذا ما يؤكد ايضا ازدواجية الادوار عند هذه الفئة من النساء. بينما نجد ان الازواج يرفضون ويقاومون فكرة المشاركة في الاعمال المنزلية خاصة تلك التي تقلل من رجولتهم او مكانتهم الاجتماعية في الاسرة كما يعتقدون. ومن الملاحظ ايضا أنه حتى الزوجات يرفضن قيام أزواجهن بأي شيء من الاعمال المنزلية. (4)

---

(1) ANNUAIRE STATISTIQUE de l'Algerie, N°11, Alger,ED: O.N.S, 1986, P.1

(2) Ibid, P.1

(3) Souad KHODJA, OP.Cit, P.57.

(4) سناء الخولي، الاسرة والحياة العائلية، بيروت، دار النهضة العربية، 1984، ص 95.

و هذا ما يفسر تخصص اغلبية النساء في قطاعات معينة كالتعليم مثلا ، و هذا ما يمثل حسب تحليل الباحثة زينب عروج : «امتدادا للوظيفة الموكلة تقليديا للمرأة في الوسط العائلي من جهة ، ولأن هذه المهنة من مميزاتها افساح مجال للتوفيق بين الاعباء المهنية و العائلية بفضل ما ترتبه المؤسسة التربوية من (توزيع ساعات لربات العائلات) من جهة ثانية ، برامج خفيفة و توزيع ساعات مدروسة يجعل المعلمة متفرغة للعائلة في الاوقات التي يجب عليها فيها ان تستجيب لبعض المتطلبات وقت الطعام ، استقبال الاطفال ... الخ». (1)

بينما نجد ضآلة نسبة العاملات في المصانع اذ يعتبر هذا الاخير عمل للذكور ويستغرق (08) ساعات في اليوم. و هذا غير مسموح اجتماعيا للمرأة لأنه يتسبب في غيابها طوال النهار عن البيت. و نظرا لأهمية الدور التقليدي للمرأة نجد نسبة كبيرة من النساء (ملتزمات البيت) ، أي لا تتحصل على ايراد نقدي او عيني مقابل عملها. (2)

وصلت نسبة هذه النساء عام (1985) الى (43٪) من العدد الاجمالي للنساء في الجزائر ، و هذا ما يوضحه الجدول التالي :

---

(1) زينب عروج ، تمفصل الحياة المهنية و الحياة العائلية لدى المعلمة ، In: المرأة الجزائرية ، المرجع السابق ، ص 97.

(2) ANNUAIRE STATISTIQUE de l'Algerie, N°11, OP.Cit, P.1.

الجدول رقم (3) : يبين نسبة النساء الملتزمات البيت حسب الحالة العائلية . (1)

| ...بة المئوية | 1982 | | 1983 | | 1984 | | 1985 | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| ...لة العائلية | الوحدة % | | الوحدة % | | الوحدة % | | الوحدة % | |
| ...ـات | 29,71 | 1.365.858 | 25,54 | 1.275.932 | 23,8 | 1.65.581 | 25,7 | 1.206.842 |
| ...ـات | 62, 6 | 2.878.364 | 64,18 | 3.206.882 | 66,8 | 3.262.738 | 64,7 | 3.093.010 |
| ...ـل | 5,66 | 2.60. 231 | 8,57 | 428.346 | 7,4 | 360.708, | 7,0 | 331.901 |
| ...ـات | 1,71 | 78.475 | 1,37 | 68.247 | 1,6 | 80.109 | 1,9 | 91.437 |
| ...لات | 0,32 | 14. 810 | 0,34 | 17.001 | 0,3 | 16.987 | 0,5 | 22.491 |
| ...وع | 100% | 4.597.738 | 100% | 4.996.408 | 100% | 4.881.123 | 100% | 4.765.681 |

ان اهم ما يجلب انتباهنا عند تحليل الاحصائيات التي تطرق اليها الديوان الوطني للاحصائيات بين نسبة المتزوجات ، و نسبة الارامل و المطلقات و المنفصلات عن ازواجهن . بحيث ان اكبر نسبة في الجدول تتمثل عند النساء المتزوجات ب ( 9 ، 64٪ ) في سنة ( 1985 ) ، بينما نجد نسبة الارامل ب( 0 ، 7٪ ) ،تليها نسبة المطلقات ب ( 9 ، 1٪ ) ، ثم نسبة المنفصلات عن ازواجهن ب( 5 ، 0٪ ) .

ان هذا الجدول يؤكد لنا ايضا بان الرجل هو المسؤول عن الانفاق ، وان عمل المرأة يكون في غالب الاحيان حتمية اجتماعية فرضتها الظروف قهرية : كالطلاق ، الانفصال ... ولما يشبه ذلك .

غير اننا نتسأل اذا كانت هذه هي وضعية المرأة الاجتماعية ، فما هو دور التشريعات وقوانين الاحوال الشخصية في هذا المجال ؟

و هذا ما سنحاول معالجته في المبحث التالي .

---

(1) Ibid, P.1

المبحث الثاني : الوضعية الاجتماعية للمرأة ضمن قوانين الاحوال الشخصية :

تعكس قوانين الاحوال الشخصية طبيعة المجتمعات وأوضاع المرأة فيها ، ولذلك فعلى الرغم من دخول المرأة العربية ميادين التعليم والعمل ورغم ما تنص عليه الدساتير والخطب الرسمية من مساواة اجتماعية بين الجنسين ، فانها مازالت رهينة قوانين الاحوال الشخصية التي تتسم بالتمييز بين المرأة والرجل .

تختلف اوضاع المرأة من مجتمع الى آخر ،ففي المجتمع التونسي تعتبر مجلة الاحوال الشخصية في 13 . 08 . 1956 مكسبا ثوريا للمرأة ، وكما قامت وزارة العدل باعادة النظر في جميع التشريعات وعدلت قانون الاحوال الشخصية رقم 21 لسنة 1978 لتنظيم العلاقة بين الزوجين بالشكل حرم القانون بصورة قطعية تعدد الزوجات وفرض عقوبات جزائية على مرتكبيها تصل الى السجن لمدة عام وغرامة قدرها 240.000 د ج أو باحدى العقوبتين وذلك لقوله تعالى : « فان خفتم الا تعدلوا فواحدة ثم قوله ايضا : ( ولن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم » (*) ، ولهذا فسرت هذه الاية الكريمة منع تعدد الزوجات مادام الزوج غير قادر على العدل . (1)

اذا كان هذا بصفة عامة بالنسبة لبلدان العربية والمغربية كتونس والمغرب ، فما هو الوضع في الجزائر .

---

(1) فوزية العطية ، المرأة والتغير الاجتماعي في الوطن العربي ، بغداد ، معهد البحوث والدراسات العربية ، 1983 ، ص ص 77 - 79 .

(*) سورة النساء ، الآيتان : (3) و (129) .

1 . قوانيـن الاحوال الشخصيـة فـي الجـزائـر :

لقـد مـرت الاسرة الجـزائرية عبر التاريخ بمراحـل متميزة بخصائصهـا يمكن اجازهـا فيمـا يلـي :

المرحلـة الاولــى :

تمتـد من الفتح الاسلامي الى عام 1830 ( بداية العهـد الاستعمار الفرنســي ) .
لقـد اعتقلت شعوب المغرب العربي بصفة عامة منـذ الفتح الاسلامي مبادئ الشريعـة الاسلاميـة خصوصافيما يتعلق بالاحوال الشخصيـة .

المرحلـة الثانيـة : وتمتـد من 1830 - 1962 .

تميزت هـذه المرحلة بالتدخـل التدريجي للقانون والقضاء الفرنسي في مجال الاحـوال الشخصيـة ، ومن جملة التشريعات التي ظهـرت هـذه الفترة :

1 . قانون الحالة المدنية المؤرخ في 23.02.1882 .
2 . والمرسوم المؤرخ في 17 . 04 . 1889 المتعلق بتنظيم القضاء الاسلامي فـــي الجــزائــر .
3 . قانون 2 ماي 1930 الذي وضع الحـد الادنى لسن الزواج بـ 15 سنة للزوجيـن .
4 . القانون المؤرخ في 2 افريل 1930 المعدل لقانون الحالة المدنية والذي جعـــل التصريحات الخاصة بالولادة والوفاة والزواج والطلاق اجباريـة .
5 . المرسوم المؤرخ في 19 . 05 . 1931 المتعلق بفسخ الزواج .
6 . القانون رقم 57/778 المؤرخ في 11 . 07 . 1957 الذي عـدل قانون 2 ماي 1930 والذي اصبح بموجبه سن الزواج 18 سنة بالنسبة للرجل و 15 سنة بالنسبة للمـرأة .
7 . الامر رقم 51/274 المؤرخ في 4 . 2 . 1959 المتعلق بانقضاء الزواج وفسخـه والذي حـدد بموجبه الزاميـة رضـا الزوجين وكيفية اثبات الزواج ، وبمقتضى هـــذا القانون لم يعـد المهر شرطا جوهريا في العقـد خلافا لاحكام الشريعـة الاسلاميـة .

ولقـد جاءت احكـام القضـاء الفرنسي بصفـة عـامـة متنافيـة لمبـادئ الاســلام .

المرحلـة الثالثـــة :

وتمتد من الاستقلال الى يومنا هذا لقد استمر العمل بالتشريعات الفرنسية الغير المتناقضة مع السيادة الوطنية في مجال الاحوال الشخصية وخاصة الامر الصادر سنة 1959 ،

وابتداء من سنة 1963 ، صدرت جملة من النصوص التشريعية التي تحكم الاحوال الشخصية منها على سبيل المثال :

1 . القانون المؤرخ في 23 يونيو 1963 ،المتعلق بسن الزواج .
2 . الامر المؤرخ في 22 سبتمبر 1971 المتعلق باثبات بعض عقود الزواج .
3 . القانون المدني الصادر في 1973 الذي تضمن في مادته الاولى ،الفقرة الثانيـــة على انه في حالة عدم وجود نص يطبق القاضي مبادئ الشريعة الاسلاميـــــة .

وبالرغم من تقيد قضائها باحكام الشريعة الاسلامية في مجال الاحوال الشخصية فان الاحكام الصادرة في هذا الخصوص تتصف احيانا بالقصور وضعف التكيف واحيانا اخرى بالتنـاقـض رغم صورها بشأن قضايا مشابهـة . ومنذ 1975 بدأ التفكير الجدي في اعداد قانون يحكم الاسرة في بلادنا ، وقد تعزز هذا المجهود بصدور الميثاق الوطني ، وصدر قانون الاسرة الجزائري فيى الجريدة الرسمية سنـة 1984 . (1)

وبناءا على ما ورد في الميثاق الوطني ،والدستورأوصت اللجنة على ما يلي :
المصادر المعتمدة عليها : القرآن الكريم ،السنة النبوية ، الاجماع ، القياس، الاجتهاد الفقه على المذاهب الاربعة وعند غير الائمة الاربعة في بعض المسائل .

- قانون الاحوال الشخصية السوري ،
- قانون الاحوال الشخصية المصري ،
- مداونة الاحوال الشخصية المغربية ،
- مجلة الاحوال الشخصية التونسيـة ،

ولقـد عرفت الاسرة في هذا القانون كما يلي ، المادة الثانية : (الاسرة هي الخليـة الاساسيـة للمجتمع وتتكون من اشخاص تجمع بينهم صلة الزوجية وصلة القرابة ) .

---

(1) لقد اعتمدنا في اعطاء هذه المعلومات على التقرير التمهيدي لمشروع القانـــون المتعلق بالاسرة ، الجزء الاول 15/81 . PL ، الفقرة التشريعيـة لسنة 1984 بالمجلس الشعبي الوطني ، ص ص . 7 - 10 .

ثم المادة الرابعة : ((أن الزواج عقد يتم بين الرجل و امرأة على الوجه الشرعي من اهدافه : تكوين اسرة أساسها المودة و الرحمة و التعاون و احصان الزوجين و المحافظة على الانساب)).

المادة السابعة من هذا القانون تقول : ((تكتمل اهلية الرجل في الزواج بتمام (21) سنة و المرأة بتمام (18) سنة : يسمح بالزواج باكثر من زوجة واحدة في حدود الشريعة الاسلامية متى وجد المبرر الشرعي و توفرت شروط ونية العدل ويتم ذلك بعد علم كل من الزوجة السابقة و اللاحقة و لكل واحدة الحق في رفع دعوى قضائية ضد الزوج في حالة الغش و المطالبة بالتطليق في حالة عدم الرضا)). (1)

تستنتج الدراسة ان القانون الجزائري المتعلق بالاحوال الشخصية يطمح الى المحافظة على الاسرة و استمرارها عن طريق الزواج و الانجاب و المحافظة على علاقات القرابة و الانساب ، تلعب المرأة في هذا المجال الدور الاساسي .

2 . <u>المكانة الاجتماعية للمرأة في اطار قانون الاسرة</u> :

ان قانون الاسرة الجزائري يطمح الى تكوين أسرة متوازنة ، مصونة بالقيم الاخلاقية ويتجسد ذلك في المادة الرابعة حيث تشير الى المودة و الرحمة و التعاون و احصان الزوجين بالاضافة الى المادة الثالثة : الترابط ، التكافل ، التربية الحسنة ، حسن الخلق و نبذ الافات الاجتماعية .

و في هذا السياق نرى غياب تعريف او بالاحرى مفهوم الاسرة الجزائرية في حين يمكن استنتاج انه من خلال البنود ان نمط الاسرة الممتدة هو ، وعليه فان القيم التقافية و الاجتماعية مازالت سائدة ، و هذا يتماشى مع البنود التالية : (المحافظة على روابط القرابة و التعامل مع الوالدين و الاقربين بالحسن و المعروف) . (المادة 36 ، النقطة 3) ، وايضا في (المادة 30) من واجبات الزوجة نحو زوجها و اقاربه .

---

(1) نفس المرجع ، ص. 1 .

و الملاحظ ايضا ان قانون الاسر يقر تقسيم الادوار بين الجنسين و ذلك بوجود رئيس و مرؤوس في الاسرة ، فالزوج رئيس الاسرة ، تعود له كافة المسؤولية الاسرية ، و على المرأة ان تستجيب الى اوامره ،و( المادة 39 ) تشير الى ذلك ( من واجبات الزوجة طاعة الزوج و مراعاته باعتباره رئيس العائلة ) .

ان قانون الاسرة الجزائري يستمر في تشجيع نموذج العائلة التقليدية و ذلك ضمنا احيانا و علنيا احيانا اخرى خاصة فيما يخص تقسيم الادوار بين الزوجين و المكانات الاجتماعية داخل الاسرة و خارجه بحيث لا يوجد مادة من المواد تنص على عمل المرأة المأجور خارج بيتها اذا رغبت ، وكان باستطاعتها ان تشارك زوجها في التكفل بالعائلة .

أ ) <u>قانون الاسرة وتعدد الزوجات</u> :

ان المادة الثامنة من هذا القانون تشير الى السماح بتعدد الزوجات في حدود الشريعة الاسلامية ، و هذا حسب استطاعة الزوج اذا كان متمكنا ماديا . و بالرغم ما دار من نقاش حول هذه المادة ، فانه مازال معمول بها في المجتمع الجزائري ، و ذلك كمبرر بان الدين يسمح بذلك ، ولكن السؤال الذي يطرح في هذا المجال هو اين الاجتهاد ؟ مادام ان الدين الاسلامي يحث على التطور و التقدم و مواكبة العصر ، فالله سبحانه وتعالى لما سمح بتعدد الزوجات و اشترط العدل لان هذه الظاهرة كانت موجودة في تلك المرحلة التاريخية التي انزل فيها القرآن ، ولو لا ان الله بين ان الطلاق هو ابغض الحلال لأمر بذلك .

و ايضا عن قصة الرسول صلى الله عليه وسلم لما تزوج بتسعة نساء فهذا ليس عن رغبة منه في النساء او من اجل المتعة كما يظن البعض ولكن من اجل نشر الدين الاسلامي الحنيف ، و الدليل على ذلك قوله سبحانه وتعالى : «ان الله لا يحب كل الذواقين و الذواقات» .

بينمـا اذا عدنا الى الواقع الاجتماعي المعاش نرى من جهـة ان الدولة تنظـر نظرة تخوف من كثرة الانجاب وعليه عمدت الى اعداد خطة لمواجهـة هـذا الوضع عن طريق تباعد الولادات بمختلف الوسائل الاعلامية والمرئية ، ومن جهة اخـرى تسمح بتعدد الزوجات الذي قد يثير بعض المشاكل اذا لم تتوفر الشروط الاجتماعية اللازمـة .

ب) نصيب المـرأة من الميراث :

وفيما يخص الارث ، فان قانون الاسرة هنا مستمد من الشريعة الاسلامية ويمكـن قوله بايجاز ان حق الذكر يساوي ضعف الاثنين ، أي تأخذ الواحدة الثلث مـن الميراث. ( وكما ان الزوج يستطيع ان يرث زوجته بالنصف بشرط عدم وجـود الفرع الوارث لهـا (المادة 144) ، في حين يرثهـا بالربع اذا وجد الفـرع الوارث لهـا (المادة 145) ، كما ترث الزوجة او الزوجات من زوجهـا الربـع بشرط عدم وجود الفرع الوارث له ، نفس المادة .

ومهما يكن نصيب المرأة من الميراث فان الاسلام لم يحرمها منه ، علاوة على انها تملك حرية التصرف في مالهـا وملكهـا ، على عكس الرجل الذي هو مجبر على الانفاق من مالـه .

غير ان السؤال الذي يمكن طرحه في هذا السياق : هل نصيب المرأة الارث محفوظ قانونيا مهما كانت الظروف ؟ حيث جرت العادة ان البنت المتزوجة تتبع دائمـا زوجهـا ولا تنظر الى ما ترك أبوهـا بعد وفاته من ارث. كما يشير البند (رقم 7) من نص مشروع قانون الاسرة ان صدور قانون الميراث يهدف الى حماية نصيـب المـرأة وذلك على غرار الاحتيال من أجل حرمان المرأة منه في بعض المناطق من المجتمع عملا بالاعراف القبليـة . (1)

وخلاصة القول ان قانون الاسرة الجزائري الصادر في 9 يونيو سنة 1984 مـازال يثير النقاش والحوار ، خاصة من طرف بعض المجتمعات النسائية اللاواتي يطالبن مراجعة هذا القانون من اجل المساواة بين الرجل والمرأة في العمـل ، وحق الطلاق اذا رأت فيه مصلحـة لهـا ، وحـق في السكن بعد طلاقهـا من زوجهـا ، كما يطالبـن ان لا يعتبرون دائما قاصرات . (2)

---

(1) نفـس المرجـع ، ص. 11 .

(2) Khalida MESSAOUDI, En termes de justice, In quotidien El-Moudjahid, N°7.329, Semaine du Mercredi 4 janvier 1989.

غير ان اهم ما يمكن قوله في هذا المجال بان العيب ليس في كون ان قانون الاسرة مستمد من الشريعة الاسلامية ، بل على العكس من ذلك تماما ، اما عن بعض القصور الذي لاحظ يتمثل في عدم احترام بعض البنود التي تظهر احيانا متناقضة مع الواقع الاجتماعي .

**تعقيب :**

ان اهم ما يمكن استنتاجه من الفصل السابق ان الاسرة الجزائرية عرفت تغيرات اجتماعية واقتصادية منذ العهد الاستعماري الى ما بعد الاستقلال ، غير ان هذه التغيرات لا يمكن اعتبارها كتغيرات جذرية وهذا امر طبيعي لان التغير الاجتماعي قلما يكون جذريا . فعند دراسة الاسرة الجزائرية يصعب التحديد نتيجة للصرعات المديدة التي تعاني منها ، فهي تعيش نوع من الازدواجية بين كل ما هو عصري كمؤشر للتغير وبين ما هو تقليدي اي محافظ ، وذلك حرسا من التقافات والاديولوجيات الغربية . ولهذا السبب نجد هناك عدة مؤشرات متناقضة بعضها تطلعنا الى تغير البنية العائلية وتغير بعض التقاليد والعادات الاجتماعية السابقة ، كتأخر سن الزواج عند الفتيات بسبب مزاولتهن الدراسات العليا وهذا يدل على تغير طموحاتهن في اكتساب مكانة اجتماعية معينة داخل المجتمع . بينما نجد من جهة اخرى مؤشرات تناقض هذه الظاهرة كالنسبة الضئيلة للنساء العاملات ، وتمركزهن في تخصصات معينة مرغوبة ومقبولة اجتماعيا كالتعليم على سبيل المثال .

فالمرأة اليوم على الرغم من كونها خطت خطوات كبيرة في التعليم مثلا الا انها مازالت مقيدة اجتماعيا في سلوكاتها وتصرفاتها نتيجة للضغط الاجتماعي .

غير ان السؤال الذي يمكن طرحه في هذا المجال هو اذا كانت هذه هي وضعية المرأة المتعلمة والعاملة ، فما هو الامر بالنسبة للفئة الكبيرة من النساء الملتزمات البيت ؟ وهل يمكن اعتبار ندرة المواد الاستهلاكية الاساسية التي عاشها المجتمع الجزائري في السنوات الاخيرة سبب في اكتسابهن ادوارا جديدة خارج البيت ؟

قبل الاجابة على هذه الاسئلة سوف تخصص الدراسة فصلا فيه طبيعة واسباب تذبذب عرض المواد الاستهلاكية في السوق .

تمهيـــــــــد :

لقد شهدت المساحات التجارية الكبرى كالاروقة و اسواق الفلاح ، وحتى المحلات التجارية الخاصة بسلا سل من طرابير المستهلكين للمواد الاستهلاكية اليومية و منها الغذائية التي عرفت (ندرة) ( Penurie. ) خاصة في السنوات الاخيرة. فهناك مواد استهلاكية أساسية كالحبوب الجافة او المواد الغذائية الصناعية كالسكر ، القهوة، الزيت ، و مواد الغسيل كالصابون بانواعه تظهر لتختفي مدة طويلة ، فالطلب عليها يفوق العرض.

و بعد الاطلاع و الالمام الموضوعي يمكن القول بان مفهوم (الندرة) للمواد الاستهلاكية الاساسية ليست ناتجة عن نفس الاسباب و الظروف بالنسبة للمجتمعات الاخرى ذات النظام الرأسمالي او الاشتراكي و انما هي ناتجة عن ظروف اقتصادية سياسية خاصة بمجتمعات العالم الثالث بصفة عامة و بالمجتمع الجزائري خاصة.

ان عدم عرض المواد الاستهلاكية في المساحات التجارية الكبرى لا يعني قلتها او انعدام توفرها بقدر ما هو ناتج عن اسباب تنظيمية خاصة على مستوى توزيع المنتجات او على مستوى التنسيق بين المؤسسات و (الندرة) هنا يمكن اعتبارها كسبب و نتيجة في آن واحد فالسبب يرجع كما ذكرناه الى عدم التحكم في عملية تنظيم السوق ، من حيث الربط بين المؤسسات الانتاجية و التوزيعية معا . وكنتيجة لردود افعال او سلوكات المستهلكين و التجار في اللجوء الى تخزين المواد الاستهلاكية.

فالمستهلك يخزن قدر استطاعته خوفا من اختفاء المادة الاستهلاكية ثانية ، واما التاجر فانه يخزن من اجل المضاربة في الاسعار. (1)

ان نسبة الاستهلاك في بلدان العالم الثالث و منها الجزائر تفوق و تتجاوز نسبتها في الانتاج ، و هذا ما جعلها تلجأ الى الديون كي تتمكن من تلبية حاجياتها سواء كان في استيراد السلع الانتاجية ، على شكل معدات وآلات وتجهيزات صناعية ، ام السلع (صناعية) على شكل مواد غذائية.

---

(1) Said Ouamar HAMICHE, Modèle de consommation et développement économique, In U.S.E.A, Tizi-Ouzou (Algerie), 1986, P.82.

والشيء الذي زاد حدته هو انخفاض اسعار البترول الخام في السوق العالمية الحرة ، وذلك بعد ما كان البرميل يقدر ب (44) دولار بين سنتي (1980-1981) ، انخفض الى 10،6 دولار عام (1986) . (1)

وتتمثل مظاهر الازمة الاقتصادية في الجزائر بصفة عامة في عدة نقاط هي :

- نقص في الاستثمارات ، وتدهور الظروف الاجتماعية والاقتصادية ، كظهور البطالة وندرة المواد الاستهلاكية ومنها الغذائية .

- وفي هذا الصدد دار نقاشا بين عدد من الاجتماعيين والاقتصاديين حول اسباب ونتائج التبعية الغذائية في الجزائر .

---

(1) حسن بهلول ، العالم الثالث بين ازمة التخلف وازمة النظام الاقتصادي الرأسمالي ، نفس المرجع ، ص 23 .

## المبحث الاول :

### التبعية الغذائية في الجزائر :

تعتبر الازمة الاقتصادية كمثير لبعض المشاكل التي كانت موجودة من قبل ، والتي ازيل عنها الستار ، بحيث شغلت ندرة المواد الغذائية اهتمام الباحثين الاقتصاديين والاجتماعيين وحتى المسؤولين الذين كرسوا اهتماماتهم في السنوات الاخيرة حول جذور التبعية الغذائية والتساؤل عن كيفية ايجاد حل من اجل الاكتفاء الذاتي .

ان تفاقم الوضع أدى بالجزائر لان تكون من اكبر الدول المستوردة للمواد الغذائية بحيث انها تعتمد في تغطية حاجيات المستهلكين الضرورية على الاستيراد . لقد عرف هذا الاخير تطورا مدهشا في استيراد القمح مثلا وذلك بنسبة ( 80٪ ) الى (85٪ ) و( 100٪ ) كلا من السكر والزيت ، و ( 95٪ ) من التبغ.

وتقابل هذه النسب ميزانية مقدارها ( 4 ) ملايير دينار بالعملة الصعبة في سنة ( 1989 ) وذلك حسب وزارة التجارة . (1)

غير ان هذه النسب المتزايدة في الاستيراد راجعة الى جملة من العوامل أهمها :

- زيادة الطلب الاجتماعي لهذه المواد نتيجة الزيادة السكانية المطردة من جهة وارتفاع المستوى المعيشي للافراد (اكتسابهم عادات استهلاكية جديدة) .

- ضعف الانتاج والانتاجية الذي يتزايد بنسبة لا تتماشى مع الاحتياجات المتزايدة للمجتمع بمختلف فئاته.

ان ضعف المنتوج الزراعي المحلي يمكن ارجاعه الى مشاكل طبيعية واخرى تقنية .

---

(1) Ghenia BOUTALEB, rattraper la consommation : Industries Alimentaires, In hebdomadaire "Algerie Actualité", N° 1231, semaine du 18 au 24 Mai 1989, P.5.

1 . المشاكل الطبيعيــــة :

منهـا ما هــو متعلق بالمناخ كتذبذب سقوط الامطار و ذلك حسب كل سنة ، واما فيما يخص التربة يمكن تلخيصه في قلة المساحات المتخصصة للزراعة و ايضـــــا تعرض التربــة للانجـراف.

2 . المشاكــل التقنيــة :

تمكن في الاستعمال اللاعقلاني للانتاج اذ يمكن القول بان الجهـاز الانتاجي لا يشكل بعـد نسقا انتاجيا وطنيا ، اذ لا يحتوي على عدد من الفروع الضروريـة لاعادة عملية الانتاج موسعـة من جهـة ، ولا يزال عاجزا على تسيير ذاته فهــو لم يحقق بعـد حدا معينا من الاستقلالية من جهـة اخرى (1). وتظهـر اللاعقلانيـة الانتاجية سواء في الاستعمال المباشر للتربة و طريقة سقيهـا ، بحيث ان الاستعمال غير العلمـي ادى الى انهاكهـا . نفس الشيء يمكـن قولـه في مجال الري الذي يعرف ضعفا كبيرا ، اذ تعتبر الجزائر اقل البلدان تطورا في هـذا المجـال .

و من بين (250.000) هكتار من الاراضي المزروعة فان المساحة المسقية لا تتعدى (3%) و ذلك في سنـة (1978) (2).

وفي هـذا السياق يمكن ذكر ان الاراضي المزروعة تستلزم طريقة عقلانية في السقي ، ذلك حسب طبيعـة المزروع، فمثلا الطماطم تتطلب كميات كبيرة من الماء عن القمـح .

الى جانب الصعوبات التي يواجههـا الانتاج الزراعي ، فيبقى يواجـه مشاكل اخــرى منهـا جهاز التسويقي ، خاصة كيفية توزيع المنتوج و عرضه في الاسواق الى غايــة ايصاله للمستهلك وحتى كيفية تحـديـد سعــره .

و بالنسبة لهـذه النقطة الاخيرة فانهـا لا تعني فقط المنتوج الزراعي المحلــي، بل حتى المنتجات الاستهلاكيـة المستوردة .

---

(1) A.Mourad BOUDIA, quelques réflexions sur la crise économique mondiale et constatations sur l'impact de cette crise dans les économies socialistes d'europe, In U.S.E.A, OP.Cit, P.191.

(2) Hamid AIT AMARA, Blocage de la productivité du sol et crise agricole, In Revue C.E.N.E AP, N°3, ALGER, Septembre,1985, P.135.

المبحـــث الثاني :

شبكتي التسويق و مشاكل توزيع المنتجات الاستهلاكية :

ان ازدواجية عرض المنتجات المحلية و المنتجات المستوردة و نظام الاسعار (السعر المحدد و سعر السوق ) أدت الى انبثاق نظامين متباينين من الاسواق و شبكات توزيع المواد الاستهلاكية .

- شبكة توزيع حكومية مندمجة نسبيا تتشكل من مؤسسات الاستيراد و سلسلة من محلات التوزيع المتواجدة خاصة في المدن و مراكز البلديات حيث توفر المواد الاستهلاكيـــة الاساسية كالحبوب الجافة ، الدقيق ، الطحين ، الطماطم المعلبة ، الزيوت ، العجين و مواد الغسيل المزيلة للروائح بانواعها ... باسعار محددة و هي مواد في معظمها مستوردة .

- شبكة التجارة الخاصة : المتكونة من عشرات الآلاف من تجار الجملة و نصف الجملة ،التجزئة الذين يقومون بتوزيع جزء كبير من المواد الفلاحية المحلية كاللحوم الحمراء ، الخضـــر ، الفواكه ... باسعار السوق . و تعرض المواد الاستهلاكية عموما على مستويين الاول حكومي تمثله المساحات التجارية الكبرى و الثاني الخاص نجد الدكاكين او ما يسمـــى (بالحانوت ) .

1 . المساحات التجارية الكبرى :

تتمثل في الاروقة التي كانت موجودة ابان وجود الاستعمار الفرنسي في الجزائر و التي عمدت الدولة على تأميمها و ذلك ابتداء من سنة ( 1964 ) ولقد تم انشاء الادارة العامة للاروقة الجزائرية يوم 03 مارس 1967 . (1)

و اما عن اسواق الفلاح ، فلقد تم انشاء أول سوق فلاح في شهر جوان 1976 (2) .

ان كلا المؤسستين مستقلتين عن بعضهما البعض ، غير ان هدفهما موحد هو العمـــل من اجل تموين و اعانة الفئات الشعبية ذات الدخل المحدود .

---

(1) لقد تحصلت على هذه المعلومات من عند بعض مسؤولي اروقة حسين داي ، و الذين كانوا يعملون بها منذ سنة 1962 .

(2) Revue Révolution Africaine, N° 875, du 28/11/1980.

ان الدولة هي التي تتكلف بعملية استيراد المواد الاستهلاكية الضرورية وتسويقها وتوزيعها وذلك عبر اجهزتها الاقتصادية المتكونة من المؤسسات الانتاجية والتحويلية ، المكلفة بتسويق وتوزيع هذه المواد على المساحات التجارية الكبرى .

وتخصص الدولة في استيرادها للمواد الاولية للتحويل والتصنيع الآلات الانتاجية او للاستهلاك مباشرة ميزانية معينة تقدر بملايير الدينارات ( وذلك بالعملة الصعبة ) المستمدة غالبا من تصدير الطاقات الغازية والبترولية .

ولقد كان لانخفاض اسعار البترول آثار وخيمة على ميزانية الدولة التي عرفت عجزا معينا في استراد بعض المواد الاستهلاكية ذات السعر المرتفع على مستوى الاسواق العالمية كالقهوة مثلا ، واللحم خاصة في سنة ( 1986 ) أين انخفض سعر البرميل كما ذكرناه .

غير ان هذا لم يكن الا بالنسبة لبعض المواد وايضا في مدة زمنية معينة ، بحيث ان الدولة لم تتوقف عن استيراد المواد الاستهلاكية الاخرى ذات السعر المنخفض كالزيت والحبوب الجافة مثلا ، فالسؤال الذي يطرح نفسه هو ما هي اسباب اختفاء هذه المواد في المساحات التجارية الكبرى . (1)

ان الازمة الاقتصادية أتاحت المجال لازالة الستار عن الكثير من النقائص والمشاكل التي يعاني منها الاقتصاد الجزائري ، كعدم ربط المؤسسات الانتاجية والتوزيعية مثلا .

---

(1) JOURNAL Hebdomadaire "ALGERIE ACTUALITE" N° 1103, semaine du 4 au 10 Déc.1986, P.21.

أ ) عدم الربط بين المؤسسات وتأثيره في تموين السوق :

لقد اصبح الشغل الشاغل للمستهلك الجزائري هو السعي او التنقل من اروقة الى أخرى في البحث عن المواد الاستهلاكية ، وذلك بسبب سوء تنظيم السوق او مشكلة تموين وتوزيع المواد الاستهلاكية في السوق الراجع كما ذكرنا الى اسباب تنظيمية كعدم الربط بين المؤسسات وتعدد الوسطاء ( .Les Intermediaires )

ان المادة الاستهلاكية قبل عرضها في المساحات التجارية الكبرى او عند التجار الخواص تمر على مختلف المراحل ، وتخضع لعدد من المتدخلين في تسويقها وتوزيعها .

فعند وصول البضائع الى الميناء نجد نوعين من المواد الاستهلاكية منها ما هو جاهز للاستهلاك مباشرة ومنها المواد الاولية كالزيت الخام والقمح بانواعه التى توزع على مستوى المؤسسات الانتاجية لتصنيعها .

فاذا اخذنا المواد المصنعة في المؤسسات الوطنية كمثال لتفحص مخطط توزيعها ابتداء من استلامها من المصنع نجدها تخضع لمسافة حادة لكي تصل الى غاية المستهلك .

فبالنسبة لمادة الزيت التي تمثل مادة استهلاكية أساسية عند الاسر الجزائرية ، لقد شهد ضغطا عليها في السوق في السنوات الاخيرة وبالضبط سنة 1986 ، مع الملم لقد تضاعفت نسبة انتاج هذه المادة بـ ( 7،84 ٪ ) سنة 1986، ففي (1985.10.31) لقد تحدد انتاج الزيوت بـ ( 223.461 ) طن ليصل الى (240.975 ) طن في 31.10.1986 ) أي مدة سنة بالضبط. (1)

(1) Ibid, P.20.

لكن رغم هذه النسب المتزايدة من الكميات الهائلة من الزيت ، فان المساحات التجارية الكبرى لم تتمكن من عرضها .

فان السبب الرئيسي يرجعه بعض المديرين كمدراء المساحات التجارية الكبرى الى العجز الذي تعاني منه مؤسسات التموين و التوزيع.

فبادئ الامر تقوم المؤسسة الوطنية للتموين ( ENAPAL ) باستلام المادة من المؤسسة الانتاجية او بالاحرى من المصنع المنتج للمواد الدسمة ثم توزيعها على مختلف وحداتها التموينية الجهوية ( U.A.R ) التي بدورها توزعها على اسواق الفلاح و الاروقة ، وعلى التجار الخواص. ان هذا المخطط التوزيعي يؤدي الى تدخل عدد من الوسطاء او الى عدد المناورات التجارية ، وكما يتسبب ايضا في اتلاف السلع و ارتفاع ثمنها .

يمكن ايضا تفسير ندرة بعض المواد الغذائية ،او بالاحرى تذبذب العرض عبر المساحات التجارية الكبرى الى المشاكل البيروقراطية الناتجة مثلا عن عدم احترام البرمجة وتسليم البضع ، او ما يمكن تسميته ايضا بنظام الحصص الذي لا يراعي تماما نسبة الطلب ،ففي نفس المدة الزمنية يتمكن للمستهلك ان يجد مادة استهلاكية ما معروضة في مساحة تجارية ما ، بينما لا يجدها في مساحة تجارية أخرى يمكن لها ان توزع مادة استهلاكية أخرى . غير ان هذه المواد السابقة الذكر الاساسية التي كثر الطلب عليها بسبب تذبذب عرضها في السوق لقد عرضت بصورة متوفرة على جميع المستويات العام و الخاص لتلبية حاجيات المستهلكين و ذلك مباشرة بعد احداث 5 اكتوبر 1988 .

ب) تأثير احداث ( 5 ) أكتوبر 1988 على تموين السوق :

ان احداث 5 اكتوبر 1988 الاخيرة التي هي عبارة عن رد فعل قوي من طرف فئة الشباب ضد الاوضاع الراهنة المتمثلة في صعوبة المعيشة و منها البطالة ، ندرة المواد الاستهلاكية ... الخ .

ولقد كان لهذه الاحداث نتائج وخيمة ، و خسارة كبيرة على الاقتصاد الوطني منها هدم و حرق عدة مؤسسات انتاجية و منها بعض المساحات التجارية الكبرى ، لهذا فقد عمدت الدولة في تلك الاونة الى اتخاذ اجراءات مستعجلة لتسهيل مهمة التوزيع ، و توفير المواد الاستهلاكية بصورة متوفرة لدى جميع المساحات التجارية الكبرى ، و يمكن الذكر هنا حسب ما جاء في قول مدير المركز التجاري (نسيم بباب الوادي ان سبب توفر بصورة كافية المواد الاستهلاكية الاساسية يرجع الى عدم احترام نظام الحصص المنبثق من المخطط الوطني للتوزيع ، و في خلال مدة (8) الى (13) اكتوبر 1988 تمكن المركز التجاري (متيجة) (المعروف سابقا بسوق الفلاح شاطوناف ( Chateauneuf ) من الحصول و بيع على سبيل المثال 33.600 علبة من الطماطم (4000) كلغ من الزبدة ، (8000) كلغ من العدس ، (2.936) كلغ من الفاصوليا الجافة (400) كيس دقيق يقدر ب (50) كلغ الواحد ، (6000) كلغ من القهوة المسحوقة ، (3000) وعاء زيت (صافية) يقدر ب 5 الواحد (1) .

هذه الوضعية مماثلة بالنسبة للمساحات التجارية الاخرى تحصلت على كميات متزايدة من المواد الاستهلاكية خلال المدة المذكورة و التي تتراوح حتى شهر نوفمبر ، غير انه سرعان ما عادت الامور الى طبيعتها حين أهتدأت الاحوال و ذلك في الاشهر المتتالية ، و الى غاية الوقت الحالي اي سنة (1990) ، اين نجد بعض الخطابات الطاعنة التي راحت الى غاية الاقتراح بالتخلي عن المساحات التجارية الكبرى لصالح الخواص. (2)

---

(1) REVOLUTION AFRICAINE, N° 1292, ALGER, le 09/12/1988.

(2) HEBDOMADAIRE "ALGERIE ACTUALITE", N° 1270, ALGER, Semaine du 15 au 21 Février,1990, P.18.

وذلك كنتيجة لما عرفته من خراب في احداث اكتوبر 1988 من جهة نظرا لسوء التسيير ، وتذبذب عرض المواد الاستهلاكية والطوابير المتتالية من المستهلكين ...

غير انه رغم هذه الخطابات الطاعنة والنظرة التشاؤمية فاننا نجد من جهة اخرى اصوات أخرى معارضة تحاول ترميم ما تهدم واصلاح النظام الاقتصادي الراهن المتسبب في هذه المشاكل وذلك بتحسين ذرات التوزيع التي لا تلعب دورها كما ينبغي من جهة ، والقضاء على كثرة المؤسسات (المتداخلة) الوسيطة المتسببة في عدة مشاكل كارتفاع الاسعار وتقديم حصص قليلة بالنسبة للطلب وغيرها من المشاكل . (1)

ان نظرة الاصلاح هذه تبقى ضرورية نظرا للاعانات التي تقدمها الدولة من خلال بيع المواد الاستهلاكية في المساحات التجارية الكبرى باسعار منخفضة لتلبية حاجيات الفئات الشعبية ذات الدخل البسيط بينما تتمكن الفئة الاجتماعية المهنية ذات الدخل المرتفع من شراء ما يلزمها من مواد استهلاكية عند المحلات التجارية الخاصة او ما يسمى عندنا (الحانوت) .

(1) Ibid, P.18.

2 ، المحلات التجاريــة الخاصــة (الحانــوت)

ان أهم ما تتميز به المحلات التجارية الخاصة للمواد الاستهلاكية هو صغر حجمهــا وقــربهــا من المستهلك ، غير انه لوحظ في السنوات الاخيرة و ذلك ابتـــداً من سنة 1984 حسب دراسة قامت بهـا ( l'ENERIC ) ، (1) ، أن عددا مــن المحلات التجاريــة الخاصة بالمواد الاستهلاكية العامة انخفض الى غاية ( 20،000 ) محل تجاري بينما كانت في سنة ( 1977 ) تقدر بـ ( 70،890 ) ، الا ان هـــذا الانخفاظ المدهش سببه ان اغلبية التجار حولوا محلاتهم التجارية الخاصة بالمــواد الاستهلاكية الى محلات تجارية مكسبة كالتخصص في تجارة (قطاع الغيار ،أم المأكولات الخفيفة ( Fast Food ) ، كما ان ليس عامل الربح فقط هو الدافع الى تغيير تخصصات بـل هناك مشاكل اخرى معرقلة كمشكل التمون مثلا ، (2)

أ ) صعوبـة التمــون :

ان اهم مشكل يواجـه التاجر بالتجزئة هو التمون ، بحيث ان هـذا الاخير يجـد نفسه مضطر للتنقل بنفسه و بوسائله الخاصة الى غاية مؤسـسات التوزيع ( EDIPAL ) ، ملايين من تجار التجزئة يأتون بشاحناتهم منتظرين ادوارهم للتمون بالمواد الاستهلاكية.

ان المؤسـسة الوطنية للتوزيع تتميز كما سبق و ان ذكرناه ببيروقراطية حادة تعمل على التقييد بنظام الحصص ، و ذلك بالبيع كميات قليلة من السلع دون مر عـــاة الطلب من جهـــة . وكما انها لا تقدم تسهيلات اخرى لتجار الخـــواص : كالقروض ، و تحديـد الهوامش الربحية بقيمة تتماشى و طموحات التجــــاره اضافة الى هذا يمكن ذكر عامل التمييز و الافضلية التي يتمتع بها بعض التجار الخـــواص من قبال بعض موظفي المؤسـسات الوطنية للتوزيـع و ذلك على حساب مجمــــوع التجـــار الآ خـــريـــن و حتى المستهلكيـن ،

---

(1) et (2) JOURNAL HEBDOMADAIRE "ALGERIE ACTUALITE", N° 1153, Semaine du 19 au 25 Novembre.1987, PP.18 et 19.

ان وجود تجار الجملة و نصف الجملة في هذه الحالة يمكن ان يسهل مهمة تجار التجزئة الذين يضيعون وقتا وجهدا كبيرا في السعي بوسائلهم الخاصة للتمون بالمواد الاستهلاكية ، ولهذا نجدهم يزيدون في الاسعار بصورة مدهشة آخذين بعين الاعتبار كل التكاليف .

ب) المضاربة في الاسعار :

ان البائع بالتجزئة يعمل على الزيادة في رفع الاسعار ، آخذ بعين الاعتبار تكاليف النقل من جهة ، وكما يحترم الهامش الربحي ( Marge Beneficiaire. ) نظرا لتحديده من طرف الدولة بصورة ضعيفة . والهامش الربحي هو عبارة عن النسبة المئوية بالنسبة لسعر الشراء ولهذا السبب لا نجد الاسعار محددة بصورة موحدة عند جميع المحلات التجارية الخاصة .

اضافة الى هذا فان تذبذب السوق وعرض المواد الاستهلاكية بصورة منظمة سواء عند المساحات التجارية والخاصة سمحت لتجار التجزئة بالمضاربة في الاسعار وذلك بتخزين كميات معينة من المواد المفقودة واخراجها الا في وقت الحاجة الملحة عليها ، وذلك عن طريق المحسوبية أي بيعها للاحباب في غالب الاحيان .

ودائما في سياق فكرة المضاربة في الاسعار والاستفادة من الاسعار المحددة من طرف القطاع الحكومي ، فاننا نلاحظ في واقع الامر منتوجات الدولة تظهر في السوق الحرة لدى تجار الخواص الذين يحققون بواسطتها نسبا هامة من الارباح ، وأكثر من ذلك فان الاستفادة من الاسعار المحددة تشمل تقريبا جميع قطاع الخدمات الخاصة : و« قد افضى مثلا احد ملاك المطاعم انه يتحصل على اللحوم باثمان رخيصة من الاروقة المجاورة وذلك مقابل دفعة لقيمة مالية غير معلنة» (1)

(1) REVUE REVOLUTION AFRICAINE ,N° 1206, ALGER, 10 AVRIL,1987, P.45.

ان المتضرر من هذه المضاربة هو المستهلك فيما يخص بعض المنتوجات المحلية كاللحوم و الخضر و الفواكه مثلا التي عرفت مضاربة مدهشة في الاسعار خاصة في شهر رمضان ، و نذكر بعض الارقام لسنة ( 1989 ) ان الطماطم وصل ثمنها الى ( 35 ) دج للكلغ ، و الفلفل قدر سعره ب ( 40 ) دج و الكوسى بين ( 18 ) و ( 20 ) دج . (1)

و التفسيرات التي يمكن تقديمها في كيفية تشكيلية المضاربة في الاسعار للخضر و الفواكه (و اللحوم المحلية ) . فالمنتوج لا يصل مباشرة الى السوق الا بعد ان يمر عن طريق الوسطاء الذين يشترون المنتوج بالحمولة بسعر معين ، ثم يبيعونه بدورهم الى البائع بالتجزئة الذي يأتي في آخر المطاف و يزيد هو الاخر سعر معين لتلك المادة الغذائية التي سوف يبيعها للمستهلك . فكل هذه المقاييس تشارك في ارتفاع الاسعار ، سعر الشراء ، سعر التكلفة (كالنقل و حساب المسافة المتفرقة و سعر الربح ) . (2)

و كما أشرنا اليه سابقا ، فان المتضرر من هذه الوضعية هو المستهلك خاصة ذو الدخل البسيط الذي يشكو من ارتفاع الاسعار التي لا تتماشى و احتياجاته اليومية .

---

(1) JOURNAL HEBDOMADAIRE "ALGERIE ACTUALITE, N° 1231, ALGER Semaine du 18 au 25 Mai 1989, P.10.

(2) Ibid.

## المبحث الثالث :

### المستهلك والانفاق :

ان الطلب المتزايد للمستهلك الجزائري يرجعه كلا من الاجتماعيين والاقتصاديين الى ارتفاع العدد السكاني من جهة وايضا ارتفاع المستوى المعيشي للاسر وارتفاع المداخل من ناحية أخرى .

1 ) ظاهرة التحضر والعوامل الديموغرافية والاجتماعية :

(( شهدت الجزائر ظاهرة تحضر جد هامة منذ الاستقلال الى يومنا هذا اذ بلغ معدل نسبة الزيادة السنوية لسكان المدن (5٪ )) وكان هؤلاء يمثلون (31٪) من مجموع السكان عام (1966) و (41٪) عام 1977) وما يقرب (50٪) عام (1984.)) . (1)

ان هذه النسبة المتزايدة للتحضر قد كان لها تأثير مباشر في تصرفات الافراد الذين اكتسبوا أنماطا حضرية في الاستهلاك وهي مبنية على اقتصاد السوق اذ يتطلب مقابلا نقديا .

ولقد بلغ الاستهلاك الفردي للاسر عام (1983) : (10،1) مليار دج (2) هذا ما يبين ارتفاع المستوى المعيشي للاسر الجزائرية حيث قدرت نسبة انفاقها في الميدان الغذائي سنة (1979) (1980) ب (57،7٪) من ميزانيتها الاجمالية . (3)

كما لوحظ ان سكان الريف يستهلكون اقل من اهل المدينة . بحيث تقدر حصة سكان الريف ب (58،1) من مجموع السكان (45،4٪) من النفقات الغذائية ، بينما تقدر حصة أهل الحضر (41،9٪) (من مجموع سكان ) ب (54،6٪) (4)

كما نجد ان النمط الاستهلاكي في الريف يتمثل في النسبة المتزايدة في استهلاك الحبوب والفواكه والخضر الجافة . بينما تمثل المدينة استهلاكا اكبر للحوم والفواكه والخضر الطرية كما يظهر هذا من خلال هذين الجدولين .

---

(1) Revue Statistique, N°6,ALGER, ONS, Janv, Mars 1985, P.9.
(2) Ibid, P.9
(3) et (4) Revue Statistique, N°14, ALGER, ONS, Mars 1987, P.1.

الجدول رقم ( 4 ) : بنية السكان والانفاق الغذائي حسب قطاع السكن : 1979 - 1980 .

| العاطلين الذين سبق لهم العمل | | (S.T.R.I) |
|---|---|---|
| قطاع السكن | بنية السكان ب% | بنية الانفاق ب% |
| ق . 1 الجزائر الكبرى | 9،20 | 12،40 |
| ق . 2 وهران ،قسنطينة ،عنابة | 6،50 | 8،25 |
| ق . 3 المدن المتوسطة | 19،10 | 23، 7 |
| ق . 4 المدن الصغيرة | 7، 1 | 7، 7 |
| ق . 5 القرى (سكن ريفي مجمع) | 7،45 | 7،13 |
| ق . 6 الريف (سكن ريفي مبعثر) | 50،65 | 40، 8 |
| المجموع | 100.00 | 100.00 |
| القطاع الحضري | 41،90 | 54، 6 |
| القطاع الريفي | 58،10 | 45، 4 |
| المجموع : | 100.00 | 100.00 |

المصدر : الديوان الوطني للاحصائيات .

الجدول رقم ( 5 ) : بنية الانفاق الغذائي حسب قطاع السكن 1979/80
العاطلين الذين لم يسبق لهم العمل ( (S.T.R.2)

| انواع المواد الغذائية | ق 1 | ق 2 | ق 3 | ق 4 | ق 5 | ق 6 | القطاع الحضري و القطاع الريفي | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| الخضر و الحبوب و مشتقاتها | 7،50 | 8،20 | 8،25 | 9،30 | 10،40 | 12،30 | 8،20 | 12،55 |
| الفواكه و الخضر الطازجة | 15،20 | 14،40 | 15،35 | 13،70 | 13،50 | 12،00 | 14،70 | 12،75 |
| المواد الغذائية المشروبات، التبغ | 13،60 | 14،30 | 12،70 | 15،00 | 14،50 | 16،30 | 13،50 | 16،00 |
| اللحوم و الطيور و السمك | 17،40 | 18،40 | 15،50 | 14،60 | 15،75 | 12،70 | 16،90 | 13،15 |
| الفواكه و الخضر الجافة | 1،30 | 1،35 | 1،30 | 1،80 | 1،70 | 2،10 | 1،40 | 2،10 |
| المواد الغذائية و المشروبات غير الكحولية | 55،00 | 57،25 | 54،20 | 54،40 | 55،85 | 56،60 | 54،70 | 56،55 |

- المصدر : الديوان الوطني للاحصائيات .

غير انه رغم تطورات استهلاك اللحوم و الطيور و السمك في المدن عن الارياف الا انه يمكن الاشارة هنا الى ان نسبة الاستهلاك تختلف حسب الفئات الاجتماعية .

2 . <u>نوعية و بنية الاستهلاك حسب الفئات الاجتماعية :</u>

ان نوعية الاستهلاك الغذائي تختلف حسب الفئات الاجتماعية المهنية ، حيث الفارق في الاجور من فئة لاخرى ، الى عدم ثبات الدخل فالعامل البسيط لا يستطيع ان يستهلك المواد الغذائية الغنية بالفيتامينات لارتفاع اسعارها كاللحوم و السمك مثلا ، و لهذا يلجأ عموما الى المواد الغذائية التي تتماشى و مقدوراته كالخضر الجافة ، الحبوب بينما تستهلك الاطارات وفئة ارباب العمل نسبة كبيرة من اللحوم و الطيور و الاسماك .
كما يتضح لنا من خلال هذين الجدولين :

الجدول رقم (6) : بنية السكان و الانفاق الغذائي حسب الفئة الاجتماعية المهنية 1979/1980 .

| الفئة الاجتماعية المهنية | بنية السكان ٪ | بنية الانفاق الغذائي ٪ |
|---|---|---|
| ق 1 ارباب الاعمال و اصحاب المهن الحرة | 2،40 | 3،2 |
| ق 2 الاحرار | 25،30 | 18،6 |
| ق 3 الاطارات | 5،45 | 7،7 |
| ق 4 المستخدمون و العمال المؤهلون | 19،40 | 22،2 |
| ق 5 العمال المتخصصون و اليدويون | 18،05 | 17،1 |
| ق 6 العمال الزراعيون | 10،05 | 7،1 |
| ق 7 غيرهم | 18،35 | 18،9 |
| المجموع | 100،00 | 100،000 |

- المصدر : الديوان الوطني للاحصائيات

الجدول رقم (7) : بنية الانفاق الغذائي حسب الفئة الاجتماعية ـ المهنية :

| انواع المواد الغذائية | ف1 | ف2 | ف3 | ف4 | ف5 | ف6 | ف7 | المجموع |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| الخبز و الحبوب و مشتقاتها | 7، 5 | 11، 6 | 7، 1 | 8،68 | 11،16 | 14،48 | 10،78 | 10،28 |
| الفواكه و الخضر الطرية | 13، 5 | 12، 7 | 13،73 | 14،77 | 15، 0 | 12، 0 | 14، 1 | 13، 9 |
| المواد الغذائية و المشروبات و التبغ | 12،79 | 14،65 | 11،88 | 13،88 | 16،18 | 17، 1 | 15، 0 | 14، 7 |
| اللحوم و الطيور و الاسماك | 16،87 | 13،63 | 16، 9 | 16،16 | 14،75 | 13،73 | 15،48 | 15،10 |
| الفواكه و الخضر الجافة | 1، 5 | 1، 8 | 1،37 | 1،55 | 1،83 | 1،87 | 1، 8 | 1، 7 |
| المواد الغذائية غير الكحولية | 52،23 | 51،01 | 51،02 | 55،05 | 58،91 | 60، 0 | 57، 2 | 56،67 |

ـ المصدر : الديوان الوطني للاحصائيات .

ان حصة الانفاق التي يخصصها المستهلك الجزائري للمواد الغذائية تتحدد حسب دخله اذا كان مرتفعا أم منخفضا ، ولهذا يمكن تصنيفها الى ثلاث مجموعات :

أ ) الحصة الضعيفة : ( 800 - 1500 دج )

ان المستهلك ينفق اكبر حصة من ميزانيته في المواد الضرورية كالخبز و الحبوب و مشتقاتها ، الفواكه ، الخضر الجافة ، المواد الغذائية و المشروبات الغير الكحولية .

ب ) الحصة المتوسطة : ( من 1500 دج الى 5500 دج )

تخصص عناصر هذه الفئة نسبة هامة من ميزانيتها للمواد الضرورية الا ان النسب المخصصة للمواد الغذائية كالخبز و الحبوب و مشتقاتها تكون ضعيفة ، بينما ترتفع نفقاتها نوعا ما للمواد الاخرى كاللحوم و الطيور ، الاسماك و الخضر الطرية .

ج ) الحصة المرتفعة : ( 5500 دج وما فوق )

ان اصحاب هذه الفئة يخصصون حصة مرتفعة من ميزانيتهم لبعض المواد الغذائية بالفيتامينات كاللحوم و الاسماك و الفواكه ، و ذلك حسب امكانياتهم ، بينما ينفقون بصورة ضعيفة جدا في المواد الغذائية كالخبز و الحبوب على سبيل المثال . (1)

---

(1) Revue Statistique, N° 14, OP.Cit, P.3.

## استنتاج

بناء على ما سبق يمكن التوصل الى نقطة جوهرية فاذا كانت الدولة قد راعت العامل البسيط صاحب الدخل المحدود وذلك بالمواد الغذائية باسعار معقولة ، موجودة في المساحات التجارية الكبرى ، فان هذه الاخيرة نظرا للمشاكل التي تعاني منها تكلفة الكثير من تذبذب في وقته وجهده ، حيث انه يتنقل من مكان لآخر لعله يجد المادة التي يحتاجها .

وهذا ما نلاحظه من خلال الطوابير المتتالية وغير المتناهية من المستهلكين رجالا ونساءا عند هذه المساحات.

## تمهيـــــــــد

تعتبر الدراسة الميدانية مجالا لجمـــع البيانات عن الواقـــع الاجتماعي المراد دراسته غير انها لا تكتسي طابعها العلمي الا باستنادها على قواعد منهجية علميـــــــــة ، لذلك لا يخلو بحثنا من هذا التصميم المنهجي الدقيق الذي يعكس طبيعـــة مـــوضوع البحـــث.

ولما كانت دراستنا امبرقيـــة واستكشافية للميدان (مجتمع البحث) فان انطلاقتنـــــــا الاولى كانت من الواقـــع الاجتماعي وذلك لتحديـــد موضوع البحث ، واختيــــــــــار الادوات المنهجيـــة الملائمـــة للبحـــث.

**المبحـــث الاول : الخطوات المتبعة لتحديـــد ميدان البحث وأدوات الدراســة :**

قبل تحديد الموضوع الذي نحن بصدد دراسة ، فمنا في بادئ الامر بتتابع مختلــــــف خطوات النساء المسنات وذلك لمعرفة نشاطتهن واهتماتهن الجديدة. ومن اجــــــل ذلك لقد سعينا الى مجالات مختلفة كالمستشفيات ، وذلك فيي قاعات الانتظار الخاصـة بالنساء في مستشفيي (بارنيي) ومصطفى باشا ، الى اسواق النساء ، كسوق (النســـا) الموجـــود بالحراش او كما يسمى بسوق (الحد) (*) ، والى جانب هذا لقد أجرينـــا بعض المقابلات الحرة مع النساء امام مواقف الحافلات .

غير ان اهم ما توصلنا اليه من خلال هـذا الاستقصاء هو تمحور اهتمامات النساء حول مشكل اساسي فيي حياتهن اليوميـــة وهو ندرة المواد الاستهلاكية الاساسيـــة.

---

(*) تسمى هذه الاسواق (كالسوق الحد ، الاربعاء ...) بايام الاسبوع التي تقام فيها، حيث تجـد النساء الفرصة للخروج و شراء ما يلزمهن نظرا لغياب الرجال بسبــــب العمـــل.

وعلى هذا الاساس حددنا ميدان البحث الذي يتمثل في اختيار بعض المساحات التجارية الكبرى ، الموجودة بالجزائر العاصمة أين قمت ببعض الملاحظات بالمشاركة ولقد أجريت هذه الملاحظات على فترات متقطعة و اماكن مختلفة ابتداء من نوفمبر 1986 الى غاية ماي 1987.

1 . تعيين اماكن اجراء الملاحظة مع الوقت المحدد لذلك :

| المكان | اليوم و الوقت استغراق الملاحظة |
|---|---|
| - اروقة القبة | 12.10.86 على 9سا و 45 دقيقة صباحا |
| - بلدية الحراش | 04.11.86 على 1سا و 30 د زوالا . |
| - سوق القبة | 04.01.87 على 10 سا صباحا . |
| - اروقة باش جراح | 18.01.87 بين سا/ 1 و 12 سا . |
| - سوق الفلاح بشاطوا ناف الابيار (متيجة حاليا) | 01.03.87 على سا/ 10 صباحا . |
| - اروقة بلكور | 26.05.87 الموافق (30 رمضان) من سا/ 10 الى سا/ 12 صباحا . |
| - حي القاريدي طابور حول الشاحنات المتنقلة التي تبيع اللحم | 23.05.87 الموافق (27 رمضان) من سا/ 10 الى سا/ 12 صباحا . |
| - حي سوريكال | 23.05.87 الموافق (27 رمضان) من سا/ 12 و 30 دقيقة الى سا/ 13 . |
| - حي القاريدي | 24.05.1987 الموافق (28 رمضان) من سا/ 10 الى سا/ 12 صباحا . |

(*) للتذكير فقط ان اغلب هذه المساحات التجارية الكبرى المذكورة قد احرقت خلال احداث 05 اكتوبر 1988 ، و هذا ما كلف الدولة اموالا باهظة من اجل ترميمها و اعادة تسييرها ، و اغلبها استعادت حاليا (1990) سيرها و مجراها الطبيعي و منها : (اروقة القبة ، باش جراح ، بلكور).

2 . الادوات المستعملة في البحث :

أ) أهمية اختيار الملاحظة بالمشاركة :

ان طبيعة الدراسة واهميتها استدعت استعمال هذه الاداة الهامة لمعرفة مجتمع الدراسة معرفة دقيقة ، وجمع البيانات. (( فلا شيء يمكن ان يستبدل الاتصال المباشر الباحث بحقله ، ولا يمكن لأية تقنية ان تكون قادرة على الايحاء بافكار جديدة بالمقدار نفسه . انه من الصعب تخيل دراسة سلوك جادة من دون ان تلعب الملاحظة اي دور)).(1)

لقد حاولنا الاندماج لمدة معينة (حوالي سنة تقريبا على فترات متقطعة) في مجتمع البحث ، وذلك بقيامنا بعدة طوابير وشراء بعض المواد الاستهلاكية متى اتيحت الفرصة لذلك. وكذلك المشاركة في بعض المواقف والاحاديث متى استلزم الامر دون الابتعاد عن مهمتنا الاساسية التي هي الملاحظة العلمية الدقيقة وجمع البيانات الضرورية التي تخدم موضوع البحث.

فلقد كنا نسجل كل مرة بعد مغادرة مكان الدراسة مباشرة المعلومات المتحصل عليها مع الاشارة الى تاريخ ومدة الملاحظة. الا ان عند التفريغ الاولي للبيانات المتحصل عليها من خلال الملاحظات ظهرت لنا غير كافية ، وابرزت عدة نقاط مبهمة تستدعي تقنية أخرى لايجاد الاجابة على الاسئلة التي تهمنا في البحث.

---

(1) تيودور كابلوف ، البحث السوسيولوجي ، ترجمة نجاة عياش ، بيروت : دار الفكر الجديد ، 1979 ، ص 123.

ب ) المقابلة المنظمة :

لقد رأينا من الضروري الاستناد الى هذه الاداة في هذا البحث نظرا لأهميتها وفعاليتها ، لا سيما ان اغلب المبحوثات أمهات ، ولذلك جاءت الاسئلة الواردة في دليل المقابلة مدونة باللغة العامية المحلية قصد الاقتراب اكثر من المبحوثات.

زيادة الى هذا ، فان المقابلات وجها لوجه مع المبحوثين تساعد الباحث في التحكم اكثر في ظروف اجراء البحث وذلك لعدة نقاط: وضع المبحوث في جو الاطمئنان و الارتياح ، اعادة السؤال وتفسيره اذا لزم الامر ، الحرص على عدم تضييع الوقت والمعلومات ... الخ.

وعلى هذا الاساس لقد اجرينا 40 مقابلة منظمة مع المبحوثات في منازلهن بناءا على مواعيد مسبقة معهن. كما يتضمن دليل المقابلة عدة اسئلة اغلبها مفتوحة وتتطرف الى عدة محاور نستخلصها فيما يلي :

- المحور الاول :

يتضمن عددا من الاسئلة تدور حول مدى مسؤولية المرأة في شراء لوازم البيت الغذائية حسب السن والوضعية الاجتماعية.

- المحور الثاني :

يتعرض الى كيفية مواجهة ربة البيت ندرة المواد الاستهلاكية ، ودورها في تسيير ميزانية البيت.

- المحور الثالث :

يخص تحليل العلاقات الاجتماعية التي تكونها ربة البيت خارج البيت وبالاخص في الطابور.

- المحور الرابع :

يضم مجموعة من الاسئلة المغلقة تدور حول خصوصيات المبحوثة واسرتها : كنوعية الاسرة ووضعها الاقتصادي ، الاصل الجغرافي للمبحوثات ، المستوى التعليمي ... الخ.

- المحور الخامس :

يهدف الى معرفة أهم آراء المبحوثات حول وضعيتهن الاجتماعية الحالية و التغير الذي طرأ على حياتهن .

ج ) تفريغ البيانات و تحديد منهج البحث :

لما كانت البيانات المتحصل عليها من جراء استخدام الاداتين المذكورتين كيفية اضطرتنا الى استخدام احسن منهج يلائم ذلك الا و هو منهج تحليل المحتوى(*) حسب فهم المعطيات المستنقاة من الميدان .

المبحث الثاني : الخصائص الهامة للحالات المدروسة :

لقد ركزنا في بحثنا على دراسة حالة ( Etude de Cas ) و ليس على عينة كبيرة و لقد تم اختيار هذه الحالات بصورة منظمة وفقا لشروط معينة : كالخبرة و المسؤولية ( و نقصد بذلك مسؤولية الشراء و القيام في الطوابير على المواد الاستهلاكية الضرورية ) ، الحي السكني ، الحالة العائلية ، السن ، المستوى التعليمي .

1 . أهمية الحي السكني في تحديد الفئة الاجتماعية للمبحوثات :

ان اغلب المبحوثات يسكن في احياء شعبية حضرية ذات مستوى معيشي منخفض و نمط حياتي تشترك عوامل كثيرة في صبغة بصبغة اجتماعية معينة ، و تربطهم علاقات اجتماعية وطيدة تظهر في الافراح و الاحزان ، و تبادل المساعدات و نفس المواقف في مواجهة مشاكل الحياة الخارجية ، و منها على الخصوص غلاء المعيشة و ندرة المواد الاستهلاكية .

و ترجع اسباب هذه الروابط الاجتماعية و النمط المعيشي المشترك الى قدم التجاور بين نساء هذه الفئة الاجتماعية ، الذي يرجع الى عهد الوجود الاستعماري .

/

( * ) المراجع المعتمد عليها :

(1) Voir GRAWITZ Madeleine, Methodes des sciences sociales, ED/DALLOZ, 5ème. ED, 1981.

(2) Voir aussi MUCCHIELLI Roger, l'analyse de contenu : Des documents et des communications, ED/E.S.F, 1979.

و اهم هذه الاحياء القبة القديمة ،حي المنظر الجميل بالقبة ، حي الناظور بالمدنية ( Clos de Salembier ) حي فرحات بوسعد وضواحيه بأول ماي (Ex.Messonier) حي سقالة و ضواحيه بجسر قسنطينة (*)

ان الوضعية الاجتماعية و الاقتصادية لهذه الفئة الاجتماعية هي التي اضطرت نساء هـا الى اللجوء الى الطوابير للحصول على المواد الاستهلاكية التي تشهد تذبذبا في العرض

في حين لا تهتم الاسر ذات مستوى معيشي معين (لا بأس به) بالطوابير ،حيث انها تتحصل على المواد الاستهلاكية المفقودة بطرقها الخاصة : كالعلاقات الخاصة بعدبري المساحات التجارية العمومية ، او التجار الخواص اي استعمال ما يسمى بالعامية (المعرفة) او حتى شرائها باسعار مرتفعة ، .... الخ .

الى جانب هذا ركزنا كثيرا على متغير آخر هو السن نظرا لاهمية في تحديد مكانة ربة البيت المسؤولية ، وغيرها من الامور التي سوف تتضح عند التحليل .

2 . <u>توزيع المبحوثات حسب فئات السن</u> :

لقد صنفنا المبحوثات حسب فئات السن نظرا لأهمية هذا المتغير في التفسير و التحليل و الربط بين المتغيرات الاخرى للوصول الى بعض النتائج التي تهدف اليها الدراسة .

ولقد اتضح بعد تفريغ البيانات ان المبحوثات ينقسمن الى ثلاث فئات من العمر كما يتضح من خلال هذا الجدول .

---

(*) قد يظنّ ان هذه المناطق - كالقبة - لا تقتصر على الاحياء الشعبية الحضرية فقط ، وللتوضيح فان المبحوثات ينتمين الى فئة الاحياء الشعبية من هذه المناطق على وجه التحديد .

جدول رقم (8) يبين فئات السن للمبحوثات :

| فئات السن | عدد |
|---|---|
| - 40 سنة | 10 |
| 40 - 50 سنة | 18 |
| + 50 سنة | 12 |
| المجموع | 40 |

يتضح من خلال هذا الجدول ان المبحوثات يتوزعن الى ثلاث فئات من السن كما اشرنا اليه ، الفئة الاولى التي تمثل اكبر عدد في الجدول هي الفئة التي يتراوح عمرها بين (40 - و 50 سنة) ، ولقد سميناها بفئة النساء المتوسطات العمر اذ انها تتوسط كل من النساء المتزوجات الشابات (Jeunes Femmes.) اللاتي تتراوح اعمارهن اقل من 40 سنة وفئة العجائز اكثر من 50 سنة.

ان تقسيم المبحوثات بهذا الشكل هام جدا ، بحيث انه يبين ان مسؤولية المرأة في شراء لوازم البيت الغذائية لا تتركز الا عند فئة معينة بل تشمل كل الفئات.

وانطلاقا من هذا المتغير الذي هو السن لقد حاولنا ربطه بعدة متغيرات أخرى كما سيتضح لنا.

أ) لبـاس (شكـل) المبحوثات و هن في المجال الخارجي :

ان اهم ما يجلب النظر هو ان اغلبية المبحوثات لا تخرج الى المجال الخارجـــي الا و هن مغطات بالحايك (او الحجاب) ويتراوح عددهن بـ 36 مبحوثة ، و 4 فقط من بين 40 لا تضع اي شـــيء فوقهـــا .

و الفرق بين الحايك و الحجاب : هو ان الاول كما اشرنا اليه في الجانب النظري الخاص بالعائلة الجزائرية انه لحاف ابيض تتغطى به المرأة في الجزائر العاصمة عنـد خروجهـا من المنزل ، و الثاني اي الحجاب هو لباس شرعي وارد فـــي القرآن الكريم (سورة الاحزاب) . الا ان الهدف من لباسهما (الحايك ، الحجا ب) واحـد بحيث انـه يحجـب المرأة عن انظار الغير من جهة ، و يضمن لهـا الاطمئنان و الراحة النفسية . هـذا و ان ميل النساء الى لباس الحجاب اكثـــر بحيث انه يساعـد هن على استعمال ايد هن في حمل القفة . هـذا ما يتبين لنـا عنـــد التمعن في الجدول الاتي :

جـدول رقم (9) : يبين لباس المرأة في المجال الخارجي حسب فئات السـن :

| لباس المرأة / فئات السن | بالحايـــك | بالحجـــاب | لا تضـع اي شـــيء | المجمـــوع |
|---|---|---|---|---|
| - 40 سنـة | 02 | 04 | 04 | 10 |
| 40-50 سنة | 06 | 12 | — | 18 |
| + 50 سنـة | 04 | 08 | — | 12 |
| المجمـــوع | 12 | 24 | 40 | 40 |

ب ) الحالة العائليـة للمبحـوثات :

تعتبر الحالة العائلية للمبحوثات هـامة في تبيان العلاقة بمسؤولية المرأة (في شـراء لوازم البيت ) حسب السـن و المكـانـة الاجتماعيـة داخل العائلة . فحسب الدراسات السابقة حـول العائلة الجزائرية فـان المكانة الاجتماعية للمرأة لا تبرز الا عند فئـة العجائـز (الحماة ) و ذلك نظرا لسنهـا و خبرتهـا فـي الحياة ، ثم تـأتـي الارامـل لانهـن يعـوضن غياب الرجل عن البيت ، فيكتسبن بذلك عـدة خـبرات .

غير اننـا من خلال دراستنـا لبعض الحالات لاحظنـا ابراز عنصر آخر نسـوي قـد كـان غالبا لمدة طويلـة ، و هـو فئـة نسـاء المتزوجات على مختلف الاعمـار في تقسيـم الوظائـف و المسـؤولية مـع ازواجهـن . كمـا يتضـح مـن خلال هـذا الجـدول :

جـدول رقـم ( 10 ) : يبين الحالة العائلية للمبحوثات حسب السن :

| الحالة العائلية / فئات العمر | متزوجات: تعيش داخل اسـرة زواجيـة | متزوجات: تعيش داخل اسـرة ممتـدة | حمات: مع ازواجهن وابنائهن المتزوجين | حمات: تعيش في اسـرة زواجيـة | ارامل: تعيش مع ابنائها متزوجين | ارامل: تعيش لوحدها | المجموع |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| - 40 سنـة | 05 | 04 | — | — | — | 01 | 10 |
| 40-50 سنة | 13 | 03 | 02 | — | — | — | 18 |
| + 50 سنـة | — | — | 05 | 01 | 02 | 04 | 12 |
| المجموع الجزئي | 18 | 07 | 07 | 01 | 02 | 05 | 40 |
| المجموع الكلي | 25 | | 08 | | 07 | | |

من خلال هذا الجدول نجد ان الحمات او (العجائز) اللواتي يصل عددهن الى 08 عند كل من فئات المسنات و متوسطات العمر ، و هناك ايضا حمات و لكن ابناؤهن المتزوجين منعزلين عنهن تماما اي لا يسكنون في نفس المسكن . اضافة الى هذا هناك بعض المسنات لم تسمح لهن الظروف بان يصبحن حموات و لكنهن قليلات جدا .

و اما عدد الارامل فهن 07 ، و واحدة منهن فقط ارملة تأرملت في سن مبكر اي لا يتجاوز سنها الاربعين .

بينما تبقى الفئة الغالبة هنا فئة النساء المتزوجات و عددهن يصل الى 25 مبحوثة ، و 18 منهن يعشن في أسر زواجية .

ج ) المستوى التعليمي للمبحوثات :

يعتبر التعليم كاحد المقومات الاساسية في حياة المجتمعات الحديثة سواء كانت متقدمة او متخلفة ، لذلك بذلت الجزائر جهودا جبارة منذ الاستقلال الى الآن لتعميم التعليم و الرفع من مستوى الجماهير الشعبية التي عانت كثيرا من آفة الأمية التي خلفها الاستعمار خاصة في المناطق الريفية ، غير انه رغم الجهود التي بذلتها الدولة ، فان نسبة لا بأس بها من افراد المجتمع لم تحظى بالتعليم ولا زالت تعاني من الامية (لا تعرف لا القراءة و لا الكتابة) . و لذلك لا نندهش اذا علمنا بان اغلب المبحوثات أميات ، و تتمثل ايضا عند فئة المسنات و متوسطات العمر ، كما يظهر من خلال هذا الجدول .

جـــدول رقـم ( 11 ) : يبين مستوى تعليم المبحوثات حسب فئات العمر :

| المستوى التعليمي / فئات العمر | اميـــــة | ابتدائي | متوسط | ثانوي | المجموع |
|---|---|---|---|---|---|
| - 40 سنـــة | 02 | 03 | 04 | 01 | 10 |
| 40-50 سنة | 16 | 02 | — | — | 18 |
| + 50 سنـــة | 11 | 01 | — | — | 12 |
| المجمـــوع | 29 | 06 | 04 | 01 | 40 |

يتضح لنا من خلال هذا الجدول ان اغلبية المبحوثات أميات و يصل عددهن 29 تتراوح اعمارهن من 40 سنة الى ما فوق ، وتبق الفئة التى نالت قسطا من التعليم هي فئات النساء الشابات ( Jeunes Femmes. ) 04 منهن عندها المستوى المتوسط و 03 المستوى الابتدائي ، و واحدة 01 لها المستوى الثانوي .

3 . توزيع المبحوثات حسب اصلهن الجغرافيي :

لا شك ان الاصل الجغرافيي للمبحوثات لا يقل فيي هذه الدراسة لما لهـــذا التغير من اهمية فيي تحديد تصرفات و تصورات المبحوثات.
فان تباين المجتمع الريفيي عن المجتمع الحضري فيي عدة جوانب قد ينعكس بصفـــة خاصة على حياة المرأة وذلك فيي مختلف نشاطاتها اليدوية و الثقافية ، و تصوراتهـــا و اعتقاداتهـــا الخاصـــة .

لقـد حاولنا من خلال عرض الجدول الاتي الربط بين متغيرين آساسيين ( الاصـــل الجغرافيي و الحي السكنيي للمبحوثة ) نظرا للعلاقة الوطيدة بينهمـــا .

فان الملاحظ اليوم لخريطة توزيـع السكـان بالجـزائر يجـد ان تمركـز السكـان فـــي بعض احياء الجـزائر العاصمة يكـون وفقا للاصـل الجغرافيي و مـدة و تاريخ الاقامة .

جدول رقم (12) : يبين الاصل الجغرافي للمبحوثات حسب الاحيـــاء السكنيـــة

| الاصل الجغرافي / الاحياء | القبائل الكبرى | | | القبائل الصغرى | | | ضواحي العاصمة | | | مناطق أخرى | | | ولدت في العاصمة | | | المجموع |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | قبل 54 | 54-65 | منذ 65 | قبل 54 | 54-65 | منذ 65 | قبل 54 | 54-65 | منذ 65 | قبل 54 | 54-65 | منذ 65 | قبل 54 | 54-65 | منذ 65 | |
| القبة القديمة | 02 | — | 01 | — | 01 | 01 | — | 02 | — | 01 | — | 01 | 02 | — | — | 11 |
| حي المنظر الجميل القبة | — | 05 | — | 02 | 01 | 01 | — | — | — | 02 | — | — | — | — | — | 11 |
| حي الناظور بالمدنية | — | — | — | 02 | — | — | — | — | — | — | — | — | — | 01 | — | 03 |
| حي فرحات بوسعد وضواحيه باول ماي | 02 | 03 | 01 | — | 01 | — | — | — | — | — | — | — | — | — | — | 07 |
| حي سقالة جسر قسنطينة | — | — | — | — | — | — | 02 | — | — | — | — | — | 03 | — | — | 05 |
| احياء أخرى باب الوادي الينابيع بئر خادم | 01 | — | — | — | — | — | — | — | — | — | — | — | 02 | — | — | 03 |
| المجموع الجزئي | 05 | 08 | 02 | 04 | 03 | 02 | 02 | 02 | — | 03 | — | 01 | 07 | 01 | — | 40 |
| المجموع الكلي | 15 | | | 09 | | | 04 | | | 04 | | | 08 | | | |

ان اهم شيء يجلب النظر عند قراءة هذا الجدول هو ان اغلبية المبحوثات من اصل ريفي ، وبالضبط من القبائل ويصل عددهن الى 24 مبحوثة واغلبهن يسكن في احياء قديمة ومعروفة منذ العهد الاستعماري (كالقبة القديمة ، وحي المنظر الجميل ) . أن هذه الخاصية بدون شك قد تساعدنا كثيرا في التحليل والدراسة لما لأهمية الاصل الجغرافي من تأثير كما اشرنا اليه على سلوك وتصورات الافراد .

وصف ميدان الدراسة : (طابور المواد الاستهلاكية الاساسية)

ان اول نقطة يجدربنا التطرق اليها في هذا الوصف هي ان ايام العمل بالمساحات التجارية الكبرى ليست موحدة ، فهناك من تفتح ابوابها للمستهلكين ابتداء من يوم الاحد الى غاية يوم الجمعة ، غير ان ساعات العمل موحدة ، بحيث انها كلها تفتح ابتداء من الساعة التاسعة صباحا الى غاية منتصف النهار 12 سا ، ثم من الساعة الثانية زوالا الى غاية الساعة السادسة مساء ، اما في شهر رمضان نجدها لا تتوقف عن العمل طول النهار وتستأنف عملها بعد الافطار (*) .

واما عن المستهلكين فاننا نلاحظهم عند ابواب المساحات التجارية الكبرى قبل ان تفتح ابوابها احيانا ، وهذه الملاحظة تعني المسنات خاصة .

ويكون كلا من الرجال والنساء طابورين منفصلين في بعض الاحيان ، وطابورا واحدا مختلطا بين الجنسين احيانا أخرى .

وحسب التوضيحات التي استقيناها من بعض مسؤولي المساحات التجارية الكبرى ان هذا الاختلاط في بعض الطوابير لا يدخل في التنظيم الداخلي بل هو نتيجة لظروف مادية حتمية ، وحتمية الاختلاط ناتجة عن عدم توفر الهياكل اللازمة لاستيعاب هذا العدد الضخم من المستهلكين ، ولتسهيل عملية البيع عمدت المؤسسة الى اختصار طابورين في طابور واحد في حالة توزيع المواد الاستهلاكية في الداخل .

---

(*) لقد تلقينا هذه المعلومات عند بعض المسؤولين اروقة حسين داي (شارع طرابلس) .

أما عند توزيع المواد الاستهلاكية خارج ابواب المساحات التجارية الكبرى فهذه الحالة يتم فيها تكوين طابورين منفصلين نظرا لاتساع المجال واما صندوق التخليص ( La Caisse. ) فانها تكون دائما في الداخل ويتم التوزيع بطريقة منظمة (بالضبط 10 نساء مقابل 10 رجال مثلا .

ومهما يكن من تفسير فان الذي يهمنا هنا هو تركيبة المستهلكين الذين نجدهم امام ابواب المساحات التجارية الكبرى منذ ان تفتح ابوابها واحيانا قبل فتحها ، فطابور الرجال يتكون في معظمه من المسنين (الذين هم في حالة التقاعد ) وبعض المراهقين ( تتراوح اعمارهم ما بين 14 الى 23 سنة تقريبا ) الذين هم في حالة بطالة ، وبعض الرجال متوسطي العمر.

وبالنسبة للمراهقين البطاليين فنجدهم يستغلون فرصة شراء المواد الاستهلاكية المفقودة باسعار منخفضة لبيعها ثانية بثمن أعلى من اجل الكسب. ولقد لاحظت هذه الظاهرة داخل الطابور عندما لا يتمكن احد المستهلكين من اقتناء مادة استهلاكية ما سيشتريها عند هؤلاء الشباب وذلك بعيدا عن انظار رجال الأمن .

واما طابور النساء فانه يتكون من النساء المسنات وغير المسنات الى جانب هذا يمكن القول ان الطابور يتميز عموما بعدم الانضباط والفوضى في صفوف الرجال والنساء على حد سواء . هذا ما يدفع بالمسؤولين استدعاء الشرطة لوضع حد للخلافات الحادة التي تحدث بين النساء او بين النساء والرجال ، واحيانا بين المستهلكين ورجال الشرطة ، او مع موظفي المساحات التجارية الكبرى .

---

واحيانا يثور المستهلكيـن على التجاوزات كوجود بعض الاشخاص الذين لا يحترمـون الطابور ، ويتمثل هؤلاء الاشخاص في فئة الامن او الدرك الوطني او العجزة ( Les Invalides. الذين يدخلون بيطاقتهم مباشرة للتمون بما يريدون من مواد استهلاكية (*) ان المستهلك يرفض اي نوع من التمييز والافضلية مهما كانت نظرا للجهد والتعب الذي يبذله للحصول على مادة استهلاكيـة معينـة .

اما كيف تعرف المستهلكات وجود المواد الاستهلاكيـة في مساحة تجارية معينة فعن طريق : وجود شاحنة المؤسسـة للتوزيع حاملة معهـا المواد الاستهلاكية ، او حظور الشرطة ، أو اكتظاظ الناس امام الابواب فينتشر الخبر بينهن عن طريق الملاقاة والاحتكاك الاجتماعي . وتسرب الخبر يجعـل هـذه الفئة كثيرة التنقل ابتداء من خروجهـا من البيت الى غايـة المكان المقصود ، وهي تستعمل في تنقلهـا من مكان الى آخـر وسائل نقل معينة كالحافلة ، القطار ، ام مشيا على الاقدام اذا كانت المسافة غير طويلـة . كما نجد هـا تنتظر في محطة الحافلة ( [illegible] ) زمنا طويلا حتى تأتي الحافلة وهي مكتظة بالركاب فتجد صعوبة في الصعود . وعنـد وصولهـا تمكث فـي الطوابـر زمنـا طويـلا ايضا وعندما تبـدأ عملية البيع فان المستهلكة قد تجـد المواد المفقودة وقـد لا تجد هاأو لا تتحصل عليهـا ، وهـذا ما يولـد حصرة كبيرة في نفسهـا وترجع الى البيت منكسـرة الخاطر (*) .

---

(*) لم اخصص هنا المواد الاستهلاكية الاساسية لانه يوجد ايضا بعض الطوابر علـى المواد الاستهلاكية الاخرى كالاواني ، والاجهزة الالكترونية والكهربائية الخ ... غير انني لم اقم بملاحظـة مثل هـذه الطوابـر.

(**) في بعض الاحيان لا تتمكن المساحات التجارية الكبرى من توزيع المواد الاستهلاكية رغم تسرب اخبار صحيحة عن توزيعهـا وذلك عن طريق الموظفين انفسهم والسبـب في ذلك حسب تفسيرات المسؤولين يرجع الى بعض المشاكل غير المتوقعـة بحيث انهم يرسلون شاحنتهم للتمون بمادة استهلاكية ما ، ولكن لا تعود طول النهـار بسبب العراقيل التي تتلقاهـا من طرف مؤسسـة التوزيع ( EDIPAL ) .

غير انه رغم كل التعب و المشقة التي تصيب المستهلكة فان فرصة الخروج هذه تتيح لها امكانية اكتساب خبرة معينة في مواجهة العالم الخارجي ،اذ انها تتنقل من حي لآخر و من دائرة الى أخرى و هكذا ، وكما تكتسب خبرة ايضا في التصرف في كميات النقود الموجودة في حوزتها ، و ذلك في الشراء و التدبير و الاقتصاد ايضا . الى جانب هذا فان الطابور يتيح لها الفرصة لتكوين علاقات اجتماعية جديدة . وفيما يخص هذه النقطة الاخيرة سوف نتطرق اليها بالتفصيل .

تمهيـــــــــد :

بنـــاءًا على ما رأيناه مـن خـلال الاشكاليــة و الفرضيـات المطروحـــة سابقـــا سنحاول معرفـــة ما هي فئـــات سـن النســاء اللاواتي يتردد ن على الطابـور ؟

فهل هذه الظاهـرة أي الطابـور خاصـة بالمسنات فقـط ام انها عـامـة ، وتتردد عليهـا النسـاء غير العامــلات اي الماكثـات في البيت لمختلف الاعمار ؟

سنناقــش ذلك انطــلاقا من الفرضيــة الاولـى التي كنـا قـد طرحناهـــا .

المبحـث الاول : فئات سن النساء المترددات على الطابـور :

تعتبر نـدرة المواد الاستهلاكيـة كدافـع لربـة البيت في ان تتحمـل مسؤولية شــــراء المـواد الاساسيـــة .

1 . مسؤوليـــة ربـة البيت في شراء المواد الاستهلاكيـــة :

بعـد تحليل البيانات و المعلومات المتحصل عليهـا خلال الدراسة يتبيـن لنـــا ان مسؤوليـــة ربـة البيت في حصولهــا على المواد المذكورة لم يكـن نتيجـــة لتعود ها على ممارسـة عمـل مأجـور (خارج البيت) من قبل ، بـل تعـــد كنتيجـــة حتمية لظروف اجتماعيــة و اقتصاديــة مثلا نـدرة المواد الاستهلاكية ، و هي موضوع الدراسة واخرى تفصح عنهــا المبحوثات ( كمرافقة الابناء لقضاء الحاجيات الضرورية ) . . . الخ

ويتضح ذلك من خلال الجدول الاتي :

- الجدول رقم (13) ممارسة المبحوثات عملا مأجورا في الماضي :

| ممارسة العمل في الماضي / فئات السن | كانت تعمل | لم تعمل | المجموع |
|---|---|---|---|
| - 40 سنة | 03 | 07 | 10 |
| 40 - 50 سنة | — | 18 | 18 |
| + 50 سنة | 04 | 08 | 12 |
| المجموع : | 07 | 33 | 40 |

بعد دراسة الجدول السابق يظهر لنا ان (33) مبحوثة لم تمارس عملا مأجورا في الماضي ، وهذا عدد كاف اذا قورن بالعدد سبعة (7) الباقي الذي تمثله بعض المبحوثات اللاتي كن يزاولن ذلك ، ومن بينهن (07) مبحوثات اقل من (40) سنة ، (02) منهما كانتا تشتغلان في الضرب على الالة الراقنة والثالثة موزعة هاتف اي ( Standardiste. ) .

اما الاربعة الباقيات تمثلها النساء اللواتي كن يشتغلن لمدة طويلة اثناء الاستعمار الفرنسي بالجزائر كخادمات بيوت اي ( Femmes de Menages. ) وهن حاليا في حالة التقاعد .

ولكن رغم هذه المعطيات الدالة على ان اغلبية المبحوثات لم تمارس اي عمل كان في السابق فانهن يتمتعن بمسؤولية وخبرة كبيرة في انتقاء المواد الاستهلاكية والامور الاخرى الاساسية المحتاجة اليها الاسرة .

كما يبدو لنا خلال الجدول التالي :

- الجدول رقم ( 14 ) : يبين درجة مسؤولية النساء في شراء المواد الاستهلاكية حسب فئات السن :

| درجة المسؤولية / فئات العمل | مسؤولة كليا | مسؤولة جزئيا | المجموع |
|---|---|---|---|
| - 40 سنة | 07 | 03 | 10 |
| 40 - 50 سنة | 17 | 01 | 18 |
| + 50 سنة | 12 | — | 12 |
| المجموع : | 36 | 04 | 40 |

من المؤكد ان اهمية هؤلاء النساء كبيرة خاصة ضمن الاسرة وذلك نتيجة للمسؤولية التي تقع على عاتقهن ، اذ يعوضن غياب الرجل عن البيت طوال النهار وهو في العمل المأجور والاطفال في المدرسة لذا نجد ( 36 ) مبحوثة لمختلف الاعمار مسؤولات بالدرجة الاولى عن كل ما تحتاج اليه الاسرة.

غير ان السؤال الذي يطرح نفسه ويمكن لكل واحد التفكير فيه هو كيف يمكن لهؤلاء المبحوثات التوفيق بين اشغال البيت والخروج للقيام بالطابور ؟

- تقسيم الوظائف بين نساء نفس الاسرة :

ايضا ما يمكن الاشارة اليه الى جانب التساؤل الاول هو هل تكون المسؤولية الجديدة المكلفة بها ربة البيت على حساب مهامها المتمثلة في حراسة المنزل ، والاشغال المنزلية ؟

ذلك ما سنحاول معرفته من خلال تحليلنا لبعض الجداول التي توضح هذا :

- الجدول رقم (15) : يبين اضطرار ربة البيت الى غلق الباب بعد خروجها حسب فئات السن :

| فئات السن / اللجوء الى غلق الباب | تغلق الباب | لا تغلق | المجموع |
|---|---|---|---|
| - 40 سنة | 08 | 02 | 10 |
| 40 - 50 سنة | 05 | 13 | 18 |
| + 50 سنة | 02 | 10 | 12 |
| المجموع | 15 | 25 | 40 |

ازا كان البيت قد تعود على حارس يحافظ عليه اثناء غياب الاعضاء الآخرين ، فان هذا الاخير اي المرأة يجد نفسه هو الآخر مضطر لغلق الباب والتأكد من غلقه للتوجه نحو المحلات التجارية العمومية (*) ، وقد عبرت عن هذا (15) امرأة من (40) حالة مدروسة ، ومن بينهن (08) نساء تتحدد أعمارهن اقل من (40) سنة.

الا ان هذا قد يؤدي بالنساء للاحساس بالقلق اثناء مغادرة البيت خوفا من عودة احد الابناء من المدرسة وعدم وجودها هناك هذا من جهة ، ومن ناحية أخرى نلاحظ في نفس الجدول عددا لا بأس به من النساء اللواتي لا يغلقن الباب عند خروجهن ، (13) منهن تتراوح اعمارهن بين 40 و 50 سنة ، (10) منهن اكثر من الخمسين.

يدفعنا كل ذلك الى افتراض متغيرات اخرى غير متغير السن كنوعية الاسرة مثلا ، يتضح هذا في الجدول التالي حيث نعالج ذلك :

---

(*) لقد فضلنا استعمال كلمة (غلق الباب) بناء على ملاحظتنا ان بعض المبحوثات تستعمل كثيرا هذه الكلمة.

الجدول رقم (16) : تقسيم الاشغال بين نساء نفس الاسرة حسب نوعيتها وفئات السن

| فئات العمر / تقسيم الاشغال حسب نوعية الاسرة | اقل من 40 سنة | | مابين 40و50 سنة | | أكثر من 50 سنة | | مجموع اللواتي تغلق الباب | مجموع اللواتي لا تغلق الباب | المجموع الكلي |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | تغلق الباب | لا تغلق | تغلق الباب | لا تغلق | تغلق الباب | لا تغلق | | | |
| اسرة زوجية توجد فيها امرأة واحدة | 06 | — | 05 | — | 02 | — | 13 | — | 13 |
| اسرة زوجية توجد فيها اكثر من امرأة | — | — | — | 08 | — | 01 | — | 09 | 09 |
| اسرة ممتدة يوجد فيها عدد من النساء | 02 | 02 | — | 05 | — | 09 | 02 | 16 | 18 |
| المجموع الجزئي | 08 | 02 | 05 | 13 | 02 | 10 | 15 | 25 | 40 |
| المجموع الكلي | 10 | | 18 | | 12 | | 40 | | |

ان نوعية الاسرة وعدد النساء فيها لها تأثير مباشر في تقسيم الوظائف بينهن . هذا ما ظهر لنا في الجدول السابق بحيث ، ان (06) نساء اللواتي تتراوح اعمارهن اقل من 40 سنة ، تجد نفسها مجبرة على غلق الباب اثناء خروجها الى المحلات التجارية العمومية باعتبارها تعيش ضمن اسرة زواجية ولا تجد اي امرأة أخرى داخل الاسرة لتعويضها عند غيابها عن البيت ، ولتقسيم وقتها بين ضرورة الخروج لشراء المواد الاستهلاكية الاساسية والاشغال المنزلية قد تضطر هذه الاخيرة الى القيام باعمال البيت في الليل وتتولاها اثناء عودتها الى المنزل .

كما قد نجد بعضهن تضطر الى اخذ اطفالهن الصغار معهن باعتبار صغر سنهم ، هذا ما جاء في اقوال بعض النساء :

- (( نغلق الباب معندي حتى واحد يعسلي الدار ، نخدم الشغل في الليل والصباح نروح نديرلا شان )) .

- (( نغلق الباب ، ندي معيا هذا الطفل الصغير ونخرج من نهار بدت نرضع ما خرجتش ، بناتي يروحو يتعلمو الخياطة مكنش شكون يعسلي الدار )) .

- (( نغلق الباب ، ونولي بالخف باش نخدم شغلي ))

يعتبر دور المرأة هذا اي الجديد كامتداد لاعمالها المنزلية رغم حدوثه خارج المنزل ، لانه عمل مأجور. غير ان النساء كان لهن رد فعل يتمثل في عدم القبول للتغير الذي طرأ على حياتهن ، بحيث انهن يحاولن في كل مرة تبرير خروجهن من البيت فيشعرن بذلك بتقصيرنحو الاشغال المنزلية التي كان من المفروض اعطائها الاولوية والاهتمام الكبير حسب رأيهن .

ذلك ايضا ما لاحظته في الداربر اذ ان حديث النساء لا يتمحور الا حول اعمالهن المنزلية التي يجدنها عند عودتهن ، وضمن هذا المضمار فاني سمعت ذات يوم امرأة في الثلاثينات تشتكي للحاضرات معها قائلة :

-((والله غير الفراش قعد هكذاك ، ملي خرجت صباح رحت حتى لرويسو ، والبارح حتى لتزيار على جال بواطة طوماطيش اوكان غير جبت معيا كاش حاجة ضيعت وقتي بسرك ))

وكان هذا يوم 12 . 10 . 1987 امام اروقة القبة على التاسعة والربع صباحا .

كان لي استجواب آخر في نفس الموضوع مع امرأة اخرى تبلغ حوالي أربعين سنة (( دراك يبنتي نفهمك شوفيي مليح معيا الزمان كاش تبدل رنا قاع هملين على كرشنا ، الزيت مكانش ، الصابون كيفكيف لصاب حاجة مكنش متلو )) .

ثـم اكملـت قائلـة :

(( الرجـل يخرج يخـدم المـرأة بسيف تعمـل تجـب الحاجـة ، ربما فـي وقـت صعيـب اوكـان اعطـى ربي المـرأة تقعـد في الـدار، تطيـب ماكلـة نقيـة سخـونـة تكلمهـا هـي و ولادهـا بطباع ، وتخـدم بيدهـا الصـوف لولادهـا وللنـاس تربـح الـدارهـم ، المـراس يفلسـو ، الرجـل واش يلحـق وحـدو )) .

جـرى هـذا الحديـث يـوم 1987.11.04 مـع هـذه المـرأة التي كانـت عائـدة الى بيتهـا فـي انتظـار القطـار الـذي يتوجـه الى بـوفاريـك لانهـا انتقلـت الى منطقـة الحـراش لشـراء وعـاء الزيـت ، كـانـت الساعـة الثانيـة زوالا .

حـديث هـذه المـرأة يجعلنـا نستنتـج ان النسـاء واعيـات بـوضعهـن الجديد والتغير الـذي طـرأ علـى نظـام حياتهـن الاجتماعيـة وذلك باستعمـالهـا لعبـارة (زمـان تبـدل ) ،اذ انهـا تـدرك بوضـوح أهميـة خـروجهـا الذي هـو مـن أجـل تمـويـن افـراد أسرتهـا بالمـواد الاستهلاكيـة الاساسية بالاضافـة ايضـا الـى استعمالهـا لعبارة (هطين على كرشنـا ) .

وكلمـة هطيـن جـاءت لان النسـاء لاحظـن نـوعـا من التذبـذب في وقتهـن وكيفيـة استخـدامـه ، حيـث نجـد هـن يخـرجـن بطريقـة غير منتظمـة علـى حسـاب اشغالهـن البيتيـة التي يعتبرنهـا ذات أهميـة كبيرة لانهـا تستحـق هـذا .

الى جانـب تذبذب وقـت ربـة البيت فانهـا تحسب ان قيامهـا بالطابـور هـو بمثابـة العمـل الاضافي الذي تبذل فيـه قـوة عضليـة معينـة يستغرق وقتـا غير محـدد احيـانـا .

قد تحس هذه الاخيرة اثناء عودتها الى البيت باحساس ثنائي مزدوج من جهة فهي مفيدة كونها قد بذلت مجهودا معينا لصالح اسرتها ، ومن ناحية اخرى قد تشعر انها ضيعت وقتها هباءا! واهملت اشغالها المنزلية خاصة اذا عادت فارغة اليدين .

وتعبيرا عن هذا الوضع الجديد تستخدم المبحوثات كلمات معينة (كالخدمات) مثلا او ( عمل اضافي ) ( Travail Supplémentaire. ) كما ورد في اقوالهن :

- (( المرأة ولات حالتها معردة بين برى والدار ، ولهينا كالخدمات كفكف ، بصاح دورك عندها تجربة ، وتنحي على خطرها ، درك المرة والت كالرجل مستوى واحد ، قليل وين تصيبي امرة ما خلهاش رجلها تخرج )) (اقل من 40 سنة ) .

* كما تقول مبحوثة اخرى (اقل من سن 40 )

(On reste des heures, et des heures et des heures devant la chaîne c'est un travail supplémentaire ).

(( الرجل يكل ويرقد ما عليهلو بوالو ))

* تقول اخرى في ( سن 40 و 50 سنة ) :

(( ولينا كالخدامين ، يدري تجب يدري لالا المرة يروح جهدها ، كتولي للدار ما تقدر تخدم والو )) .

غير ان في بعض الحالات قد تخرج المرأة وهي مطمئنة البال لما تتقاسم الوظائف المنزلية مع نساء نفس الاسرة الاخريات كوجود بنت كبرى او زوجة الابن اي (عروسة) تهتم بشؤون البيت الداخلية .

فاذا عدنا ثانية الى الجدول السابق فيبدو لنا مباشرة وجود (8) نساء من الفئة المتوسطة العمر لا تغلق الباب عند خروجها على الرغم من انها تعيش ضمن اسر زواجية ، والسر في هذا وجودها في وضعية اجتماعية مختلفة ، اذ انها غالبا ما تتقاسم الوظائف المنزلية مع بناتها اللواتي يؤمن لهن البيت عند غيابها ، خاصة اذا كانت هذه الاخيرة لا تدرس ولا تزاول اي عمل خارج البيت ذلك ما صرحت به نساء هذه الفئة اثناء اجراء استجواب معهن :

- (( نخلي البنات عواتق في الدار ))

- (( نخلي الدار و الدراري لختهم الكبيرة ،اوكان ماشي هي شكون يخدم الشغل )) .

هذا يعتبر جملة ما استخلصته كذلك من خلال الملاحظات التي قمت بها في الطوابير ، اذ انني سمعت احدى النساء تشتكي للحاضرات قائلة : ((انا اليوم ما جيتش بكري ، خطرش بنتي ما نضتش بكري )) فسألتها احداهن : ((شحال في عمرها بنتك ؟)) ، فاجابتها امها : (( 18 سنة )) ثم علقت السائلة قائلة : (( انا 14 سنة تزوجت ، اوكان عندي العجوزة و الشيخ وصبرت و خدمت على قاع الدار العيال )) غير ان امها اي ام البنت أجابت : (( ما تخفيش والله غير ما خرجتش حتى ضربتها )) .

اود ان اشير في هذا الصدد الى ان ما جاء فيما سبق عن فئة النساء المتوسطة العمر البالغات حوالي (45 سنة) ، كان التقائي بهن في الطابور امام اروقة باب جراح يوم 18.01.1987 بين الساعة العاشرة و الثانية عشر زوالا .

ان اهم ما يمكن استنتاجه من خلال الحوار السابق هو استمرارية النموذج العائلي التقليدي الذي يتجلى في محاولة الام استنساخ القيم و المعايير الاجتماعية عن طريق تربية البنت .

نفس الشيء ينطبق على الحموات اللواتي يتمثلن في فئة المسنات (اي اكثر من 50 سنة) و بعض نساء الفئة المتوسطة العمر (40 - 50 سنة) ، فنلاحظ ان هذه الاخريات قد ساعدتهن الظروف العائلية و مكانتهن الاجتماعية للخروج الى المساحات التجارية العمومية ، دون لجوئهن لوصد الباب بالمفتاح باعتبارهن يحيين بين احضان اسر ممتدة تتألف من نساء كثيرات في اغلب الاحيان . و هذا النوع من النساء كما سبق ذكره يتقاسمن الوظائف فيما بينهن .

فالحماة مثلا اي (العجوزة) هي التي تتولى شراء المواد الاستهلاكية الاساسية لتموين البيت و اما وجود العازبات و زوجة الابن فان هذا يساعد على اداء الاشغال المنزلية الداخلية .

و اذا اعدنا الى قراءة الجدول يتضح لنا وجود (09) نساء على هذه الوضعية وهن اللواتي (ادليـن) بوضعيتهن الحالية كما يلي :

- (( نخلي فيي الدار عروستي ، زمان ككان معندش العروسة كنت مـا نخرجش )) .

- (( نخلي بناتي وعرايسي يعسو الدار ويخدمو الشغل )) .

هذا ما يدفعنا الى القول ان درجة اعتماد بعض النساء على البيت عند خروجهن تسمح لهن بتحديد فترة البحث عن المواد المفقودة وشرائها ، سيتضح ذلك خلال تركيب الجدول الموالي :

جدول رقم (17) : الاوقات التي تحددها النساء للخروج حسب فئات السن :

| الفترة المحددة للخروج / فئات السن | كل يوم: فترة الصباح | كل يوم: فترة المساء | في بعض ايام الاسبوع | المجموع |
|---|---|---|---|---|
| + 50 سنة | 04 | 08 | — | 12 |
| 40 - 50 سنة | 07 | 05 | 06 | 18 |
| - 40 سنة | 03 | 02 | 05 | 10 |
| المجموع | 14 | 15 | 11 | 40 |

رغم وضوح الجدول السابق فانه بامكاننا التعليق عليه حيث نقول ان فئة النساء المسنات من اللواتي يخرجن كل يوم الى المساحات التجارية العمومية ، وبعد المقابلات التي اجريناها لاحظنا ان (08) منهن كما ادلين بصريح اللسان يخرجن في فترة الصباح والمساء على حد سواء، تليها في المرتبة الثانية النساء المتوسطات العمر ، فقد نجد (12) مبحوثة تنطلق كل يوم ، الا ان هناك (07) منهن من نفس الفئة يحددن اوقاتهن في فترة الصباح ،الى جانب (06) نساء اخريات يخرجن في بعض ايام الاسبوع ،فان دل هذا على شيء فانما يدل على مدى محاولة هؤلاء النساء التوفيق بين مسؤولية البيت وخارجه ،خاصة ان كان هناك اطفال صغار فهن يعملن على توفير حاجياتهم او يصعب الخروج ايضا لاسباب شتى منها ممارستهن لنشاط يدوي مثلا . سنحاول التوسع اكثر في هذه الفكرة الاخيرة في الفصل الموالي .
لا ننسى نوعا آخر وهن اللواتي لا يخرجن كثيرا الا اذا اضطرتهن الضرورة كشراء اللوازم الاساسية من مواد استهلاكية او غيرها فاعمارهن اقل (من 40 سنة) والاسباب سبق الاشارة اليها او لأخرى ، فقد تضطر بعضهن للرجوع الى المنزل قبل عودة الزوج ، والا سينجم عن هذا مشاكل كثيرة تؤثر على الحياة العائلية ، باعتبارهن لم يعلمن الازواج بهذا التصرف.

ولقد ادلت احدى المبحوثات بتصريح كما يلي : (( عندي واحد عيسن من بديت نخرج ، من نهار بديت هذ لاشان ، مام ميكونش الرجل نخرج بلا علمو ،نسرق مع نساء جيراني ونجي قبل ما يلحق )) .

استنادا الى هذا القول نستخلص نوعين للنساء فهناك من تخرج دون علم الزوج خفية مع اخذ الحذر والاحتياط، ونوع آخر بعلمهم او بعلمه وقد يعود هذا الى ان احتكاك المرأة ربة البيت الشابة ( Jeune Femme. ) بالمجال الخارجي متعلق بالحاجة - خاصة وان النساء المسنات في المجتمع لا يشكلن اي حرج او قلق بالنسبة للرجال اثناء خروجهن.

ان التصرفات النسوية تجاه الخروج ناتجة عموما عن تصورات معينة حول كيفية تقسيم المجال وتوزيع الادوار و المكانات الاجتماعية بينها وبين الرجل.

المبحث الثاني :

- التناقض الموجود بين التصورات النسوية و الواقع :

عند خروج ربة البيت الى الخارج وقيامها بالطابور تتكون لديها مجموعة من التصورات حول نفسها وتعتبر هذه الاخيرة اي التصورات منبثقة من النظرة الاجتماعية اليها . فنجدها في سلسلة من التناقضات بين أهمية الخروج الى المجال الخارجي نتيجة لندرة المواد الاستهلاكية ، وبين ردود الافعال التي تتعرض لها من قبل الآخرين (الرجال ) حاضرين كانوا في عين المكان ام باعة اذ يرون ان مكانها الحقيقي هو البيت فقط.

1 . تثبيت تقسيم المجال بين الرجل و المرأة :

عند ملاحظة طوابير الجزائر العاصمة حول توزيع المواد الاستهلاكية الاساسية لأول وهلة نجد بانها تحتوي على عدد كبير من النساء الا ان أغلب هذه المجموعات الهائلة غير راضية في قرارة انفسهن بوضعهن الجديد لانهن في محاولات دائمة لتبرير دوافع الخروج ، كذلك نتيجة لما تعانيه من صراعات و ضغوط من طرف الرجل . فمن ناحية تتلقى موافقة الرجل باعتباره زوجها على الخروج ، و شراء المواد الاستهلاكية ثم قيامها بالطابور لكونه غير قادر على ذلك لانشغاله طول النهار ، و من ناحية اخرى تجد معارضة الرجل الاخر الذي يقابلها في الطابور ،حتى العامل في المساحات العمومية اذ لا يحترم وجودها اطلاقا ، قد نرد هذا التصرف لكونه يرى ان مكان المرأة الاصلي هو البيت ، و وجودها خارج بيتها يعد خروجا عن القالب الاجتماعي الجزائري كما ورد في اقوال المبحوثات.

- (( كاين ليسب و كاين ليقول بهدلتونا ،الرجال يخزو بالنساء ))
تتراوح اعمارهن ما بين (40 - 50 سنة).

- (( هذاك ليسربي يقول عيب لتحب تقسر تدي معها صحبتها وتطيب لها قهوة في الدار )).

ان المرأة ضمن هذا القالب الاجتماعي تعتبر حرمة الرجل فلا بد ان تبقى في البيت محافظة على شرفها الذي هو شرف زوجها ، و عبارة (بهدلتونا ) المستعملة سابقا هي تعبير عن خيبة الرجل و عدم الشرف ، فما يؤكد هذا ايضا كلمة اخرى في القول الثاني (عيب) اذ تعبر عن التحدي لحقوق الرجل . فالمرأة اذن لا عليها ان تتجاوز مجالاتها التي اعدت لها حيث تكمن مسؤولياتها و علاقتها فان حدث ان خرجت الى العالم الخارجي فيكون ذلك بوصي عنها اما الزوج ام الحماة ان كانت في سن معين .

و دائما مع نفس السياق القيمي المعياري تحاول ربات البيوت تبرير وجود هن خارج بيوتهن الذي يعود للضرورة فحسب ، وليس حبا فيي الخروج لذاته ، فنجد هن يسعين د وما للمحافظة على صورتهن التي رسمها لهن النسق القيمي الاجتماعي لذى نلاحظ معظم الاراء النسوية جاءت مدعمة لفكرة تقسيم المجال بينهن و بين الرجال كما يتضح من خلال هذه الاقوال :

- (( لا شان ماشي مليحة ، اوكان غير تتنحى و المرة تقعد مستورة فيي الدار المرة والت كالهجالة و الرجل ما عند وش خبر )) . اعمارهن ما بين ( 40-50 سنة )

- (( حالة النساء تبهدلت ، يسبوهم و علاش ما تقعد وش في الدار ، خلاصت الحرمة ، و المرأة عفست نفها ، المرة كانت سلطانة اود رك عايشة معند هاش قيمة ) (اكثر من 50 سنة ) .

- (( الرجال يشكو منا ، بلي قاع النسا خلو د يورهم )) اعمارهن (اقل من 40 سنة ) .

ازا تمعنا جيدا فيي اقوال هؤلاء النساء لمختلف الاعمار سنلاحظ اعادة صياغة او ترجمة للصورة المتكونة من قبل الرجال عنهن .

ان المرأة حتى تعبر عن وضعيتها الحالية قد استخدمت عبارات قد يظن البعض لاول وهلة انها فيي غير محلها كمثل عبارة ((والت كالهجالة )) واخرى (( و الرجل ماعند وش خبر )) ، فتشبيهها بالارملة انما هو حقيقة احس بها الرجل حينما اراد لها البقاء في البيت لكونها اعتدت حسب نظره على خدماته ، كما لاحظت هي الاخرى ان معظم تصرفاتها و سلوكاتها تجري فيي مجال واسع دون مراقب من قبله اي الرجل .

ولا يسعنا الا ان نضيف ان هذه الصورة التي وضعتها ربة البيت لنفسها قد تزيد او تنخفض درجتها حسب سن المرأة و مكانتها الاجتماعية .

2 . تأثير السن و المكانة الاجتماعية في خروج المرأة للطابور :

قد يتضح لنا بعد الاستجوابات (المقابلات) التي قمنا بها مع النساء بـان خروجهن لا يتم في نفس الظروف و انما حسب السن و المكانة الاجتماعية لكل واحدة .

فعلا ان تقسيم المهام بين نساء نفس الاسرة له تأثير بالغ في تسهيل خروج المرأة المسؤولة عن الشراء، كما لاحظنا ايضا ان وجود نساء كثيرات في الاسرة الواحدة فالمسؤولية لا تقع الا على من هي اكبر سنا كالام مثلا او الحماة . فنتج هذا نظرا لاستمرارية النموذج العائلي التقليدي بما فيه المعايير و القيم الاجتماعية التي سبق الاشارة اليها .

بالاضافة الى هذا ما ادلت به بعض المسنات و المتوسطات العمر خلال الاستجوابات التي اجريناها ، ان الخروج لم يكن الا بعد مرحلة معينة من العمر اذ انها اي المرأة في شبابها كان ابوها هو الوالي و الوصي عليها ثم زوجها لذلك فهي لا تخرج الا بمرافقته و موافقته .

هذا ما التمسناه من خلال اقوال بعض النساء :

- (( بدت نخرج من نهار كبرو ولادي ، الشيخ الزمان ما يخلنيش يقوللي واش تديري في الزنقة ، ولا دراك كبرت يطيق خطري ولا صبت حاجة نجيبها و لا ماكنش نولي هكذاك نحي العديتي )) .

- (( عندي عشرين سنة من بدت نخرج بصاح سبعة سنين بـراك من بدت نخرج وحدي اما قبل كنت نخرج معه )) .

- (( عندي واحد (15) سنة من خذت الاستقلال من رجلي )) .

نستخلص من خلال هذه الاقوال ان النساء المسنات قد تحصلن على حريتهن في الخروج من قبل الزوج بعد سن معينة ، لما كبر الابناء و اصبح لديهن كنات . هذا تدعيم لاحداهن بصيفة مباشرة

- دراك عندي لعرايس ، حتى زلا خرجت معليش انا عجوزة و انا لنتصرف على الداره ) )(*)

- ( بدت نخرج من نهار ولى عندي الدراري ، و ولت عجوزة دراك واتنسى حتى ولى خرجت ) ) (**)

وفي هذا الصدد اشير الى امر هام هو ان المكانة الاجتماعية لهذه الفئة تسمح لهن بالخروج دون مبرر حتى و لو كان ذلك الى الاماكن العمومية التى لم تعتد عليها النساء : كالجلوس على الارصفة ، او باب العمارة بحجة استنشاق الهواء تفاديا للرطوبة الموجودة في منازلهن خصوصا اذا علمنا ان الاصل الجغرافيي لاغلبية نساء العينة من القبائل - علما بان هذه الاخيرة قد تعودت على نمط من الحياة في الريف مثلا الخروج لجلب الماء من الينابيع او الى الحقول لالتقاط الزيتون . ذلك هو المجال الواسع عكس المساكن الحضرية المتمثلة في العمارات . وقد عبرت مبحوثة مسنة من منطقة القبائل الكبرى عن هذه الفكرة بقولها :

-(بديت نخرج من نهار جت لزيارا سمات نخرج باش نتشمش فاتو ( 20 ) عجوزة يزفولي نهاركمل نقسرو قدام باب الجامع انحي المرض) (اكثر من 50 سنة ) .

قد لا تجد المرأة المسنة اي حرج في كيفية استعمال المجال الخارجي الا انها تبرر خروجها هي الاخرى متى سنحت لها الفرصة .

---

و مع الاشارة ان ذلك كان بحضور ازواجهن و ابنائهن اذ ظهر عليهم الرضا و الموافقة . كما تكلمت احداهن باللهجة القبائلية كالتالي :

(*) ( ( تورة سعغ تيسلتين ، خاس مانفاغ معلش تمغرت نكي يتصرفن ) )

(**) ( ( قسمي اغلن مقرن الدرية ، اغلغ تمغرت ، شبحغ خاس مافغغ ) )

ان كلمة (شبحيغ) تشير الى البياض و انها في طهارة و عفة و السن هو الدليل على ذلك .

أ . المرأة المسنة و المقارنة بين الماضي و الحاضر :

لقد كان للمرأة المسنة في الماضي مزايا لا تعد ولا تحصى في النظام الاقتصادي الذي حافظ على كيانها و وجودها ، و ذلك بتوفير المواد الاستهلاكية الضرورية للحياة ، فهي لم تكن تتنقل الى المساحات التجارية لان هذا من اختصاص الرجل باعتباره المسؤول عن البيت كما تقول مبحوثة عمرها ( 64 سنة ) : (( لا شان طبعني و نطبعك تبهدلك و الشغل يقعد هكذاك ، ككان الرجل الزمان يقضي في الستر خير )) بالاضافة الى انها ترى في ماضيها مثالا للقناعة بتوفر المواد الاستهلاكية ، فالمستهلك كان قنوعا لا يشتري سوى المقدار الذي يحتاج اليه ، كما تبين هذه المبحوثة وعمرها ( 60 سنة ) : (( لا شان ماشي مليحة زمان كلش كاين ، الحليب ½ ل ، الزيت ½ ل ، زمان يروح الطفل يشري قدام الباب المرة عند ها الحرمة ، درك اوكان ماشي المرة يموتو ، المرة لتسلك الدار و تخرجي اتزيدي غير الزعاف )) .

و تقول مبحوثة اخرى عمرها ( 80 سنة ) (( اوكان كاين في الحوانت خير تبلصو النساء منهار اعطو لهم الحرية ، مكنش القناعة كنا في العز و الستر ماشي كما درك )) .

و عند المقارنة بين الماضي و الحاضر فالمرأة ترجع سبب خروجها الى تغير الاوضاع الاقتصادية المتمثلة في المواد الاستهلاكية النادرة . الى جانب غياب الرجل عن البيت طوال النهار في العمل المأجور ، كل هذا جعل منها مسؤولة تتحمل تلك المهام الصعبة بمفردها لانها ترى خاصة المرأة المسنة انه من الواجب و الضروري القيام بالمسؤولية حيث نجدها لا تترك الفرصة لكناتها لمشاركتها فيها - اذ تدعم هذا احدى المبحوثات عمرها ( 55 ) سنة قائلة : (( اوكان اعطى ربي الكبرات برك يصاح صغرات يخرجو بلا فايدة أنا عرايسي بعيد الشر ما يرحوش للا شان )) .

ان فكرة الاختلاط بين الجنسين في استعمال المجال الخارجي لا يزال ينظر اليه من نطاق ضيق اذ يعتبر خروجا عن القيم والمعايير الاجتماعية المعروفة ، ذلك ما تعاني منه ربات البيوت الشابات خاصة المتواجدات ضمن أسر زواجية .

ب. رغبة النساء غير المسنات في تحقيق شرعية الخروج :

اذا لاحظنا المرأة المسنة تعاني من بعض المضايقات فحتى ربة البيت الشابة هي الاخرى تواجه الضغوط الاجتماعية فخروجها يعتبر لدى عامة الناس ظاهرة اجتماعية غير عادية فالخطر يتمثل في استعمالها للعالم الخارجي اي (المجال الخارجي) .

وضمن هذا الاعتقاد الاجتماعي الذي يقضي على ربة البيت الشابة خاصة فقد نجدها تدخل في مجموعة من الصراعات مع الرجال المتواجدين في الطابور حتى الباعة لعدم احترامهم لها .

ولا داعي لاعادة ما سبق ذكره عنها في محاولتها في كل مرة تبرير وجودها خارج البيت ، ورغبتها خلال شهادتها الاعتراف الشرعي بخروجها واحترام حقوقها من قبل كافة الناس مادام هذا محتوم وليس مخير .

وخير دليل على ذلك الاقوال التالية :

(اقل من اربعين سنة محتجبة : (( لاشان هولتنا ولادي نخلهم بلا فطور ، بصاح مكنش كلش خصاص يلزم تروحي ، بصاح نقولك سبة وسبياب سبة تجيبي حاجة وسبياب تقسري ، تضحكي كاين ليد وسو مع البوليس ما يقدروناش ) ) .

(-40 Ans) : Non voilée, "Je pense, s'il n'y avait pas de la spéculation, il n'yaurait jamais de la chaine. Maintenance la femme au foyer ce n'est plus une femme, elle n'a plus de dignité. Défois les femmes changent d'air frais elles discutent, les femmes sont obligées de sortir mais les hommes les maltraitent, ils acceptent mal que la femme peut se débrouiller sans eux ?" (*)

ـ اقل من 40 سنة غير محتجبة :(( هذا واش كرهلي ربي هذا لاشان )) .

لا يسعنا الا ان نبين ان ربة البيت تطمح في قرارة نفسها الى الخروج باعتبارها قد تعودت عليه ولا يمكنها الاستغناء عنه ، لان احتكاكها بالمجال الخارجي خاصة بالمساحات التجارية اكسبها عدة خبرات في كيفية استعمال النقود وتسيير ميزانية البيت . وتكوين بذلك شبكة من العلاقات الاجتماعية ، كما سنرى في الفصول القادمة .

---

(*) هذه الفئة من النساء المبحوثات اللاتي يجبن بالفرنسية هن دون سن الاربعين ، يردن اظهار مقدرتهن في الحديث باللغة الفرنسية وانهن ذوي مستوى تعليمي معين .

تعقيـــــب :

تعتبر نـدرة المواد الاستهلاكيـة دافعـا هاما لعدد من النساء الماكثات فـي البيـت من مختلف الاعمـار في الخروج الى المجال الخارجي و بالضبط المساحات التجاريـة الكبرى لشراء المواد الاستهلاكيـة المفقـودة ٠

و نتيجـة لغياب رب الاسـرة في العمـل و الاطفال في المدرسـة اكتسبت ربـة البيت مسؤوليـة جديدة داخل و خارج البيت ، هـذه المسؤولية الجديدة لا تكون في نفس المستوى و الدرجـة عنـد كل ربـات البيوت ، و ذلك وفقـا لبعض المتغيرات كالسـن و المكانـة الاجتماعيـة داخل الاسرة ، و نوعيـة هـذه الاخيرة التي تساهم بقسـط كبيـر من تقسيم الوظائف بين نساء الاسـرة ، بحيث نجـد مثـلا الوضعية الاجتماعيـة للمـرأة المسنـة و الحمـاة اتيحـت لهمـا فـرص اكبر للخروج و التردد علـى المساحـات التجـاريـة الكبرى عن نسـاء الاسـرة الاخريـات ٠

عـلاوة علـى هـذا فـان وجـود ربـة البيت في المجـال الخارجي لا يمنعهـا مـن استنسـاخ القيـم و المعاييـر الاجتماعيـة السائـدة ، فالصراعات التي تواجههـا يـوميا داخـل الطابـور تكوّن لديهـا تصـورات اجتماعيـة معينـة ، فقـد نجـد مثـلا المـرأة المسنـة تبـرر خـروجهـا استنادا الى سنهـا و مكانتهـا الاجتماعيـة بينمـا نجـد ربـة البيـت الشابـة تطمـح في شرعيـة الخروج ٠

غير ان كـلا مـن ربـة البيت الشابـة و المسنـة تحاولان تبيان ان السبب او الدافـع الاساسي في خـروجهمـا هو النظام الاقتصادي و السياسي الذي غيّر مجـرى حياتهمـا ، و ذلك لاخفاء حجتهمـا الحقيقيـة في عدم الاستغناء عن الخـروج الذي يساعـد همـا كثيرا في اكتساب الخبرات و العلاقات الاجتماعيـة ٠

تمهيـــد :

في اطار التغيرات الاقتصادية و الاجتماعية التي تأثرت بها الاسرة الجزائرية اذ اصبحت تخضع الى مؤسسات انتاجية اخرى تستدعي التعامل النقدي . اضافة الى ذلك ، الوضع الجديد الذي عاشته و مازالت تعيشه الاسرة الجزائرية في هذه السنوات الاخيرة ، و هو تذبذب عرض المواد الغذائية ، مما دفع بمعظم نساء الاحياء الشعبية في الجزائر العاصمة - و ذلك تحديدا لموضوع البحث - الى الخروج لشراء ما يلزمهن من المحلات التجارية العمومية . فهل مسؤولية الشراء ستسمح لهذه الفئة من النساء باكتساب مسؤولية تسيير ميزانية الاسرة خاصة فيما يخص الغذاء ؟ و كيف تتمكن هذه الاخيرة من تدبير الاقتصاد المنزلي ، هل تعتمد كلية على ما يعرض في المحلات التجارية و ذلك بتخزين المواد الناقصة ، ام لا زالت تستند الى الطرق التقليدية في تحويل المواد الغذائية و استعمال ما يسمى (بالعولة) ؟ هذا ما سنعرفه من خلال تحليل البيانات المتحصل عليها في الميدان .

المبحث الاول : مشاركة ربة البيت في تسيير دخل الاسرة :

لقد رأينا كيف ان النساء الجزائريات لعبن دورا في الحفاظ على الاقتصاد العائلي ، و ذلك بحماية و صيانة الرزق ، او المساهمة في المنتوج العائلي عبر مختلف مناطق البلاد ، فهناك من برعت في صناعة الزرابي و اخرى في نسج الالبسة ... الخ ، و لقد كان لمنتوجهن فائدة خاصة في وقت احتياج العائلة ، كما عبرت عنه احدى المبحوثات الدراسة الميدانية السابقة : (( الخدمة انتاع بكري تبان ، ضرك قدما نغسلو و نظفو الخدمة مربية ، بكري الا احتاج الراجل يبيع برنوس و يوكل اولادو ، و يصباح ضرك واش راه تخدم لمرة )) (1) .

---

(1) - عبادة فضيلة و بستي رشيدة ، ربة البيت المعيلة ، دراسة ميدانية لبعض الاسر الاجيرة من اصل ريفي في احياء حضرية ، مذكرة نهائية ليسانس في علم الاجتماع ، جامعة الجزائر ، جوان 1989 ، ص 81 .

من خلال هذا القول تحاول المبحوثة ان تعبر على ان عمل المرأة في الماضي كان ملموسا و ذا فائدة ، و ذلك عكس عملها المنزلي اليومي فهو روتيني و لا يجلب اي دخل للاسرة غير ان المبحوثات اللواتي اجريت معهن المقابلة قد اثبتن لي غير ذلك ، بحيث ان اغلبهن يتفرغن لدور تسيير ميزانية الاسرة .

1 . أهمية الخبرة و المسؤولية في تسيير دخل الاسرة :

ان تسيير دخل الاسرة ليس امرا سهلا بل يتطلب خبرة و مسؤولية كبيرتين تكتسبها المرأة في معترك الحياة ، و ربات البيوت اللواتي اجريت معهن المقابلات جديرات بهذه المسؤولية ، كما يتضح لنا من خلال الجدول الاتي :

جدول رقم ( 18 ) : يبين درجة تحكم ربة البيت في ميزانية الاسرة حسب فئات السن :

| فئات العمر / درجة التحكم في الدخل | تتحكم في الدخل كلية | تتحكم في الجزء المخصص للاكل | تأخذ المصروف اليومي من زوجها | المجموع |
|---|---|---|---|---|
| - 40 سنة | 06 | 01 | 03 | 10 |
| 40-50 سنة | 08 | 05 | 05 | 18 |
| + 50 سنة | 06 | 04 | 02 | 12 |
| المجموع | 20 | 10 | 10 | 40 |

يتضح لنا من اول وهلة عند قراءة هذا الجدول ان ( 20 ) امرأة من الحالات المدروسة عبر مختلف الاعمار يتحملن مسؤولية تسيير ميزانية الاسرة من كل النواحي ، بمعنى شراء لوازم البيت من غذاء و لباس الاطفال و دفع تكاليف الغاز و الكهرباء .

و اعني بالمرأة المسؤولـة هنـا اما ان تكون الزوجـة مباشرة التي تتصرف في اجرة زوجهـا و ما على الزوج الا ان يأخـذ مصروفـه اليومي من زوجته. و اما ان تكون الا م التي تتصرف في د خل الا سرة الذي تتحصل عليه من طرف راتب زوجهـا و ابنائهـا العمال سـواء كانوا ذكرا أو اناثا.

وفي هـذا الصدد ذكرت امرأة مسنة عمرهـا 55 سنة قائلة : (( ولادي هما ليمد ولـي الدراهم ،يحطو في يد بابهم ، وانا نصرف قـاع كما راهم يحطو ( 600.000 ) الـف فرنك كل شهـر و انـا نخـد منهم ( 15.000 ) الف فرنك لنهار ، الكبير يخـدم ( Ingenieur ) والاخـر تخـدم ( Secretaire. ) والاخر ( Comptable ) والاخر ( Mecanicien. ) ، وخمسـة يقراو )) .

وتعليقـا على كلام هـذه المبحوثة يمكن القول انه على رغم محاولتهـا ان تظهر لنـا ان الابناء لا يزالون يحترمون تقاليـد العائلة ، حيث يضعون اجورهم في يد ابيهم احتراما لوجوده باعتباره رب الاسرة وكبيرهـا ،فهو بدوره يضعهـا في يدهـا لانهـا المسؤولة الفعليـة عن كل ما تحتاج اليه الاسرة من جميع النواحي .

الى جانب هـذا يمكن القول ايضا انه اذا كـان تسيير دخل الاسرة الممتدة تحت مسؤولية المرأة المسنة التي هي الام والحماة في آن واحـد ،فيمكـن ان يكون في يد الزوجـة الشابة في اطار الاسرة الزواجية ، كما عبرت عنه هذه المبحوثة عمرها ( 38 ) سنـة اثناء اجراء المقابلة : (( يعطيلي الشهرية في يدي واحد ( 400.000 ) الف فرنـك و كيسحق كاش حاجة يخـد المصروف من عندي ، ما يعرفش يصرف هو ( Il Gaspille beaucoup. )) .

ان خاصية المرأة الاقتصادية وخبرتهـا في الشراء سمحت لهـا باكتساب القدرة في تسييـر ميزانية الاسرة مهما كـان سنهـا فهي تدرك كيف تدبر امور اسرتهـا دون تبذير و افـلاس بما ان لكل اسرة مشاريعهـا الخاصة التي لا تتحقق الا عن طريق الاقتصاد في النفقـة .

ولا يفوتني ان اشير هنا الى ان هذا الوضع جديد بالنسبة للمرأة التي كانت بعيدة كل البعد عن تسيير ميزانية الاسرة في الماضي ، حيث كان الرجل هو المسؤول الوحيد عن الانفاق والتموين ، كما عبرت عنه احدى المبحوثات في الدراسة السابقة : (( الزمان ما كنتش انشوف الدراهم انتاع راجلي ، ما كنتش انحوس عليهم كان الشيخ يصرف ما تعرفيي الا عندو ولا ما عندوش )) وتواصل قائلة : (( ضرك الدراهم راجلي يجيبوهم لي )) . (1)

هذا من جهة ، واذا حاولنا العودة ثانية الى الجدول موضوع الدراسة اجد ان من بين العشرين من المبحوثات هناك (10) تقتطعن من مدخول الاسرة الجزء المخصص للغذاء ويتراوح هذا المبلغ حسب تصريح المبحوثات (500) دج و (5000) دج ، حسب عدد المداخيل الموجودة في كل اسرة ، واما الجزء الآخر من ميزانية الاسرة فيبقى عند رب الاسرة المكلف بمصاريف الاسرة عموما .

ونجد في الدرجة الثانية المبحوثات اللواتي لا يأخذن من ميزانية الاسرة الا مبلغا صغيرا جدا يتراوح ما بين (50) دج و (150) دج ويكون ذلك يوميا ، بينما يبقى الجزء الاكبر من المصاريف تحت مسؤولية رب الاسرة ، غير انه رغم صغر المبلغ الموضوع في يد المرأة فانه يسمح لها بان تتنقل الى المحلات التجارية العمومية لاقتناء الحاجيات الضرورية اليومية .

بعد ما رأينا كيف تشارك المرأة في تسيير ميزانية الاسرة ، يبقى ان نعرف مشاركتها في ميزانية الاسرة بمدخولها الخاص الناتج عن ممارستها لنشاط ذي طابع تجاري داخل بيتها .

---

(1) نفس المرجع ، ص. 83 .

2 ـ مشاركة ربة البيت بمدخولها الخاص في ميزانية الاسرة :

استنادا الى ما ادلت به بعض المبحوثات بان ممارسة النشاطات اليدوية غير ممكنة كالحياكة وصناعة الزرابي ، في المدن كالجزائر العاصمة ، نظرا لما تتطلبه من تعاون نسائي وما تستلزمه من وسائل لا تتلاءم مع النمط السكني الحضري الذي يتسم بالضيق مثلا .

وهذا يدفعنا الى التساؤل من خلال الجدول الاتي عن علاقة ممارسة نشاط يدوي مأجور باصل المرأة الجغرافي .

ـ جدول رقم (14) : علاقة ممارسة نشاط مأجور داخل البيت بأصل المرأة الجغرافي :

| ممارسة نشاط مأجور / الاصل الجغرافي | تمارس | لا تمارس | المجموع |
| --- | --- | --- | --- |
| أصل ريفي | 09 | 24 | 33 |
| أصل حضري | 02 | 05 | 07 |
| المجموع | 11 | 29 | 40 |

يتضح لنا من خلال الجدول بان اغلبية المبحوثات من اصل ريفي وعددهن (33) بينما (07) فقط من اصل حضري ، وكما نلاحظ ايضا ان (24) امرأة ريفية لا تمارس نشاطا مأجورا ، ويمثلن اكبر عدد في الجدول ، حسب تفسير المبحوثات فان عدم ممارستهن نشاطات يدوية ناجم عن مسؤوليتهن المتعددة داخل وخارج البيت من جهة وايضا لعدم تلاؤم النشاطات اليدوية الريفية اللاتي يتقنها مع النمط السكني الحضري ، بينما نجد (11) مبحوثة يمارسن النشاطات اليدوية ، و (02) منهن فقط من اصل حضري وتمارس احداهما الطرز فوق القطيفة بخيوط ذهبية ((الفتلة)) التي تعتبر صنعة حضرية .

نكتفي بهذا القدر من التعليق لافتراض متغيرات اخرى يمكن ان يكون لها تأثير على ممارسة المرأة نشاطا مأجورا كمتغير السن .

جدول رقم ( 20 ) : ممارسة نشاط مأجور يدوي حسب فئات العمر :

| ممارسة النشاط / فئات السن | لا تمارس | تمارس | مداخيل اخرى | المجموع |
|---|---|---|---|---|
| - 40 سنة | 06 | 04 | — | 10 |
| بين 40و50 سنة | 13 | 05 | — | 18 |
| + 50 سنة | 05 | 02 | 05 | 12 |
| المجموع | 24 | 11 | 05 | 40 |

يتبين لنا من خلال هذا الجدول ان هناك ( 16 ) مبحوثة من مختلف الاعمار يشاركن بمدخولهن في ميزانية الاسرة . ونجد ( 4 ) من فئة الاعمار الاولى - اقل من 40 سنة - يمارسن نشاطا مأجورا داخل بيوتهن و ( 30 ) منهن يقمن بنسج الصوف باليد ، وواحدة فقط تطرز فوق القطيفة ، غير ان الاهم من هذا كله هو ان النقود المتحصل عليها من طرف النساء يستخدمنها في شراء الاشياء التي يرونها ضرورية ولم يقدر عليها ازواجهن لصآلة اجورهم ، ولهذا فهن اما ان يشترين هدايا لمناسبات عائلية او حليا لبناتهن ، واذا دعت الضرورة اليومية يضطرن لشراء لوازم البيت من غذاء وحتى الادوات المدرسية عند الضرورة .

اما بالنسبة لـ ( 06 ) مبحوثات الباقيات في الفئة الاولى فانهن لا يمارسن اي نشاط يدوي داخل بيوتهن بحجة انه ليس لهن الوقت الكافي للاشتغال بمثل هذه الامور كما جاء في اقوالهن : (( يحصر على الصنعة ما ندريش ، ممنديش الوقت كاراني تشوفي مع الدراري والقضيان )) .

هذا ما يمكن قوله عن الفئة الاولى ، واما الفئة الثانية فنجد من بين 18 مبحوثة ( 05 ) فقط يمارسن نشاطا مأجورا داخل البيت - غير ان طبيعة النشاط عند هذه الفئة قد جلبت ملاحظتي بحيث انها تستعمل أية طريقة لاكتساب النقود فهناك واحدة مثلا تشتري الصوف بـ ( 30 ) دج وتنسج منها اسدرة ثم تبيعها باغلى ثمن ، كما ان نفس المبحوثة تشتري المواد الاساسية بكثرة من الاروقة كالصابون - مثلا ( بـ 3 ) دج للقطعة الواحدة ثم تعيد بيعها بـ ( 05 ) دج لجيرانها عند ندرته في السوق و هناك مبحوثة اخرى تحضر الكسكس - تفتل للناس في المناسبات الخاصة كالاعراس بثمن معين ، كما تقوم نفس المبحوثة بتقشير البطاطا لكشك خاص بالمأكولات و ذلك مقابل اجر معين يصل الى ( 1000 ) دج للشهر ، مع العلم ان هذا يتم داخل منزلها ، بحيث تأتيها البطاطا الى منزلها ، واما الاخريات فانهن يكتفين بنسج الصوف فقط ، واهم ما يمكن الاشارة اليه هو ان هؤلاء المبحوثات يساهمن بمدخولهن في مشاريع الاسرة العامة كشراء سكن او بنائه .

الفئة الثالثة :

نجد ( 07 ) مبحوثات مسنات يتحصلن على مدخول معين ولكن ( 02 ) فقط يساهمن بنشاط معين ، فهناك واحدة تدبر امورها بالتجارة في الالبسة النسوية المجلوبة من الخارج بثمن باهض و تحجز لنفسها نسبة معينة من الربح ، واما المرأة المسنة الاخرى البالغة من العمر 60 سنة فانها تقوم بتربية طفل معلمة في بعض ايام الاسبوع مقابل ( 600 ) دج في الشهر .

واما الخمسة الاخريات فهناك ( 03 ) منهن يتحصلن على منحة التقاعد و ( 2 ) يتحصلن على منحة ارامل الشهداء كما يؤجران رخصة سيارة الاجرة بـ ( 1000 ) دج للشهر .

ان اهم ما يمكن استخلاصه هنا بالاضافة الى مسؤوليات المرأة المتعددة في امور الاسرة هو ان مشاركتها في ميزانية الاسرة ولو بمدخولها الضئيل يضمن مكانتها واهميتها اكثر داخل الاسرة .

غير ان السؤال الذي يطرح نفسه هو ما مدى تأثير النشاط المأجور في خروج المرأة الى الطابور ؟ هذا ما سنحاول معرفته من خلال الجدول الاتي :-

جدول رقم (21) : تأثير ممارسة نشاط مأجور داخل البيت عند خروج المرأة للطابور :

| الفترة المحددة للخروج / ممارسة نشاط مأجور | كل يوم | | خلال بعض ايام الاسبوع | المجموع |
|---|---|---|---|---|
| | فترة الصباح | فترة المساء | | |
| لا تمارس | 09 | 10 | 05 | 24 |
| تمارس | 05 | — | 06 | 11 |
| عندها مداخيل اخرى | — | 05 | — | 05 |
| المجموع | 14 | 15 | 11 | 40 |

انطلاقا من فكرة كون المبحوثات مسؤولات عن شراء لوازم البيت الضرورية فان ممارسة بعضهن لنشاط مأجور داخل بيوتهن مهما كانت طبيعته لم يمنعهن من الخروج الى الطابور ، اضافة الى ذلك فان الجدول الذي بين ايدينا يوضح ان النساء اللواتي يمارسن هذا النشاط لا يترددن بكثرة على المحلات التجارية العمومية ، حيث يخصصن لها فترة الصباح او بعض ايام الاسبوع ، وذلك عكس النساء اللواتي لا يمارسن اي نشاط مأجور بحيث ان (19) منهن يخرجن كل يوم ، كما يعتبر هذا اكبر عدد في العينة.

بعد هذا الجدول التوضيحي يستحسن مناقشة فكرة اساسية وهي : الطرق المستعملة من طرف ربة البيت لتسيير اقتصاديات البيت.

## المبحث الثاني : كيف تكون المرأة مقتصدة :

### 1 . اللجوء الى الحيلة لتسيير اقتصاد البيت

اذا اعتبرنا مسؤولية المرأة في شراء لوازم البيت الاستهلاكية الضرورية امتدادا لمسؤولياتها المنزلية ، فهذا يساعدها في تسيير ميزانية الاسرة خصوصا وانها تحاول قدر الامكان تجنب التبذير.

انطلاقا من أجوبة المبحوثات، عرفنا انهن يتصرفن بدقة في ميزانية الاسرة فبالاضافة الى بعض المال الذي يدخرنه في كل مرة لمشاريع الاسرة الكبرى كشراء مسكن او بنائه فهن يأخذن بعين الاعتبار الظروف الطارئة التي يخصصن لها بعض المال كالمرض على سبيل المثال ، هذا دون ان ينسين المصاريف اليومية كالتغذية و اللباس.

ان اعتماد المرأة في تنويع اطباق الطبخ على اساس الدقيق يساعدها كثيرا في تجنب المصاريف الكبيرة ، فهي لا تسعى الى الاطباق الباهظة الثمن المعتمدة على اللحوم و الفواكه الا في اخر الاسبوع اكراما لزوجها العامل او عند مجيء ضيف. اما خلال ايام الاسبوع الاخرى، فهي لا تكلف نفسها رغم الحاح الاطفال على الاكل المتنوع الخفيف ، بالاضافة الى هذا يمكن القول ان المجمد يساعدها كثيرا في حفظ الاكل المتبقي الذي تحاول تقديمه مرة أخرى عوضا عن رميه ، وقد تدخل عليه بعض الاضافات و ذلك بفضل مهارتها و خبرتها في مثل هذه الامور.

لقد حاولت المستجوبات في اكثر من مرة التأكيد بانهن يسعين بان يكن مقتصدات باستخدام حيل في الطبخ فحسب ، بل حتى في امور اخرى كترقيع ملابس الاطفال الممزقة ، و هذا ما تدلي به هذه المجموعة من النساء :

- امرأة متوسطة العمر 44 سنة : (( مزلنا نكلو مكلة نتاع الزمان العجاجن تنقص المصروف ، واحد يقدر يشح شي ، باش نشح نطيب لكاين في الدار ، في عوض تصرفي (200) دج تصرفي (100) دج ، نضرب دايما بشي لعندي ( ) في الدار كما الطعام ، و الباقي نخبيه دراهم )) وتكمل كلامها قائلة : (( الحاجة نقسمها على نص غير ولا جا الضيف نجبد كلش ، المرأة تعرف كفاش تصرف وتسلك راسها خير من الراجل )).

- وتقول امرأة اخرى شابة (23) سنة :

((Défois j'arrive à économiser, Défois non, je pars de la semoule, je l'enlève et le reste je divise en quatre)).

واكملت قائلة : (( نديرفي بالي في السمنة الاولى يلزم نصرف (600) دج على مديلك يلزم ما نفوتهمش ، وكفك السمنة لبعد هـا حتى يلحق الشهر ، ويبقو الدارهم للحوايج والبنيان ، شي من اومن وترقعو باش ما نخسروش الدراهم )) .

- وتقول امرأة اخرى عمرها (35) سنة (( كنجيب حاجة نقسمها على 3 مرات كما الحوت ، ونهار ما يخدمش راجلي نطيب حاجة مليحة ، ونهار آخر انا وولادي لجات شكلوها ، كلش أنقص شي وانشح شوي ، وحاجة ما نشريهاش لولادي اتخيطها وتوقعها بيدي ، ودراهم الاخرين نصيبهم الحاجة اخرى )) .

- وتقول امرأة اخرى عمرها (47) سنة : (( دربي محوجين حرت فيهم يكلوغير حاجة خفيفة ، بصاح انا نتكل بزاف على العجين بسلك ، شكرة نتاع سميد نشريها مرة واحدة وخلاص . مكلة نتاع - la Hiti - تخلي الزيتون ، البيض ، بصاح انا لحب يكل لحب يقعد نخاف غير بابهم )) .

انطلاقا من هذه الشهادات النسوية نتطرق الى نقطة اخرى مكملة لها وهي الوسائل او الطرق المستعملة من طرف النساء لتخزين المواد الاساسية .

2 . الطرق المستعملة من طرف النساء لتخزين المواد الاستهلاكية الاساسية :

في اطار تقسيم الادوار و الوظائف بين الجنسين اختصت المرأة عبر مختلف مناطق البلاد بتخزين المواد الغذائية ، و يطلق عموما على عملية التخزين كما رأينا (العولة) و هي تأمين غذائي لمدة سنة ، و تساعد على قهر الظروف القاسية و الازمات المختلفة التي تتعرض لها العائلة كالسنوات غير المنتجة مثلا (1) .

انطلاقا من هنا يمكن طرح السؤال مباشرة بالطريقة التالية : اذا كانت المرأة تواجه الازمات الطبيعية و الظروف الطارئة (كمجيء ضيف مثلا) عن طريق استعمال (العولة) فهل تواجه حاليا ندرة المواد الغذائية ؟ و ما هي الطرق المستعملة في ذلك ؟ .

أ- استمرارية العولة :

عند تحليل البيانات نجد مزاولة بعض النساء (للعولة) رغم عدم توفر الشروط الضرورية لمزاولتها كالشمس ، و اتساع المجال المخصص لذلك . و تحديد النساء استعمال مفهوم (العولة) عندما تقصد بعض التحضيرات الغذائية (كالكسكس) او بعض الخضر كالفلفل الاحمر المجفف ، البصل ، الثوم ، الطماطم . . . الخ وغالبا ما لا تخزن المرأة موادها الغذائية الا بعد تحويلها و تحضيرها .
فبالنسبة للطماطم مثلا هناك من تجففها للهواء الطلق ثم تجمعها لوقت الحاجة و هناك ايضا منذ تخض عصرها و وضعها في الزيت و الملح ثم تجمعها في اواني خاصة كصحن زجاجي مثلا تطلق عليه النساء بالعامية (البلارة) و نفس الشيء بالنسبة للمواد الاخرى اليابسة مثلا فهي لا تخزنها الا بعد وضعها في اكياس خاصة بعد ان تضع فيها الملح لكي لا تصيبها (الدودة) و حتى تتمكن من استهلاكها لمدة طويلة .

---

(1) نفس المرجع ، ص. 54 .
و انظر الجانب النظري من هذا البحث ، العائلة الجزائرية ، ص.

غير ان المرأة عموما رغم رغبتها في التمسك بالعولة ) فانها تجد امامها عدة عراقيل تمنعها احيانا من ذلك : كالضيق او الرطوبة بالنسبة لعولة الكسكسي ، او لارتفاع ثمن الخضر و الفواكه ، هذا ما نلاحظه من خلال اقوال بعض المبحوثات.

- (( ما نعولش على جال عندي الضيق و الميدتي بزاف ، الطعام ما يحملش كما علبالك )) عمرها 50 سنة و تسكن في حي المنظر الجميل .

- ( 45 سنة ، تسكن في القبة القديمة ) تقول : " حبث انعول التوم بصح غالي ، و سعات تصبيه سعات لالا ، و الغلفل كفكف ما نشقاش على كيلو ، باش تعولي يلزمك واحد سبعة كيلو هكذاك ».

- ( 38 سنة تسكن في حي المنظر الجميل ، قبائلية ) تقول : (( النسا فنيانات ما يحبوش يفتلو دايما على هذيك ايعولو. الطعام كنوجيد يه تمتم خير )) .

ان هذا القول الاخير يكشف لنا عن معلومة جديدة و هي ان الكسكس الذي يستهلك في الحين بعد تحضيره يفوق الكسكس المخزن الذي يفقد ذوقه وجودته كلما طالت مدة تخزينه .

فاذا كان الامر كذلك لماذا كانت النساء في الماضي و مازال اغلبهن في الحاضر لا يستغنين عن عولة الكسكسي ، كما ذكرت احدى المبحوثات (عمرها 55 سنة تسكن في حسين داي ) : (( انا عندي الضيق بصاح نفتل عند بنتي عندها لتساع زين ، على بالك ما نقدرش نقعد هكذاك )) ان عولة الكسكسي تساعد كثيرا النساء على ربح الوقت خاصة عندما لا تجد الوقت الكافي لتحضيره في الحين ، و لهذا كانت بعض النساء في الريف خاصة في منطقة القبائل يزاولن عولة الكسكسي لا شغالهن المكثفة خارج المنزل .

غير ان الفرق بين عولمة الريف و عولمة المدن لا تكمن في كيفية استخدام المجال فحسب بل في كيفية استعمال الاواني ايضا ، فاذا كانت المرأة في الريف تستعمل الاواني التقليدية المصنوعة من الفخار والحطب كما ذكرنا ، فان الاواني المستخدمة التي تستعملها المرأة في المدن مصنوعة من الالمنيوم و الزجاج .

و انطلاقا من هنا يمكن الانتقال الى فكرة أخرى و هي الطرق الحديثة (الجديدة) التي تستعملها المرأة في تخزين المواد الغذائية .

ب. تخزين المواد الغذائية عن طريق المجمد :

تعتبر الاجهزة الالكترونية كالتلفزة و الهاتف و استعمال الثلاجة (جهاز التجميد ) من مظاهر التصنيع التي لها تأثير مباشر على الاسرة . فباستعمال المرأة لجهاز التجميد قد يعدل بعض سلوكها و عاداتها في كيفية تحضير الغذاء . غير انني قبل ان اشرع في تحليل هذه الفكرة يجب التفريق في هذا المجال بين جهازين للتبريد الاول الثلاجة ( Frigidaire. ) تحفظ فيها المواد الغذائية كالحليب، الخضر و اللحوم ، وغيرها لمدة زمنية قصيرة وعدد الاسر التي تملك هذا الجهاز هو (33) ، بينما جهاز التجميد ( Frigo. ) الذي يساعد على حفظ الغذاء لامد بعيد لا تملكه الا (05) اسر نظرا لعدم عرضه دائما في المحلات التجارية العمومية و الخاصة ، ثانيا لانه ذو ثمن باهض ، ولا تجد الا اسرة واحدة فقط لا تكتسب جهاز تجميد .

لقد ادلت بعض المبحوثات اللواتي عندهن اجهزة التجميد (Frigo) بان استغراق مدة التجميد تكون حسب كل مادة ، فاللحم مثلا تصل مدة تجميده الى غاية سنة كاملة ، غير انه قبل تجميد اي مادة تستعمل النساء طريقة معينة لكي لا يصيبها اي فساد . فمثلا تجدها قبل تجميد الفلفل تقوم بتنظيفه ثم شويه او قليه ، وبعد ذلك تقوم بتقطيره ووضعه في الاخير في الاكياس نظيفة لكي يحفظ في المجمد .

واما بالنسبة لخضر اخرى كالفول ، الجلبانة ، الفاصوليا الخضراء ، والحمص فانها تقوم بتقشيرها اولا ثم اغلائها او تضعها في اواني معينة ، كالكسكاس مثلا - حتى تتبخر ، وبعد ذلك تضعها في اكياس خاصة لكي تحفظ في الجهاز .

غير ان الجدير بالذكر هنا هو ان المرأة تستطيع ان تطبخ وتقدم لافراد اسرتها بعض الاطباق من الخضر كالفول والجلبانة - مثلا - رغم تجاوز فصليهما بفضل المدة المستغرقة في المجمد .

غير ان المادة المجمدة تفقد ذوقها وغضاضتها - طراوتها - بسبب الرطوبة والتجميد ، وذلك عكس المواد الغذائية المستهلكة في الحين . وفي هذا الصدد نجد بعض النساء المبحوثات من وهبت بهن الذاكرة الى ايام الماضي لتقارن بين الخضر والفواكه التي كانت تجنيها مباشرة من الحقل والتي تشتريها حاليا من الاسواق بعد ان تعرضت لمختلف المواد الكيماوية التي تفقدها ذوقها وتكمل المرأة عليها بالتجميد ، كما جاء في اقوالهن :

- (88 سنة من القبائل الصغرى) : (( الطياب ، كلش انحوه من الجنان ، ونوجدوه في الدار ، دراك كلش في الحوانت دراك كحنيا كالبلاد كفكف نسا فنيانات ما يخدموش )) .

- ( و تقول امرأة عمرها 50 سنة ) من القبائل الكبرى ) (( نوجد الفلفل الحارشي مشوي و مخبي في الفريقو و اللوبية مفلية مقشرة مخبية في ( Sachet ) نخبهم لشتاء ) ) .

ثم تكمل كلامها : (( زمان كلش ينتكل بلخف ماشي كما درك كاين الفريقو ( .Frigo ) و زمان كاين ( أكوفي ) نخبي فيه النعمة كما الفول ، العدس الحمصة بصاح ما يخسرش ، كاين عباد من العيد للعيد يخبو اللحم بصاح يروح قاع القو ( .Goût ) داخل الفريقو ( .Frigo ) ) ) .

هذا و كما تستعمل النساء مفهوم (نكونجلي ) لكن تعبر عن تجميدها لمادة معينة ، كما نلاحظ من خلال قول احدى مبحوثات الدراسة السابقة : (( احنا بكري كنا انديروا لخليع لوكان ماشي الريحة انتاع السمش اللي يطلقها تقدري اتقوليلي بلي الخليع خير من اللحم كنوجلي ( .Congelé ) (1).

خلاصة القول اذا كان المجمد ( .Frigo ) يعوض (( أكوفي )) و ان الحانوت يعوض الحقل ، فهل هذا يعني ان اعمال النساء تقلصت ؟ .

ان الامر ليس كذلك بحيث ان كلا من الاجهزة الالكترونية و المواد الضرورية - و نقصد بها المواد الغذائية الاساسية كالزيت ، القهوة ، السكر ....... و المواد الاخرى الضرورية للغسيل مثلا كالصابون و ماء الجافيل ... كلها تتعرض للندرة .

و ان ضرورة المواد المفقودة او المتذبذب عرضها في المحلات التجارية العمومية و الخاصة تدفع بالمرأة الى تضعيف جهودها في البحث عنها و تخزينها .

---

(1) نفس المرجع .

جـ - ربــة البيت وتخزيــن المــواد الاساسيـــة المفقــودة :

ان عدم الاستقرار الذي تعيشــه الاسرة عمومـــا والمــرأة خصوصا نتيجـــــة العرض المتذبــذب لبعض المــواد الاساسيــــة ، يدفــع بهــذه الاخيرة الـــى تضعيــف جهود هـــا في البحث عنهاضـــن جهـة وتخزينهـــا من جهة ثانيــــة .

واستنادا الى ملاحظتناه في الطوابيـــر يمكـــن القول ان تخزين هــذه المـــــواد يخضــع لمتغيريـــن اساسيين : الدخـل وعـدد الافراد . ويمكـــن التذكير هنـا ان المرأة التي تتحصل على اكبرقـــدر من المواد الاساسيـــة هي التـــــي يتكـــرر وقوفهـــا في الطابـــور او التي تـــوزع ابناءهـــا الصغار على مختلــــــف المحلات التجاريـــة العموميـــة . لكـــن رغم تفاوت درجـــة تخزيــن المواد الاساسية فـــان المـــرأة تخـــزنهـــا خــوفا من فقـــدانهـــا ثانية من جهـــة ، ولكي لا تقترض من جاراتهـــا في وقت الضيق حرصا على كرامتهـــا وقيمتهـــا من جهـــــة اخرى الى جانب ذلك فـــانهـــا تخـــزن ايضا للايـــام المقبلـــة كالمناسبـــات الطارئـــة الســـارة او المحزنـــة كالعرس او الموت . . . الخ .

وهــذا ما عبـــرت عنــه بعض المبحوثات :

- (( نخمم لوقـــت الضيق ، كاين المـــوت ، العرس ، عيب جارك يخلـــص كما بحالك عيـــب تقولها اعطيني ، كلش نشريـــه بـــزيادة الفلفـــل ، القهـــوة السكـــــر ( 15 كلغ ) ، السميــد ( 02 ) شكايـــر ، خطرش دراك مكنش كلش خصــــاص العبـد لمـــا ش شطـــر ما يعيش ) ) ( 55 سنة تعيش في اسرة ممتـــــدة وميســـورة الحـــال ) .

- ( 45 سنة تعيش في اسرة زواجية وعدد من الابناء يعملون ) تقول : (( نـــخبي امال نسلف عند الناس ، والله غير غير الصابون وانا عندي ، وخص الفلفل اكحل وانا عندي ، عمدتك بربي غير 60 كلغ عندي نتاع السكـــــــر و 5 كلغ قهـــوة ، و 6 كلغ لـــوز ) ) .

اذا كان تخزين المواد الاساسية يخضع لعدة عوامل كشطارة المرأة و عدد الافراد و المداخيل ، فانه كما يقول المثل الشعبي (( مول التاج أو يحتاج )) بمعنى ان صعوبة الظروف الاقتصادية بعض الاسر الجزائرية كندرة المواد الاساسية فهذا لا يبعدها عن عادات التعاون و المساعدة فيما بينها .

و لقد استنتجنا من خلال اقوال المبحوثات ان التعاون فيما بينهن يكون مبنيا اما على اساس القرابة او يكون حسب نوعية العلاقة بين الجيران ، فكلما كانت العلاقة طيبة و وطيدة بين الجيران كلما زاد التعاون بينهم او العكس. كما جاء في اقوال المبحوثات :

- (( كنجيب بزيادة نسلف ونبعد كيشرو و يرجعولي ، و ثاني كنجيب بدون زيت بزيادة نمد ليما و تحدلي هي ثان )).
( امرأة شابة عمرها 35 سنة متوسطة الحال ) .

- (( نسلف لكاش واحد ماعند وش كنشري بزيادة بصاح غير البيح لالا ، نسلف مع ختي ثاني )) ( 44 سنة ) .

- (( الجيران قاع خيرمني ، ويديرو منسلفش منهم ، بصاح كاين زوج جيران نتسالف معهم ، سمات مع اختي نسلف لها و تسلف لي ، بصاح نعطي لها ( Paquet ) ترجعلي باكي ( Paquet ) د راهم يخلصو ( 48 سنة ) .

- (( ما نعرفش Jamais ، بصاح والله غير شحال من مرة شريت ( Marché Noir ) ))
( 49 سنة ميسورة الحال ) .

- كيخص جيراني لا بد نمد لهم و لا نسلف لهم ، هنا رانا كلنا كالخوة )
( 50 سنة متوسطة الحال ) .

من خلال مجموعة اقوال المبحوثات هناك ثلاثة كلمات مستعملة من طرف النساء : (( البيع لالا )) (( باكي يرجع باكي )) و تشي ( Marché Noir. ) فاذا حاولنا ان نربط الكلمات الثلاث نجد ان المساعدة و التعاون بين النساء ضروري ، و الا تكون المرأة مجبرة بان تشتري بعض المواد في السوق السوداء ، اي باضعاف ثمنها الحقيقي ، و نظرا لاهمية السلعة المفقودة يكون التعاون بين النساء مقايضة و ليس بيعا ، و ايضا لتجنب فكرة البيع بين الاهل و الجيران . و في هذا الصدد تذكر ان بيع السلع المفقودة في السوق السوداء من اختصاص بعض الاطفال و المراهقين كما لاحظناه في الطوابير و ان كان ايضا وجود بعض النساء .

فان هؤلاء جميعا يستفيدون من ظاهرة الطوابير و ندرة المواد الاساسية بحيث يستغلون الفرصة بان يعيدوا في كل مرة (( لا شان )) ، ثم يبيعون المواد للاشخاص الذين لم يتمكنوا من الحصول على المواد المرغوبة و ذلك باثمان باهضة ، و يكون ذلك بعيدا عن رجال الأمن ، و الا تعرضوا للعقاب .

و في هذا السياق يمكن القول ان المرأة قد تستعمل او تخضع لعدة طرق نتيجة فقدان المواد الضرورية التي لا تستطيع الاستغناء عنها و نظرا لتغيير النمط الاستهلاكي و ارتفاع نسبة استهلاك بعض المواد التي اصبحت ضرورية كالقهوة على سبيل المثال . كما تعبر عنه هذه المبحوثة : (( زمان مكنش هذ الزبدة ، درك المعجون ، الزبدة و ما يحمد وش ربي ، بكري غير الشخشوخ و العجوزة لتشرب القهوة ، درك ليحل عينية يقول القهوة ، درك احنا اكثر من ( 3000 ) الف فرنك نتاع القهوة برك ، اكثر من رطل لسمنة يعني 4 ايام ، درك قد ما غلت القهوة الناس راهي تشرب )) .

وفي الاخير يمكن التساؤل عن كيفية تخزين ربة البيت لكل الكميات من المواد المذكورة آنفا كالقهوة ، الزيت ، السكر ، الصابون ... الخ . فحسب الملاحظات التي قمنا بها في المنازل نجد ان ربة البيت تستعمل اي مكان شاغر و محفوظ لذلك ، كزاوية المطبخ او حتى تحت السرير ، و بفضل مهارتها في ترتيب البيت فانه لا يظهر اي أثر للمواد المخزونة في تشويه زينة البيت (ديكور) .

ولا يفوتني ان اذكر في خاتمة هذا الفصل ان هناك بعض المبحوثات من تستعمل مفهوم (نسطوبي) ( Stoppé. ) لتشير الى التخزين ، فهي تعبر بذلك عن كمية المواد المحجوزة و المحفوظة لوقت الحاجة . ولا يحق لأي من افراد الاسرة ان يستهلك او يمس هذه المواد المحجوزة الا عند الضرورة الملحة .

**تعليـــم :**

ان مسؤولية ربة البيت في شراء المواد الاستهلاكية الضرورية التي تحتاج اليها الاسرة ، دعمت مسؤوليتها في تسيير ميزانية البيت ، بحيث اصبح الزوج او الابناء العاملون يقدمون دون اي حرج لربة البيت المسؤولة مبلغا معينا من دخلهم عند نهاية الشهر وذلك لتسيير ميزانية الاسرة .

ان تعود ربة البيت في الاشراف على امور الاسرة الداخلية سهلت لها مهمة المشاركة في تسيير ميزانية الاسرة ، فمهارتها وخبرتها المنزلية ساعدتها على ان تكون مقتصدة ومدخرة لمال الاسرة من اجل تحقيق مشاريعها (الاسرة) الخاصة .

وقد تتمكن ربة البيت من ذلك باستعمالها عدة طرق الحفاظ على المواد الاستهلاكية منها التقليدية والحديثة ، فبالنسبة للتقليدية نذكر (العولة) وان طرأت عليها بعض التغيرات في الوسائل المستحدثة (كالاواني مثلا) ، وحتى المجال في حد ذاته ، هذا مع استمرار الهدف الاساسي من استعمالها المتمثل في الحفاظ على المواد المخزونة ، او بالاحرى رزق العائلة لمدة طويلة من الزمن .

واما عن الطرق الحديثة فنجد ربة البيت تستند الى بعض الاجهزة الالكترونية الحديثة كالثلاجة ، او جهاز التجميد في المحافظة على المواد الاستهلاكية الغذائية اليومية ، او المخزونة لمدة أطول ، وذلك حسب احتياجات الاسرة .

ان طبيعة ربة البيت الاحتياطية تجعلها تقوم بتخزين كل المواد الاستهلاكية الضرورية ، خاصة المفقودة التي تحصلت عليها بصعوبة في الطوابير ، وذلك لمواجهة اختفائها في السوق مرة ثانية ، واخذ احتياطاتها المستقبلية الظرفية سواءا المتعلقة بالافراح أو الاحزان .

ان كمية المواد الاستهلاكية المخزونة تخضع لعدة مقاييس منها دخل الاسرة ومدى كفاءة المرأة في تسيير شؤون البيت .

**تمهيــــــد :**

لقد كان لظاهرة ندرة المواد الاساسية تأثير كبير على حياة النساء اليوميـــة فترددهن اليومي على المحلات التجارية العمومية وقيامهن في الطوابـــــر ادى الى تكوين شبكة من العلاقات الاجتماعية . فابتداءا من خروجهـــن من البيت الى غاية وصولهن الى المكان المقصود تتكون لديهن سلسلة من الاحداث و العلاقات الاجتماعية ، سواءا عند انتظار الحافلة او عنـــد انتظار توزيع المواد الاساسية .

غير ان السؤال الجوهري الذي نتعرض اليه في هذا الفصل هو طبيعة و نوعية العلاقات الاجتماعية النسوية ، هل هي علاقة جيـــرة أم قرابـــة ام تتعدى ذلك ؟ .

كما نتسأل عما اذا كانت النساء في الطوابير يقمن باستنساخ العلاقـــات الاجتماعية المعروفة في المجتمع الجزائري ، كالتي تحدث في المجـــالات النسوية كالحمامات و المقابـــر ، و الاعراس مثـلا ، و التي كانت تؤدي الـــى النسب و الربـط بين اسرتيـن .

وللاجابـة على كل هـذه التساؤلات سنقوم بتحليل البيانات المستخلصـة من ملاحظاتنـا للطوابر ، و من المقابلات التي اجريناها مع بعض الحالات المختارة (عينـة البحث) .

**المبحث الاول : نوعية العلاقات الاجتماعية بين نساء الطابـور :**

انطلاقا من الملاحظات و المقابلات التي اجريناها مع نساء العينـــة يمكـــن تصنيف العـلاقات الاجتماعية بين النسـاء منـذ خروجهـن من البيت الـى نوعيـن :

.../...

1 . نوعيـة العلاقات التي تربط ربة البيت بالنساء اللواتي يرافقنها للطابور :

عند الملاحظة يمكن تصنيف نوعين من النساء فهناك من لا تخرج الى الطابور الا في اطار اجتماعي ، و هناك من تخرج وحدها ام بمرافقة احد ابنائها الصغار .

أ ) فبالنسبة للفئة الاولى اي اللواتي يخرجن في اطار جماعي ، فيمكن القول ان هذه الجماعة (العصبة ) المتكونة من (03) الى غاية (07) نساء احيانا ، وتكون شبكة العلاقات بينهن مبنية اما على علاقة جيرة اوقرابة : ( و نقصد بالقرابة النساء اللواتي يسكن تحت سقف واحد و تربطهن علاقة الدم او النسب ، و يكون ذلك غالبا في اطار الاسرة الممتدة ) .

و نظرا لا نتماء اغلبية اولئك النساء الى الاحياء الشعبية الحضرية جعلها تتميز بمتانة العلاقات الاجتماعية ، فغالبا ما تحدد مواعيد للخروج مع بعض الى الطابور . اضافة الى ذلك فان هذه المجموعة النسوية تربطها علاقات اجتماعية سابقة ، و ذلك تحت عامل الجيرة و القرابة ، اذ انهن يبادلن الزيارات الرسمية بمناسبة الولادة ، الاعراس الوفاة ، المرض . . . الخ . غير ان الفرق بين العلاقات السابقة الرّسمية انها تجري في اطار داخلي مغطى ( Couvert ) هو المنزل ، و اما العلاقات الجديدة فانها تجري في مجال خارجي أوسع و مكشوف ( Découvert ) .

تتآنس هذه الزمرة النسوية في طريقها الى الطابور ، و هي تتحدث عن مشاكلها اليومية المختلفة الى غاية وصولها الى المكان المقصود . حيث تكوّن مختلف الفئات النسوية الآتية من كل النواحي طابورا و نلاحظ ان المجموعات النسوية مع بعض غالبا ما يحافظن على تماسكهن ، فاما ان يجلسن مع بعض و هن منهمكات في تكملة مواضيعهن الخاصة الى بيوتهن .

غير ان هذا لاينفي ان تنفصل بعض النساء عن مجموعتهن لتكوّن علاقات اجتماعية جديدة مع نساء اخريات لم تتعرف عليهن من قبل ، بسبب تفكك مجموعتها الاولى التي ينتقل اعضاؤها الى اماكن مختلفة عندما لا تجد حاجاتها .

ب) ثم نجد صنفا ثانيا من النساء يحبين الخروج لوحدهن او بمرافقة احد ابنائهن الصغار ، وللاشارة هنا يمكن اعتبار ظاهرة خروج المرأة لوحدها الى المحلات التجارية العمومية ظاهرة جديدة لم نلاحظها في السنوات السابقة . وعلى هذا الاساس نتساءل هل تعتبر هذه الظاهرة نوعا من التحرر والاستقلالية اكتسبتهما ربة البيت المسؤولة عن تموين اسرتها غذائيا ، ام هي ظاهرة ظرفية نتيجة ضيق الوقت وكثرة المشاغل التي دفعت بهذه الاخيرة الى تجنب الخروج الجماعي بما يتميز به من تضييع الوقت ؟

هذا ما سنحاول معرفته من خلال الجدول الاتي المستنبط من المقابلات والذي يربط بين متغيرين السن وخروج ربة البيت الى الطابور .

جدول رقم (22) : نوعية الصلة التي تربط ربة البيت بالاشخاص الذين يرافقنها للطابور حسب فئات السن :

| نوعية الصلة / فئات الاعمار | بمرافقة الجارات | بمرافقة احد اطفالها الصغار | تخرج وحدها | المجموع |
|---|---|---|---|---|
| اقل من 40 سنة | 01 | 06 | 03 | 10 |
| بين 40-50 سنة | 05 | 06 | 07 | 18 |
| اكثر من 50 سنة | 04 | — | 08 | 12 |
| المجموع | 10 | 12 | 18 | 40 |

ان اهم ما يجلب ملاحظتنا عند قراءة هذا الجدول هو ان اكبر عدد في العينة يشمل النساء اللواتي يخرجن لوحدهن الى الطابور وتتكون اغلبية هذه المبحوثات من المسنات و من متوسطات العمر .

ويمكن اعتبار السن متغيرا له فاعلية اذا اخذنا بعين الاعتبار المكانة الاجتماعية للمرأة المسنة التي اخذت تخرج بمفردها الى المجال الخارجي بدون حرج ، خاصة وانا نلاحظ من جهة ثانية ان من بين العشر المبحوثات اللواتي لا يتعدى سنهن الاربعين نجد ( 06 ) منهن لا يخرجن الا بمرافقة احد ابنائهن الصغار .

ان الطفل الصغير يساعد امه في امرين الاول القيام بالطابور والحمل معها الحاجات المشرية ، ثانيا والاهم نظرا لمدلوله الاجتماعي هو ان الطفل يحمي امه من ألسنة الاخرين ،لانه يعرفها بانها متزوجة وأم في ان واحد أي انها تحت رعاية رجل . فهذا ان دل على شيء فانما يدل على استمرارية القيم والمعايير الاجتماعية المتوارثة عن النموذج الاسري التقليدي المعروف في مجتمعنا الجزائري . ذلك ما عبرت عنه احدى المبحوثات عمرها 37 سنة قائلة : (( ما يحبش ، يقوللي كتخرجي خدي معك واحد من اولادك ، ما تخرجيش وحدك )) .

وفي الاخير نلاحظ في الجدول ايضا وجود المجموعة التي سبق وان تكلمنا عنها وهي مجموعة الجارات او القريبات اللواتي يستأنسن عند خروجهن للطابور .

بعد هذه النقطة يمكن الانتقال الى نقطة اخرى مكملة وهي نوعية العلاقات التي يكونها النساء داخل الطابور نفسه .

2 . الملاقات الاجتماعية النسوية داخل الطابور :

تعتبر ابواب المسحات التجارية العمومية نقطة التقاء الاحباب و الاقارب، فكثيرا ما لاحظت النساء يتعانقن و يقبلن بعضهن البعض ، وكما تتيح لهن الفرصة التعرف على اخبار الاسرة ، كازدياد مولود جديد ، او خطبة ،او خروج مريض من المستشفى وغيرها من الاخبار.

هذا من جهة و من جهة اخرى يمكن الاشارة الى نوع آخر من الملاقات الاجتماعية يكونها النساء داخل الطابور ، فان تردد نفس المجموعة على نفس المكان يجعلها تتعارف و تكون علاقات اجتماعية بينها . كما تقول هذه المبحوثة عمرها 50 سنة و تسكن في حي قصديري في جسر قسنطينة : (( كل نهار كنا نتلقو مع نساء جدد بصاح درك كدروا سوق الفلاح هنا عندنا ولينا نتلقو ديما ككسف )) .

تعتبر هذه المجموعة مهمة داخل الطابور بما تتميز به من صلابة و متانة العلاقات بين اعضائها . فامام اروقة باش جراح يوم 18 . 01 . 1987 حوالي 10 سا الى 12 سا زوالا ، سمعت احدى نساء الطابور التي كانت جالسة فوق الرصيف في انتظار توزيع المواد الغذائية تتكلم عن مجموعة معينة من النساء مشيرة الى ذلك بقولها : (( قاع يتحموا و يتعرفو بنتهم ، خاطرش ديما هنا في لاشان بيتهم )) .

فعلا كانت هذه المجموعة تعاون بعضها البعض و تتضامن ، فعند وصول الساعة الثانية عشر 12 سا / زوالا ، اي وقت تناول الفطور هناك من النساء من يذهبن الى منازلهن لكي يسألن عن اطفالهن اذا أكلوا ام لا ، او رجعوا من المدرسة (*) . وهناك حقا من ترضع طفلها و ترجع الى الطابور حيث تجد مكانها ينتظرها بفضل زميلاتها اللواتي يحرسن لها المكان عند غيابها و ذلك تحت فكرة : (( كاين الخير بنتنا اليوم عليا و غدوة عليك )) .

---

(*) رغم امية اغلب نساء الطابور الا انهن يتعرفن على الوقت بعلامتين احدهما : خروج التلاميذ من المدرسة ، و ثانيهما كثرة الحركة الدالة على كون الوقت هو وقت خروج العمال .

من خلال هذا القول نستنتج ان النساء بمواجهتهن الوضع الاقتصادي تتكون لديهن رؤية خاصة عن الموضوع . فاذا كانت السلطات العليا ترى بان عددا من المشاكل يمكن حلها عن طريق تحديد النسل فان هذه الفئة من النساء ترى في ذلك العكس.

هذا بصورة عامة عن الامهات ، واما بالنسبة للنساء المسنات وبعض متوسطات العمر اللواتي لهن كنات في البيت ، فمعظم احاديثهن تدور حول علاقتهن بهن (اي بزوجات ابنائهن ) .

ب) مواضيع الحموات :

فالحماة بالرغم من دورها الجديد خارج بيتها المتمثل في تموين اسرتها غذائيا واجراءات اخرى خاصة بوثائق الحالة المدنية . . . فانها مازالت مرتبطة بدورها السابق اذ انها على دراية بكل ما يجري داخل البيت من صغيرة وكبيرة ، كما انها تراقب كنتها في كل تصرفاتها . ولقد ادركت ذلك من خلال ما جاء في بعض اقوال النساء داخل الطابور . ففي سوق بلدية القبة يوم 1987/01/04 حوالي العاشرة والنصف صباحا سمعت احدى النساء تقول لزميلتها في الطابور : (( العروسة ما تخدمش الشغل ، جبي لها برك تكل )). وامرأة اخرى مسنة نوعا ما : (( المصمة في يدها ، هي عندها 8 وانا عندي واحد )) . ولقد علقت اخرى : العروسة ما جبتهش بصاح شطرة غير جات درت 4 دريي ، تجي غير تكل كيطب الفطور)) ، وكما استنتجت امرأة داخل نفس المجموعة : (( واش انقولك على دريي نتاع درك لا شيشي سوفاج )) ، يخطبو وحدهم و يتزوجو وحدهم ))

ان اهم ما يمكن استخلاصه من خلال هذه المناقشات النسوية هو تمسك الحماة بالنموذج الاسري التقليدي الذي يضمن لها دورها و مكانتها الاجتماعية فهي ترفض اي تغيير في هذا المجال بحيث انها تعتبر اختيار الابن زوجته بمفرده تمردا و خروجا عن ثقافتها ، و ذلك باستعمالها عبارة "لاشيشي سوفاج" خاصة اذ علمنا ان تزويج الابن عن طريق امه يعتبر حدثا حاسما بالنسبة اليها بما يضمن لها اعتبار مكانة اجتماعية داخل الاسرة . غير انه حتى ولو وقع اي تمرد من طرف الابن فان الام تحاول اصلاحه عن طريق علاقتها بزوجته. و يتضح ذلك من خلال استمرار الحماة في ممارسة سلطتها داخل الاسرة ، بحيث تراقب كنتها في كل تصرفاتها ، و إلا يدخلان في نزاع مستمر تنتهي في معظم الاحيان بالطلاق . و ما يؤكد ثانية استمرار النموذج الاسري التقليدي هو اهمية عدد الاطفال في ترسيخ و تدعيم مكانة الام داخل الاسرة ، و يتضح ذلك من خلال العبارات المستعملة في المناقشة النسوية المذكورة :((ما جبتهش بصاح شطرة غير جات جابت 4 دراري )) ، و عبارة اخرى :((هي عندها 8 و انا واحد )) . فالام تستلم دورها و مكانتها الاجتماعية بفضل ابنائها خاصة عندما يصلون الى سن الزواج .

غير انه غالبا ما يحدث هناك نوع آخر من التمرد من طرف الشباب الذين يرفضون الزواج في سن مبكرة . كما نلاحظه من خلال قول احدى النساء داخل طابور سوق الفلاح في الابيار حوالي الساعة العاشرة صباحا تشتكي عن ازمة علاقاتها الاجتماعية بابنائها الذكور قائلة : (( ولادي قاع عزاب و ماش متزوجين ، واحد عنده 29 سنة و لاخر 27 سنة و لاخر 25 سنة ، كنشفهم يطلعلي الزعاف)) . ان هذه المرأة وعدد كثير مثلها يساعدها الطابور في التخفيف من ضغطها الدسوي وهي تكشف عن همومها .

غير انه رغم تشعب المواضيع التي تتطرق لها النساء ، تبقى المواد الغذائية الموضوع الرئيسي .

ج ) ندرة المواد الاستهلاكية كموضوع رئيسي :

يعتبر موضوع ندرة المواد الاستهلاكية و منها الغذائية خاصة الموضوع الرئيسي بالنسبة للنساء ، وكما يجمع بين مختلف الاعمار . ان اهم ما يجلب ملاحظتنا في هذا المجال هو مقارنة بعض النساء المسنات الوضع الحالي بسنوات الفقر و ندرة المواد الغذائية التي كان يعيشها المجتمع الجزائري ابان وجود الاستعمار الفرنسي في الجزائر . و على وجه التحديد اثر تأثر فرنسا بالحرب العالمية الثانية 1939 - 1945 و التي كانت لها انعكاسات وخيمة على مستعماراتها و منها الجزائر و نتيجة لندرة المواد الغذائية التي استمرت الى غاية 1947 لقد لجأت الحكومة الفرنسية انذاك في الجزائر الى استعمال نظام اقتصادي معين في كيفية توزيع المواد الغذائية ، من خلال توزيع بطاقات تموين غذائية سنوية على كل اسرة ابتداء من جانفي الى غاية ديسمبر . و بعد استلام الكمية الموزعة من الغذاء تقص مباشرة الخانة المشيرة الى ذلك داخل البطاقة . هذا مع الاشارة الى ان هذه الكمية تزيد او تنقص حسب عدد افراد الاسرة و لذلك الغرض كان يستعمل الدفتر العائلي . و يشير النساء المسنات الى ذلك باستعمال جمل معينة كالتالي : (( راهو جاي عام البون)) كلش يزيد ينقص او (( ولينا كصحاب الرافطيما ، كل نهار واش يصدقو علينا ، اوكان غير تولي بـ (Livret de Famille) هكذا كل واحد يعرف الدالة تاعو )) .

اضافة الى ذلك يمكن الاشارة الى عدد من الكلمات و العبارات يستعملها النساء من خلال المواضيع التي يتطرقن اليها داخل الطابور . فمثلا يستعمل كلمة نكوفرو ( Couvrir ) على اللاشان في المونبري ( Monoprix ) : بمعنى نعمل الطابور . و ترجع هذه الكلمة ايضا الى ايام عهد الاستعمار الفرنسي في الجزائر و بالتحديد منذ الحرب العالمية الثانية إبان مشاركة فرنسا في الحرب ضد الألمان . فهذه الكلمة نقلها الفرنسيون عن الألمان الذين كانوا يستعملونها في الصفوف الحربية . و لقد بقي تداول هذه الكلمة من طرف الفرنسيين في الجزائر للاشارة الى القيام بالطابور عند عملية التجمعات الحربية مثلا .

فبقيت هذه الكلمة مستعملة الى غاية الوقت الحالي في صفوف النساء و الرجال داخل الطابوره واما كلمة (( منوبري )) ( Monoprix ) والتي يقصد بها ارخص ثمن ترجع هي الاخرى الى المحلات التجارية الكبرى التي كانت موجودة ابان الاستعمار الفرنسي في الجزائر والتي اصبحت حاليا تابعة الى القطاع التجاري العام الجزائري الذي يتميز هو الاخر بانخفاض الاسعار ، وتسمى بالاروقة . والى جانب هذا يستعمل النساء ايضا داخل الطابور كلمات وعبارات حديثة فأحيانا يقولن ( Galerie ) او يستعملن عبارة (( سوق الفلاح ما خلى الناس ملاح )) او (( سوق الفلاس)) مثلا . يجد النساء من خلال هذه الكلمات والعبارات التي اطلقنها تفسيرا لكل التغيرات الاجتماعية الاقتصادية التي طرأت على مجرى حياتهن . فهن يصارعن صعوبة غلاء المعيشة ، وصعوبة التحصل على المواد الغذائية التي يخرجن من اجلها يوميا . خلاصة القول ان كل هذه المناقشات والاحاديث النسوية داخل الطوابير تكون قبل توزيع المواد الغذائية ، بحيث انه عندما يبدأ التوزيع يتفرغ كل النساء لفكرة التحايل والتسابق من اجل الحصول على مادة معينة يرجعن بها الى بيوتهن .

نتوقف عند هذا الحد من التحليل لنشرع في فكرة اخرى لا تقل اهمية الا وهي مدى استمرارية العلاقات الاجتماعية المتكونة داخل الطابوره

## 4 - هل يعتبر الطابور مجالا لاستنساخ العلاقات الاجتماعية ؟

اذا كانت المجالات النسوية المعروفة في المجتمع الجزائري و المغربي عموما كالحمام مثلا الذي لا يعتبر فقط مكانا للاستحمام و قضاء وقت مريح و ممتع بين النساء بل يعتبر كذلك مكانا للاتصال بين مختلف نساء المدينة ، اللواتي يتعارفن و يتبادلن الاخبار ، كما يعتبر الحمام مجالا للخطبة و توسيع فرص المصاهرة بين العائلات (1) . في سياق هذه المذكرة نتساءل هل يمكن للطابور هو الاخر أن يؤدي نفس (الوظيفة) الدور ؟ .

ان الطابور هو الاخر يعتبر مكانا للالتقاء بين النساء من مختلف الاحياء المجاورة و البعيدة ، و مكانا لانتشار الاخبار بينهن . غير انني لم الاحظ و لو مرة بانه مجال للمصاهرة ، كما تقول هذه المبحوثة يتراوح عمرها بين 40 و 50 سنة : ((ندير معرفة مع نساء ، وحدة عرضتني ، قالت لي أرواحي عندي للدار بصاح انا المعرفة نتاع المنوبي تقعد تم برا)) .

ان معظم النساء يرفضن علانية فكرة استمرار العلاقات الاجتماعية التي يكونها داخل الطابور الى غاية البيت ، و ذلك لعدم شرعية و رسمية هذا النوع من العلاقات التي تعتبر مرفوضة من طرف الرجال لجريانها بعيدة عن اعينهم من جهة ، و في مجال مكشوف من جهة اخرى . كما تعبر عنه احدى المبحوثات عمرها 55 سنة : ((ليحب ينحي على خطرو ماشي بوي ، الرجل مرتو تعرونو بصاح بزاف ، وحدة هجالة ، وحدة خرجت بلا علم رجلها ، قاع ما خرجوش على شغلهم امال علاش ما يخرجوش بالخميس ، القسرة في الدار باباع على قهوة ، ماشي كما في الطابور تنقطع))

---

(1) S.ANDEZIAN et J.STREIFF-FENART, Réseaux feminins dans l'immigration maghrebine : Régulations politiques et rôle symbolique, Paris, ED/ C.N.R.S, 1981, P.250.

وفي نفس السياق تذكر مبحوثة اخرى اقل من 40 سنة : (( نـدبـر connaissance مع النسا surplace نحكو على قاع les problèmes, mais je n'ai pas eu l'occasion pour que ça soit des connaissances approfondies, moi personnellement je ne peux pas recevoir des femmes chez moi parce que je n'habite pas seule).

غير انه على الرغم من هذا النفي المطلق من طرف معظم النساء ، فاننا نجد مبحوثتين فقط اللتين اباحتا صراحة بانهما تمكنتا من تمديد علاقاتها الطابورية الى غاية بيوتهن . كما تقول هذه المبحوثة عمرها 38 سنة وكانت تعمل سابقا كأمينة سر (ضاربة على الالة الراقنة) .

<<(Dans la plupart des temps je fais des connaissances avec des femmes au sein de la chaine. On parle des problèmes de la vie de tous les jours. Il m'est arrivé de faire connaissance d'une employée c'est une caissière et elle vient maintenance chez moi)>>

وتقول المبحوثة الثانية التي يتراوح عمرها بين 40 و 50 سنة : ((نتعرفو في اللاشان نقسرو على كلش على المرايس ، درت معرفة مع واحدة تبيع الغضة اودرك راهي تجي عندنا تبي لغنا )) .

من خلال شهادات المبحوثات والملاحظات التي قمنا بها في عدة طوابير يمكن القول ان الطابور يفتح المجال لنوع اخر جديد من العلاقات الاجتماعية بين النساء تختلف عن العلاقات السابقة الذكر . فالطابور يتميز بميزة خاصة باعتباره مجالا لا زالة كرابت النساء النفسية ، بحيث انهن يشكين ، يحكين عن همومهن ، يصرخن احيانا باصوات مرتفعة يضحكن ، زيادة عن هذا كله تعتبر اسرارهن محفوضة .

ان ميزة عدم امتداد واستمرار علاقات الطابور تمكن النساء من الحفاظ على اسرارهن كما جاء في معظم اقوال المبحوثات :

ـ مبحوثة يتراوح عمرها بين (40 - 50 سنة) تقول : "نقسرو انحيو على ديقة الخاطر ، الهم ليكلنا في الدار نحكوه بره ، نمسحو قلوبنا ونولو"

ـ تقول مبحوثة اخرى عمرها اقل من (40 سنة) (( في لاشان نقسرو بنتنا نزلو شغل حباب بصح تم برك ، العبد بصح ينحي على خاطرو تحكي مع لمتعرفهاش خير من لتعرفها ، الكلمة ولا راحت راحت )) .

وتكرر مبحوثة اخرى الفكرة عمرها بين (40 و 50 سنة) قائلة :
(( في لاشان نقسرو على الضيق ، على الهم ، بصاح ألي ما تعرفهماش تحكلي السرية وتحكي لها ، لتعرفها نخاف تهدر عليا )) .

الى جانب العلاقات الاجتماعية التي يكونها النساء فيما بينهن داخل الطابور فانهن يدخلن في نوع آخر من العلاقات مع موظفي الحكومة كالباعة بالمحلات التجارية ، ورجال الأمن .

## المبحث الثاني : علاقة المرأة بالموظفين ورجال الأمن :

### 1 . علاقة المرأة بموظفي المساحات التجارية الكبرى :

ان تردد النساء على الطوابير يسمح لهن بتكوين علاقات اجتماعية معينة مع الموظفين وعمال المحلات التجارية العمومية ، وذلك من اجل تحصلهن على الاخبار تفيدهن فيما يخص توزيع المواد الغذائية . وتتميز هذه العلاقات بالطيبة احيانا ، وبالنزاع والاختلاف الحاد احيانا اخرى . كما نلاحظ ايضا محاولة المرأة اظهار نفسها من خلال المشاجرات التي تحدثها داخل الطابور مع الباعة بانها على دراية ووعي بكل ما يجري حولها من حوادث ، وتبريرا لوجودها نتيجة لما تعانيه احيانا من مضايقات . فأمام اروقة بئر خادم يوم 1987.03.09 حوالي الساعة الثانية زوالا لاحظت احدى النساء التي دخلت في نزاع مع احدى الباعة الذي أثار غضبها حين قال : (( أوكان ما تشربوش القهوة واش يصرا )) . فأجابته ثائرة : لوكان ما تشربهش انت)) بصاح عندي الخبار لوسيي يخدم في (leport) وعلى بالي القناطر نتاع القهوة ليد خلو ، بصاح انتما تشربتوها بنتكم )) .

ثم اكملت امرأة اخرى كانت حاضرة داخل الطابور قائلة : (( هيا ينسا نفطو غدوة الزيت مكنش القهوة مكنش على الرياس فوق ورق الفسوط ، ويشفو كفاش )) .
زيادة على هذا فقد استنتجت ان النساء لا يدخلن في نزاعات مع موظفي المحلات التجارية العمومية فحسب ، بل حتى مع رجال الامن انفسهم وذلك حسب اقوال النساء داخل الطوابير .

### 2 . علاقة المرأة برجال الامن :

ان حضور رجال الشرطة امام ابواب المسحات التجارية الكبرى يعتبر مؤشرا يدرك النساء من خلاله بانه يوجد هناك ما يمكن توزيعه من مواد استهلاكية .

على الرغم من ان الشرطة تلعب دور المنظم في الطوابر الا ان النساء يشمئزن من حضورها ، لانها المستفيد الوحيد من المواد الاستهلاكية ، وبدون احترام. وفي هذا الصدد فقد سمعت امرأة تحكي للنساء الحاضرات قائلة : (( هذاك النهار في (La cité montagne) دار الشعب لشان ، ومع الاخر جاو البوليس في كميون وهزو سبعة باكيات نتاع القهوة للواحد وخرجو وقالوا للشعب خلا من تشربوا الرهج )) .

ان وجود رجال الشرطة لا يثير غضب النساء ، لانهم المستفيد الاول من المواد الاستهلاكية - فحسب بل لانهم يشمئزون هم الاخرون عند رؤيتهن . وفي هذا الصدد تحكي احدى النساء عما قاله رجال الشرطة لها : (( العجايز طيحت علينا الذل اقعدوا في ديوركم )) غير ان امرأة اجابته قائلة : (( نهار كان الخير كنا في ديورنا ما تمغونا وما نشفوكم )) .
من خلال نزعات النساء مع رجال الشرطة ندرك انهن لا يتحدنهم كرجال فحسب بل لانهم موظفي الدولة او بالاحرى ممثليها ، وذلك باستعمالهن ضمائر المخاطب. كما انهن يدركن ان سبب خروجهن الى المسحات التجارية الكبرى وقيامهن بالطوابير كان نتيجة لرغبة الدولة التي لم تستطع تسديد حاجيات السكان الذاتية. كما نلاحظ ايضا ان النساء يدخلن دائما في مقارنة بين وضعهن الحالي ووضعهن السابق اين كانت المرأة في غنى عن ان تتنقل الى الدكان الذي يقربها لان زوجها هو الذي يتكفل بذلك ، او تبعث مباشرة احد ابنائها الصغار يشتري لها ما تحتاج اليه من مراد . فوضع المحلات التجارية العامة يعد سببا في خلق هذه الندرة حسب رؤية النساء الخاصة وسببا في خروجهن . كما يتضح لنا من خلال هذا الخطاب النسوي الذي يوجهنه للشرطة استعمال كلمة الشعب، التي يرددنها كل مرة يعارضن فيها رجال الشرطة ، او عند ما يتعارضن من نساء الاسر البورجوازية (*) ، فانهن يشرن الى نفوسهن بانهن ممثلات الفئة الشعبية ويستعملن في ذلك عبارة (( حنا نسا نتاع الشعب )) .

---

(*) نقصد بالاسر البورجوازية الاسر ذات المستوى المعيشي والاقتصادي الراقي والمرتفع خاصة عندما نقارنها باسر الفئة الشعبية .

وفي هذا السياق نذكر ان النساء يدخلن ايضا في نوع آخر من النزاع مع نساء الاسر البورجوازية اللاتي يمثلن نمطا معينا من المعيشة يختلف تماما عن النمط الشعبي الذي يعيشه نساء الفئات الشعبية . ولقد استخلصت هذه الملاحظة اثناء طابور شهر رمضان على مادة اللحم .

**المبحث الثالث : المرأة والطابور خلال شهر رمضان :**

لا تستهلك الفئة الشعبية اللحوم الحمراء الا في مواسم معينة كعيد الاضحى وشهر رمضان . ان مائدة شهر رمضان لا تخلو من مادة اللحم فان الناس يفضلون شراءه من المساحات التجارية الكبرى التي تبيعه بسعر منخفض (60) دج في سنة 1987 عوضا عن المحلات التجارية الخاصة (اي عند القصابة) بسعر مضاعف (120) دج الكلغ الواحد . فتوزيع الدولة للحوم الحمراء باسعار منخفضة على المحلات التجارية العمومية يعتبر كاعانة مالية للشريحة الاجتماعية الشعبية . غير انه يبدو ان هذه الاخيرة ليست المستفيد الوحيد من هذه الاعانة ، بل حتى الشريحة الاجتماعية البورجوازية التي تستفيد هي الاخرى خاصة وان الشاحنات العمومية المتنقلة المجمدة للحوم تتجه الى الاحياء الحديثة كحي القاريدي بالقبة القديمة مثلا ، حيث تجد الفئة الشعبية نفسها مجبرة عن التنقل من احيائها الشعبية الى ذلك المكان حيث يوزعون مادة اللحم .

ان طابور مادة اللحم في شهر رمضان يعكس تقابل فئتين مختلفتين الفئة الاجتماعية البورجوازية التي تسكن في هذه الاحياء الحديثة والفئة الشعبية (التي تعاني صعوبات المعيشة) والتي تتنقل من احيائها كحي المنظر الجميل مثلا الذي يوجد هو الاخر بالقبة وكلتا الفئتين تعكس نمط واسلوب معيشتها من خلال لباسها ، تصرفاتها ، ومواضيعها الخاصة . يظهر نساء الاحياء الحديثة كحي القاريدي بالقبة بانهن شابات لا يتعدين الاربعين ، وهن غير مغطيات ((بالحايك)) ولكنهن لابسات لباسا عصريا . وكانت هذه المجموعة النسائية واقفة مع بعض تتحدث في امورها الخاصة ، واغلب احاديثها ومواضيعها متعلقة بمشاكل ذات مستوى معين : كالاخطار التي تتلقاها من تناول بعض أدوية تحديد النسل مثلا او تتطرق الى مواضيع متعلقة بمحاولتها ادخال ابنائها الى المدرسة في سن 5 سنوات لانها تعرف المديرة وهكذا . . .

غير ان الصورة التي يعكسها نساء الفئة الشعبية مختلفة تماما . فأول شيء كن يتميزن به هو أنهن متوسطات العمر و اغلبهن مغطات بالحجاب ( الحايك ، وكن جالسات على الارض ، او فوق الارصفة و نلاحظ من خلال مواضيع هذه الفئة بانها تشعر بالاختلاف و الحاجز الموجود بينها و بين فئة نساء الحي الحضري الحديث الذي انتقلت اليه . وفي هذا الصدد فقد سمعت مجموعة معينة من الفئة المذكورة تتشاور فيما بينها عن احدى نساء الفئة البورجوازية قائلات : (( شفتي هذيك مرت وزير المجاهدين ، اوكل مرة تعاود معنا لاشان )) . ان نساء الفئة الشعبية يرين بان المحلات التجارية العمومية قد خلقت من اجل مساعدتهن لانهن لا يستطعن تموين انفسهن بالمواد الاستهلاكية الباهضة الثمن . ولهذا نجد هن يتعجبن كيف ان الفئة البورجوازية تأتي لتزاحمهن في الطوابير ، و مع العلم انها تتمكن من تموين نفسها بالمواد المرتفعة السعر . غير ان النساء نسين نقطة حساسية و هي ان هذه الشاحنات المتنقلة تتجه الى احياء الفئة البورجوازية لخدمتها ، وتلبية طلباتها المتزايدة في شهر رمضان حيث تتنوع الاطباق و يزيد عدد ضيوفها .

وفي سيان فكرة المقارنة التي يضعها نساء الفئة الشعبية بينها و بين الفئة البورجوازية انطلاقا من الحي نفسه ، نلمس ذلك من خلال حوار مجموعة نسائية (شعبية) : (( يسدري ولا عندهم الدربي في هذا _ ( Lacité ) ، نقية ، و مينوش ولادهم ، ماشي كما عندنا في Jolie Vue في 62 الناس جاو بخمسة دربي ، أودرك عمرو الدنيا )) . ثم تكمل امرأة اخرى الحوار قائلة : (( درنا شحال من les demandes ومصحلناش السكنا هنيا ب 45 الف غالي كما حنيا غير 7 الف )) .

من خلال حوار هذه المجموعة النسائية نلاحظ بانها تضع عددا من مؤشرات الاختلاف بين حيها الشعبي و الحي الحديث الراقي اهمها : صورة الحي من حيث النظافة ، حجم السكان من حيث عدد الاطفال ، ثمن الكراء .
و تصل هذه المجموعة في الاخير الى نتيجة معينة هو ان امكانية السكن في مثل هذه الاحياء يبدو امرا صعبا رغم رغبتها في ذلك . بمعنى ان الارتقاء الى نمط او مستوى معين من المعيشة ليس في مقدور الجميع .

**تعقيب :**

يعتبر الطابور قناة من قنوات الاتصال غير الرسمية لربات البيوت حيث يجدن فيه نسقا من القيم و المعايير الثقافية و الاجتماعية ، الذي يشكل في الواقع شبكة للاتصالات ، و التي عن طريقها تكتسب بعض القيم و الخبرات اليومية . و ما يمكن استنتاجه من الملاحظات الكيفية المعاشة مع المجتمع المدروس وجود شبكتين من العلاقات الاجتماعية ، الشبكة الاولى تمثلها اساسا الجيرة و القرابة حيث تشكل التضامن الاجتماعي بين ربات البيوت و لعل العامل الحاسم في هذا النوع من العلاقات الاجتماعية يجسده عامل الجيرة . في حين الشبكة الثانية و التي تمثل في نظرنا اهم فئة اجتماعية في الطابور تجسدها عوامل عدة منها الوضعية الاجتماعية و الاقتصادية المتشابهة عامة ، اضافة الى ذلك تجانس الانشغالات و الاهتمامات لديهن ، و هذا ما يجعلهن يدافعن عن مصالح واحدة مشتركة . اذ يشكلن بذلك قوة اجتماعية منظمة داخل الطابور .

فهذه الفئة متضامنة فيما بينها خاصة في مواجهة كل ما يتعلق بالقيم الثقافية الاجتماعية و الاقتصادية الخارجة عن بيئتها . و لعل ذلك يبرز في مواجهتها لرجال الشرطة عند تنظيم الطابور ، او مواجهتها للنساء الاخريات اللاتي يمثلن طبقة بورجوازية في نظرها حيث ينافسنها في اقتناء بعض المواد الاستهلاكية التي تعرضها المراكز التجارية من حين لآخر (*) هذا التساند جعلها تشكل اطارا منظما غير رسميا تتبادل فيه الادوار خاصة في اوقات الضرورة ، كمناوبة المرأة للاخرى في الطابور اذا كانت هذه الاخيرة مرتبطة باشغال منزلية مستعجلة .

---

(*) كبيع اللحوم خاصة في شهر رمضان .

لقد حاولنا من خلال هذا البحث التطرق الى احدى التغيرات الهامة التي يعيشها المجتمع الجزائري بصفة عامة ، و الاسرة بصفة خاصة الا و هو المشكل الاقتصادي العويص المتمثل في تذبذب عرض المواد الاستهلاكية في السوق . هذا التذبذب الذي انعكس بدوره على الحياة الاسرية ، بما فيها الادوار و المكانات الاجتماعية لافراد الاسرة خاصة منهم ربة البيت .

و رغم اننا لا نستطيع تعميم النتائج المتوصل اليها من خلال هذا البحث لاعتبار دراستنا استكشافية لميدان جديد لم تتعرض اليه الدراسات السابقة ، و لهذا اكتفينا بدراسة حالة و ليس على عينة كبيرة . فانه يمكن القول ان ربة البيت لعبت دورا اساسيا في التصدي لتذبذب عرض المواد الاستهلاكية الاساسية ، و ذلك بسعيها المستمر للبحث عن المواد المفقودة و شرائها ، ثم تخزينها لوقت الحاجة .

ان صعوبة المعيشة بما فيها تذبذب عرض المواد الاستهلاكية في السوق دفعت بمجموعة هائلة من ربات البيوت الاحياء الشعبية الى الخروج يوميا للمكوث ساعات طويلة في الطوابير لعلهن يجدن بعض هذه المواد يعدن بها الى البيت .

ان غياب رب الاسرة بسبب العمل المأجور ، و الاطفال بسبب الدراسة حتم هؤلاء النساء من مختلف الاعمار على تحمل مسؤولية الشراء و تسيير ميزانية الاسرة خاصة الجزء المخصص للغذاء .

فبمواجهة ربة البيت لندرة المواد الاستهلاكية لم تعبن تلك المرأة الماكثـــة في البيت التي تنتظـر مناسبة او ظرفـا عائليـا معينـا لتخرج الـــى المجال الخارجي وهي مصحوبة امـا بزوجهـا ، او حماتها اذا كانـت في سن معين . فانهـا اليوم تخرج الى مجـال اوسع و مكشـوف بمفردهـا احيانـا ، او بمرافقة الجارات احيانـا اخرى . و تستخـدم في ذلك وسائـل نقـل مختلفـة حتى تتنقل من مساحة تجارية الى اخـرى .

و تكتسب ربـة البيت بفضـل هـذا الدور الجديد خبرة جديدة في المجـال الخارجي سـواءا كان ذلك في التنقـل من مكـان الى آخـر ، او التعامـل بالنقـود في اقتنـاء المواد الاستهلاكية ، اضافـة الى اهميتهـا الخاصـة داخـل الاسرة لمـا تعـود بـه من فائـدة و نفـع على الجميـع ، رغـم ان دورهـا هـذا لا يدخل ضمن العمـل المأجـور ، و انمـا يعتبر امتدادا لاعمالهـا و مسؤولياتهـا المنزليـة السابقة .

ان الخروج يوميـا لشـراء المواد الاستهلاكيـة تعتبره ربـة البيت عمـلا اضافيـا لمـا يتطلبـه مـن جهـد وتعب و وقت في نفس الوقت ، و تتصـور نفسهـا في اطـار هذا الوضع الجديد كعاملـة بأجـرة التي تعمـل خـارج بيتهـا و تعـود اليه الا في المسـاء لتقـوم باعمـال منزليـة .

غير ان ازدواجية الوظائف بين البيت و خارجـه لا تعيشه ربات البيـوت بنفس الحجم ، و ذلك حسب السن و المكانـة الاجتماعيـة لكل واحـدة منهـن فالام و الحمـاة تكونـان في وضعية احسـن من ربة البيت الشابـة ، اذ يجدان في غالب الاحيـان امـرأة أخرى تعوضهمـا عند غيابهمـا عن البيت ، وتكون هذه الاخيرة امـا البنت او زوجـة الابن ، و ذلك في اطـار تقسيم الوظائف بيـن نسـاء الاسـرة الواحـدة .

هذا ان دل على شيء فانما يدل على مدى استمرارية النموذج العائلي التقليدي الذي يمكن المرأة المسنة بفضل مكانتها الاجتماعية داخل الاسرة والمجتمع من الخروج الى المجال الخارجي بكل سهولة، وذلك اذا قورنت بالمرأة الشابة التي لا تخرج الا بدافع الضرورة والحاجة.

وهذا ما يفسر ايضا جملة التصورات التي تكرنها ربات البيوت عن خروجهن الى المساحات التجارية الكبرى. فنجد مثلا ربة البيت المسنة امام مقارنة بين الماضي والحاضر رغم شعورها بارتياح وطمأنينة يظهران من خلال تصرفاتها، والوقت المستغرق خارج بيتها، بينما نجد ربة البيت الشابة في قلق واضطراب للرجوع الى بيتها نظرا للاشغال المنزلية التي تنتظرها من جهة، ولانها تشعر انها ليست في مجالها الحقيقي من جهة اخرى.

تحاول كل من ربة البيت الشابة والمسنة تبرير سبب خروجهما بالوضعية السياسية والاقتصادية التي خلقتها الدولة وذلك بانشاءها المساحات الكبرى وما تسبب عنها من ندرة المواد الاستهلاكية، ولهذا فانهما يطالبان الى شرعية الخروج خاصة ربة البيت الشابة.

تعيش ربة البيت سلسلة من الصراعات والتناقضات الاجتماعية والنفسية في آن واحد، فمن جهة تجد نفسها مجبرة على الخروج لشراء المواد الاستهلاكية الضرورية وذلك بموافقة رب الاسرة، ومن جهة اخرى تتلقى معارضة عنيفة من الرجل الاخر المتمثل اما في البائع او المستهلك الذي يرى منافسة المرأة له في الخروج وتحمل المسؤولية، وان مكانها الطبيعي لا يتعدى البيت وحرمته. ويتضح ذلك من خلال تصرفاته العنيفة تجاهها (كالشتم، وعدم الاحترام مثلا).

و ذلك ليس الا تعبيرا عن مدى رغبته في التمسك بالقيم و المعايير الاجتماعية المعروفة في مجتمعنا الجزائري ، و التي جعلت من الرجل سيد المجال الخارجي بلا منافس.

غير انه رغم هذه التناقضات التي تعيشها ربة البيت ، فانها لم تتخل عن تحمل مسؤوليتها ، اذ ان شراء و اقتناء المواد الاستهلاكية بنفسها دعم مسؤوليتها في تسيير ميزانية الاسرة. فان ربة البيت تستعمل عدة تقنيات وحيلا في مواجهة هذه الندرة ، و ذلك باللجوء الى عادتنا في الطباخة التي لا تتطلب عدة مواد جاهزة بقدر ما تتطلب عدة فنيات و مهارات تكتسبها ربة البيت تدريجيا في تسيير شؤون الاسرة.

ان هذه المميزات تساعد ربة البيت ايضا على ان تحتاط و تقتصد لتحقيق احتياجات الاسرة في الحاضر و المستقبل.

و حتى يتسنى لها ذلك فانها تلجأ الى تخزين المواد الاستهلاكية و ذلك اما باستعمال الطرق التقليدية كالعولة : عولة الدقيق ، أو الخضر و الفواكه . . . الخ ، واما باستعمال الطرق الحديثة كاستعمال الاجهزة الالكترونية الحديثة ، كالثلاجة ، او جهاز التبريد و ذلك حسب مقدرات الاسرة المادية.

ان هذه المسؤولية المزدوجة بين البيت وخارجه أمكنت ربة البيت من اكتساب اهمية خاصة داخل الاسرة و خبرة واسعة في تسيير شؤونها ، هذا الى جانب تفتحها على المجال الخارجي حيث تكون شبكة من العلاقات الاجتماعية الجديدة.

وكما سبق وان اشرت اليه في الفصل الاخير من هذا البحث ، فان الطابور يعتبر قناة من قنوات الاتصال غير الرسمية بين النساء ، اذ يجدن فيه نسقا من القيم والمعايير الاجتماعية.

فالطابور يمثل مكانا للالتقاء والتعاون بين النساء والترويح عن النفس واذ كان لا يمثل مجالا لامتداد العلاقات الاجتماعية العائلية ، كما هو الحال بالنسبة للمجالات النسوية المعروفة كالحمام مثلا .

غير ان اهم ما يستوعي النظر هو تمكن فئة نساء الاحياء الشعبية وخاصة المترددات على الطوابير من تكوين شبكة متينة من العلاقات الاجتماعية داخلها ، تجسدها عدة عوامل منها الوضعية الاجتماعية والاقتصادية المتشابهة عامة ، ذلك ما يساعدهن على الدفاع عن مصالح واهداف مشتركة . تعتبر هذه الفئة قوية ، منظمة ، ومتضامنة فيما بينها لمواجهة كل ما يتعلق بالقيم الثقافية ، الاجتماعية والاقتصادية الخارجة عن بيئتها . ويبرز ذلك في مواجهتها لرجال الامن ، عمال المساحات التجارية الكبرى الذين يمثلون الجهاز السياسي والاقتصادي للدولة الذي لم يتمكن من تلبية حاجيات المستهلكين للحياة .

وفي رفضها للاوضاع الاقتصادية المتمثلة في تذبذب عرض المواد الاستهلاكية في السوق والتي اشرت بصفة خاصة على نفسية وجهد المستهلك في التردد يوميا على ابواب المساحات التجارية الكبرى التي اصبحت مجالا للفوضى والغليان ، والصراعات الحادة حتى بين المستهلكين انفسهم نساءا ورجالا ، وما احداث 5 اكتوبر 1988 التي عاشتها الجزائر اخيرا الا دليلا على ذلك الرفض.

فالمستهلك الجزائري بات عاجزا عن تحمل هذه الوضعية الاقتصادية خاصة المستهلك ذي الدخل الضعيف الذي كان يفضل التوجه الى المساحات التجارية الكبرى التي انشأتها الدولة خصيصا لمساعدته و اعانته ، و ذلك لتميزها بانخفاض الاسعار. غير ان الوضع انقلب لتصبح هذه الاخيرة سببا في عدة مشاكل لهذا المستهلك ، و ذلك بتذبذب العرض فيها ، الى جانب خلق عدد من التمييزات و الفوارق الاجتماعية ... الخ .

ان المستهلك انتظر طويلا لينفجر بالرفض لكل انواع التمييز و اللامبالاة و ذلك بحرق معظم هذه المساحات التي قد اعيد ترميمها اخيرا (اعني 89-90) .

غير ان اهم شيء يمكن الاشارة اليه في هذه الخاتمة هو ان المجتمعات اليوم بصفة عامة و مجتمعنا الجزائري بصفة خاصة يعيش تغيرات و تقلبات سياسية و اقتصادية و اجتماعية مستمرة يصعب للباحث ضبطها في موضوع و نتائج معينة و محددة .

و ضمن هذه التحولات نذكر دخول النظام الاقتصادي الجزائري ابتداء من 1991 في غمار اقتصاد السوق ، في هذا السياق تتبادر الى اذهاننا عدة تساؤلات اهمها :

- ما هي اهم تأثيرات نتائج هذا النظام على يوميات المستهلكين و المستهلكات خاصة ؟ .

علما ان اقتصاد السوق المبني على اساس المنافسة بين المؤسسات الانتاجية الوطنية وحتى الاجنبية و اعني الشركات المتعددة الجنسيات و نذكر على سبيل المثال الشركات الايطالية التي اجرت معها الجزائر اخيرا عقود في هذا المجال لمدة زمنية معينة (25 سنة) حسب المعلومات الصادرة عن اجهزة الاعلام .

هـذه المنافسة تؤدي حتما الى تعدد المواد الاستهلاكية وتنوعها في الاسواق مع ارتفاع الاسعار ، علما بان الدولة ستتخلى عن اعانة المستهلك ذي الدخل الضعيف الذي كان يفضل القيام في الطوابير ساعات طويلة عند المساحات التجارية الكبرى للتمون بالمواد الاستهلاكية عوضا عن التجار الخواص لارتفاع الاسعار.

في هذا السياق يتبادر الى اذهاننا ايضا سؤال جوهري ألا وهو : هل بعرض المواد الاستهلاكية بصورة دائمة و منظمة في الاسواق سوف يعني بهذا القضاء على ظاهرة الطابور - تتوقف ربات البيوت و خاصة الفئة الشابة منهن عن الخروج يوميا الى المحلات التجارية (اقصد المجال الخارجي عموما) علما انهن اعتدت على الخروج الذي اصبح جزءا هاما من حياتهن كما رأينا خلال هذا البحث ؟.

ان هذا السؤال سيفتح الافاق للدراسات مستقبلية و مكملة لهذه الدراسة من طرف باحثين أخرين ، و ان كان هذا السؤال سابق أوانه بحيث ان حرب الخليج التي يعيشها العالم اخيرا ابتداء من 15 جانفي 91 قد حتمت المجتمعات العالمية ان تعيش ظروف اقتصادية جديدة ، و من بينها مجتمعنا الجزائري الذي يتوقع هو الاخر نتائج هذه الحرب التي تجهل مدتها.

وفي هذا الاطار نلاحظ ان المستهلك الجزائري قد اعتاد على ندرة المواد الاستهلاكية والتي قد يكون هو الاخر طرفا مسببا فيها ، بحيث اننا نلاحظ في هذه الايام الاخيرة اقبالا كبيرا من المستهلكين و المستهلكات على المساحات الكبرى للتمون بكميات هائلة من المواد ، فقد يتحصل المستهلك الذي يوجد في الصف الاول من الطابور على كميات كبيرة ، وقد لا يجد المستهلك الذي يوجد في الصف الاخير أية مادة استهلاكية يعود بها الى بيته رغم الوقت و الجهد الذي استغرقه من أجل ذلك.

ان كل هـذه التغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية السريعة التي نعيشها في هذه السنوات الاخيرة والتي تطرح عدة تساؤلات جوهرية قد تبعث حب الاطلاع والفضول عند الباحثين لدراسات مستقبلية وذلك في عدة مواضيع ، قد تكون متفرعة ومتسلسلة ، او قد تحمل في طياتها عدة متناقضات جوهرية تستدعي البحث.

## أولاً : المراجع باللغة العربية :


ابراهيم مذكور : معجم العلوم الاجتماعية ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1975 .

احمد زكي تفاحة : المرأة والاسلام ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، ط 1 ، 1979 .

الطاهر الحداد : امرأتنا في الشريعة والمجتمع ، تونس ، الدار التونسية للنشر ، ط3 ، 1984 .

المرأة الجزائرية : ترجمة سليم قسطون ، بيروت ، دار الحداثة للطباعة والنشر ، 1983 .

تيودور كابلوف : البحث السوسيولوجي ، ترجمة نجاة عياش ، بيروت ، دار الفكر الجديد ، 1979 .

حليم بركات : المجتمع العربي المعاصر ، بيروت ، مركز الدراسات الوحدة العربية ، ط3 ، 1963 .

زهير حطب : «تطور بني الاسرة العربية ، الجذور التاريخية والاجتماعية لقضاياها المعاصرة » ، بيروت ، معهد الانتماء العربي ، ط1 ، 1984 .

سناء الخولي : الاسرة والحياة العائلية ، بيروت ، دار النهضة العربية 1984 .

فوزية العطية : المرأة والتغير الاجتماعي في الوطن العربي ، بغداد معهد البحوث والدراسات العربية ، 1983 .

فوزية ذياب : «القيم والعادات الاجتماعية ، مع بحث ميداني لبعض العادات الاجتماعية» بيروت ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ط2 ، 1980 .

محمد صفوح الاخرس : « تركيب العائلة العربية و وظائفها ، دراسة ميدانية لواقع العائلة في سوريا » ، دمشق ، وزارة الثقافة و الارشاد القومي .

محمد عاطف غيث : دراسات في علم الاجتماع القروي ، بيروت ، دار النهضة للطباعة و النشر ، بدون ذكر السنة .

محمد عاطف غيث : قاموس علم الاجتماع ، الاسكندرية ، كلية الاداب ، 1979 .

محمود حسن : الاسرة و مشكلاتها ، بيروت ، دار النهضة العربية ، 1981 .

مصطفى الخشاب : دراسات في علم الاجتماع العائلي ، بيروت ، دار النهضة العربية ، 1981 .

## ثانيا : الرسائل الجامعية :

زبيدة بن عويشة : اثر عمل الزوجة الام في بناء الاسرة الجزائرية ، اطروحة ماجستير في علم الاجتماع ، جامعة الجزائر ، 1986 .

عائشة بورغدة : العاملة الجزائرية و تنظيم النسل ، رسالة الماجستير في علم الاجتماع ، جامعة الجزائر ، 1986 .

فضيلة عبادة و رشيدة بستي : « ربة البيت العميلة ، دراسة ميدانية لبعض الاسر الاجيرة من اصل ريفي في احياء حضرية » ، مذكرة نهاية ليسانس في علم الاجتماع ، جامعة الجزائر ، جوان 1989 .

نورا أبو عزيز و ليندا مساسي : العولمة بين التصور و الممارسة ، مذكرة نهاية ليسانس في علم الاجتماع ، جامعة الجزائر ، 1988 .

## ثالثاً: الوثائق الرسمية :


التقرير التمهيدي لمشروع القانون المتعلق بالاسرة الجزء الاول 81 / 15 . PL ، الفقرة التشريعية الثانية لسنة 1984 بالمجلس الشعبي الوطني .

قانون الاسرة ، الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1984 .

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية ، جبهة التحرير الوطني ، ميثاق الجزائر ، 1976 .

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية ، جبهة التحرير الوطني ، دستور الجزائر ، 1976 .

1°/ OUVRAGES ET ARTICLES /:

- ANDEZIAN.S et STREIFF.J : "Réseaux feminins dans l'immigration maghrebine, Régulation politiques et rôle symbolique", in Annuaire de l'Afrique du Nord, 1981, Paris, C.N.R.S, 1982.

- BENTIA Farouk : "Le travail feminin en Algerie, Département d'Alger", Alger, S.N.E.D, 1970.

- BORRMANS Maurice : "Statut personnel au maghreb de 1940 à nos jours", Paris, Mouton, 1970.

- BOUTEFNOUCHET Mostefa : "La famille Algerienne, Evolution et Caracteristiques récentes", Alger, SNED, 1982.

- BOUTEFNOUCHET Mostefa : "Système social et changement social en Algerie" Alger, O.P.U, sans date.

- CHAULET Claudine : "La terre, les frères et l'argent, Strategie familiale et production agricole en Algerie depuis 1962", Alger, O.P.U, 1973, 3 Tomes.

- CHELLIG Nadia : "L'espace sexualisé en Algerie et l'ambiguité du voile feminin", in Actes du colloque national, femme, femminisme et recherche, Toulouse, 1982.

- DECLOITRES Robert et DEBZI Laid : "Système de parenté et structure familiale en Algerie", In Annuaire de l'Afrique du Nord, 1963, Paris C.N.R.S, 1974.

- FEKKAR Yamina :"La femme, son corps et l'islam, Question et contradictions suscitées par le vécu quotidien en Algerie", In Annuaire de l'Afrique du Nord, Paris, C.N.R.S, 1980.

- GRAWITZ Madeleine : "Methodes des sciences sociales", ED/DALLOZ, 5ème ED, 1981.

- HAKIKI-TALAHITE Fatiha : "Scolarisation et Formation des filles en Algerie, Préparation au salariat ou production de ménagères moderne ?, In Annuaire de l'Afrique du Nord 1970 - 1980, C.N.R.S, Paris, 1981.

- KHODJA Souâd : "Les Algeriennes du Quotidien", Alger, E.N.A.L, 1985.

- KHODJA Souâd : "Les femmes et le développement", In Annuaire de l'Afrique du Nord, 1979, Paris, C.N.R.S, 1980.

- KORNAI Janos : "Socialisme et économie de la pénurie", Paris, Economica, 1964.

- LACOSTE-DUJARDIN Camille : "Des mères contre les femmes, Matriarcat et patriarcat au maghrèb", Paris, LA DECOUVERTE, 1985.

- LAVIGNE Marie : "Les économies socialistes sovietiques et europeennes", Paris, Armand colin, collection U, 1981.

- MUCCHIELLI Roger : "L'analyse du contenu, Des documents et des communications", ED/E.C.P, 1979.

- RAMZI-ABADIR Sonia : "La femme arabe au maghreb et au machrek, Fiction et réalités", Alger, E.N.A.L, 1986.

- SEGALEN Martine : "Sociologie de la famille", Paris, Armand colin, collection U, 1981.

- SOFER (Catherine) : "La division du travail entre hommes et femmes", Paris, economica, 1985.

- TILLION Germaine : "Le harem et les cousins", Paris, ED/du seuil, 1966.

- TODD Emmanuel : "La trosième planète, Structures familiales et systèmes Idiologiques" , Paris, ED : Seuil, 1983.

- TODD Emmanuel : "L'enfance du Monde, Structures familiales et Développement", Paris, ED : Seuil, 1984.

- TOUALBI Nourredine : "Religion, Rites et mutations, Psychologie du saer en Algerie", Alger, E.N.A.L, 1984.

- ZERDOUMI Nafissa : "Enfant d'hier, l'education de l'enfant en milieu traditionnel algerien", Paris, F. Maspéro, 1970.

2°/ THESES /:

- HAKIKI TALAHITE Fatiha : "Travail domestique et salariat feminin, Essai sur les femmes dans les rapports marchands, Cas de l'Algerie", These de Magister, Université d'Oran, 1983.

- VANDVELDE Helène : "La femme et la vie politique et social en Algerie depuis l'independance", Mémoire D.E.S en droit, Alger, 1968

٤٦٠٦٤٨

- VON ALLMEN Jean dominique Malik : "Mariage et famille, l'evolution des structures familiales en Algerie", Thèse 3ème cycle, Paris, 1985.

3°/ REVUES et JOURNAUX /:

a)- REVUES :

REVUE DU CREAD : Economie Agro-Alimentaire I, N° 7/8, Alger, 3ème et 4ème trimestres, 1986

REVUE DU CREAD : Economie Agro Alimentaire II, N° 14, Alger, 2ème trimestre, 1988.

REVUE DU C N E A P, N°3, Alger, Sept, 1985.

REVUE : UNION des sociologues et des économistes algeriens (U.S.E.A), crise économique et consommation, Tizi-Ouzou (Algerie), 1986.

REVUE STATISTIQUE, N°6, Alger, O.N.S, JANVIER - MARS 1987.

REVUE STATISTIQUE, N° 11, Alger, O.N.S, 1986
" " N° 13, Alger, O.N.S, 1987
" " N° 14, Alger, O.N.S, 1987

b)- JOURNAUX :

HEBDOMADAIRE ALGERIE ACTUALITE, N° 1103, Alger, Semaine du 4 au 10/12,

HEBDOMADAIRE ALGERIE ACTUALITE, N° 1153, Alger, Semaine du 25 NOV. 1987.

HEBDOMADAIRE ALGERIE ACTUALITE, N° 1231, Alger, Semaine du 18 au 24 Mai 1989.

HEBDOMADAIRE ALGERIE ACTUALITE, N° 1270, Alger, Semaine du 15 au 21 FEV. 1990.

HEBDOMADAIRE REVOLUTION AFRICAINE, N° 875, Alger, Semaine du 28/11/80,

HEBDO REVOLUTION AFRICAINE, N° 1206, Alger, Semaine du 10/07/87.

HEBDO REVOLUTION AFRICAINE, N° 1292, Alger, Semaine du 09/12/88.

QUOTIDIEN EL MOUDJAHID, N° 7329, Alger, Semaine du Mercredi 04/01/19..

## دليـــل المقابلـــــــة

### I. اسئلـــة مفتـوحــــة :

1 ‎.‎ اسمحلي و لا تقدري تقـوللي شكـون لمستكلف بالقضيان نتــاع الـــــدار، ولا كنـت أنت طـوقتـاش بـدت تخـرجي تدبري لا شان ؟

2 ‎.‎ ولا كل يـوم تخـرجي ولا سمـات برك و من وقتـاش بديتي تتقضي فيـه و مـع مـن تروحي و عـلاش قـاع تدبرو لا شـان ؟

3 ‎.‎ كي تـروحي تقضي شكـون قـاع تخلي يحس الداري و يخدم الشغـل ؟

4 ‎.‎ شكون يمد لك الدراهم باش تدبري لا شان ، شحال ايمد ولك على د ربـة و تتكلي غير على الدراهم ليمد ولك ولا تسلكي راسك من أومن كما الخياطة ولا الصوف ؟

5 ‎.‎ سمات تتخبب الحاجة ما تضهرش بالشهور كما السكر و القهوة ، و تفكـري تخبي للوقت الضيق ، يعني تشري بالزيادة كي يكون كـاين ؟

6 ‎.‎ واش طيبتي اليـوم ، سمحلي كفاش طيبتها ، كفاش تدبري باش تـرقعي من و مـن ؟

و سمحلي تقوللي ولا طياب الصيف و الشتاء و لا كفكيف أوثاني ولا توجـدي في الصيف حـوايج تاع المكلة لشتاء في le congélateur ؟

7 ‎.‎ سمحلـي ولا تقـدري تقـوللي ولا تعـرفتي كـاش مـرة في لا شـــان على امــرأة او دورك وليتـو حسـاب ؟

II. الاسئلـــة المغلقـــــة :

1. شكون يسكن قاع في دركم و شكون هــو الرايس نتــاع الدار ، تسمحـــــي تقــوللي ولا قــاع قريبين ولا دك ليخدمو ، واش يخدمو ، ولا عنــــدك ليخدمــوش ، ولا يقــروا في الجامعة ، و لا يجــوزو العسكـــر ولا معندكش في الــدار متغــرب ولا يبعــث بروات ، دراهم ، حوايـــج ؟

2. انــت أمــولا بتــك ولا عنـدكم لا بسمون ( La pension ) ولا دراهـــم الشيخــوخــة ؟

3. وهـذا الدار ديلكــم ولا تخلصــوا الكري شحـال تخلصـوا كــل شهـــر، اوتانى ولا راكــم حبيــن تشــروهـــا ؟

3. مـــا الوقتــاش بدتــو تسكنو في هـذا الدار ، ومقبــل ويـــن كنتــو تسكنو و ملوقتـــاش جتــو لتـــنهـــار ؟

III. معلومـــات خـــاصـــة :

1. دخلتي المسيــد ولا لالا ، قوللي تعرفي تقري ولا تكتبي ؟

2. خدمتي بكري ولا لالا ، واش كنت تخدمي ؟

3. واش تلبسي كي تخرجي حجـــاب ولا حايك ولا مدبري والو ؟

4. واقتـــاش بــدت تخـــرجي واش من السبـــة ؟

5. رأي المــرأة حــول (لاشــان): واش رايك في هذا لاشــان ؟

QUARTIERS VIEUX KOUBA • JOLIE VUE

◎ GALERIE KOUBA

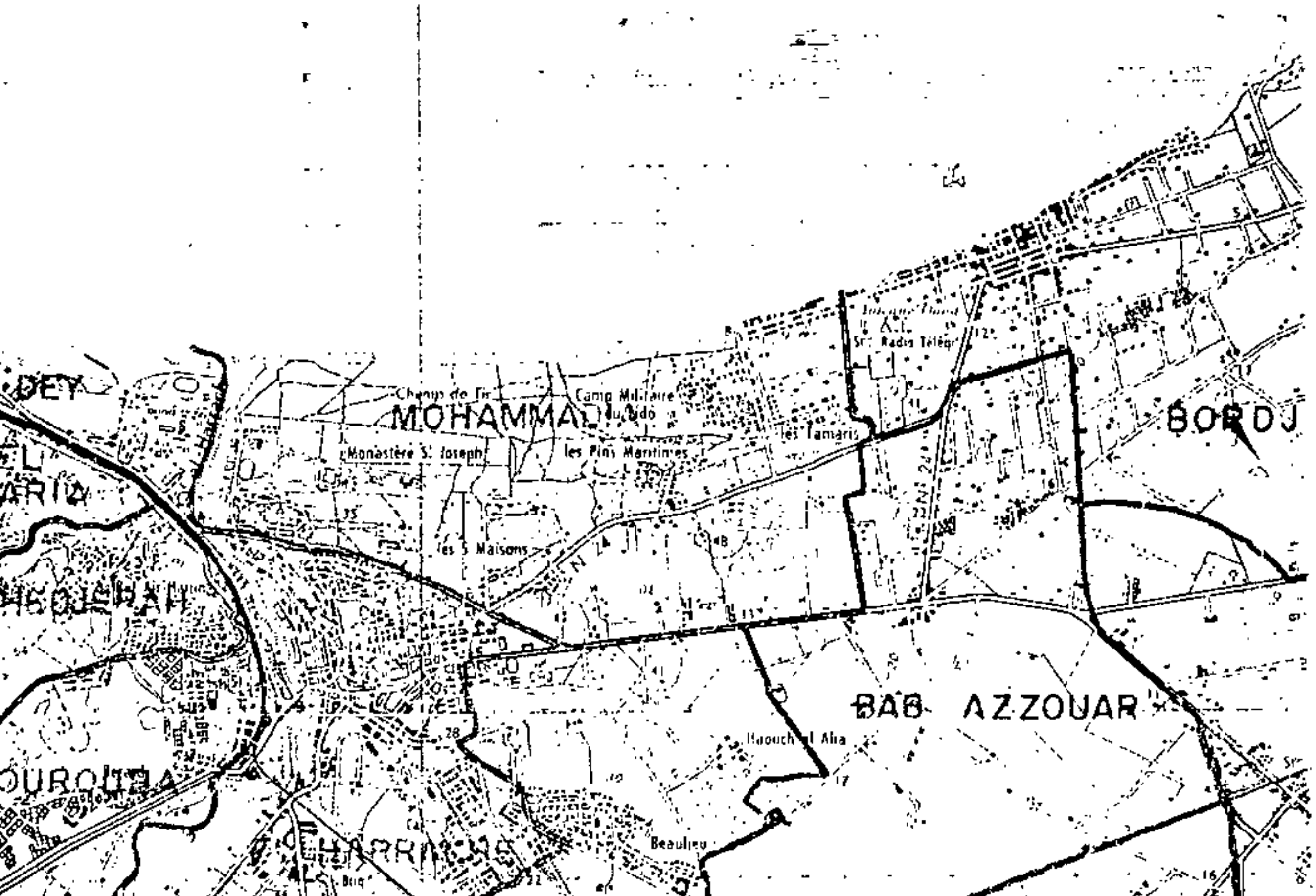
○ GARIDI

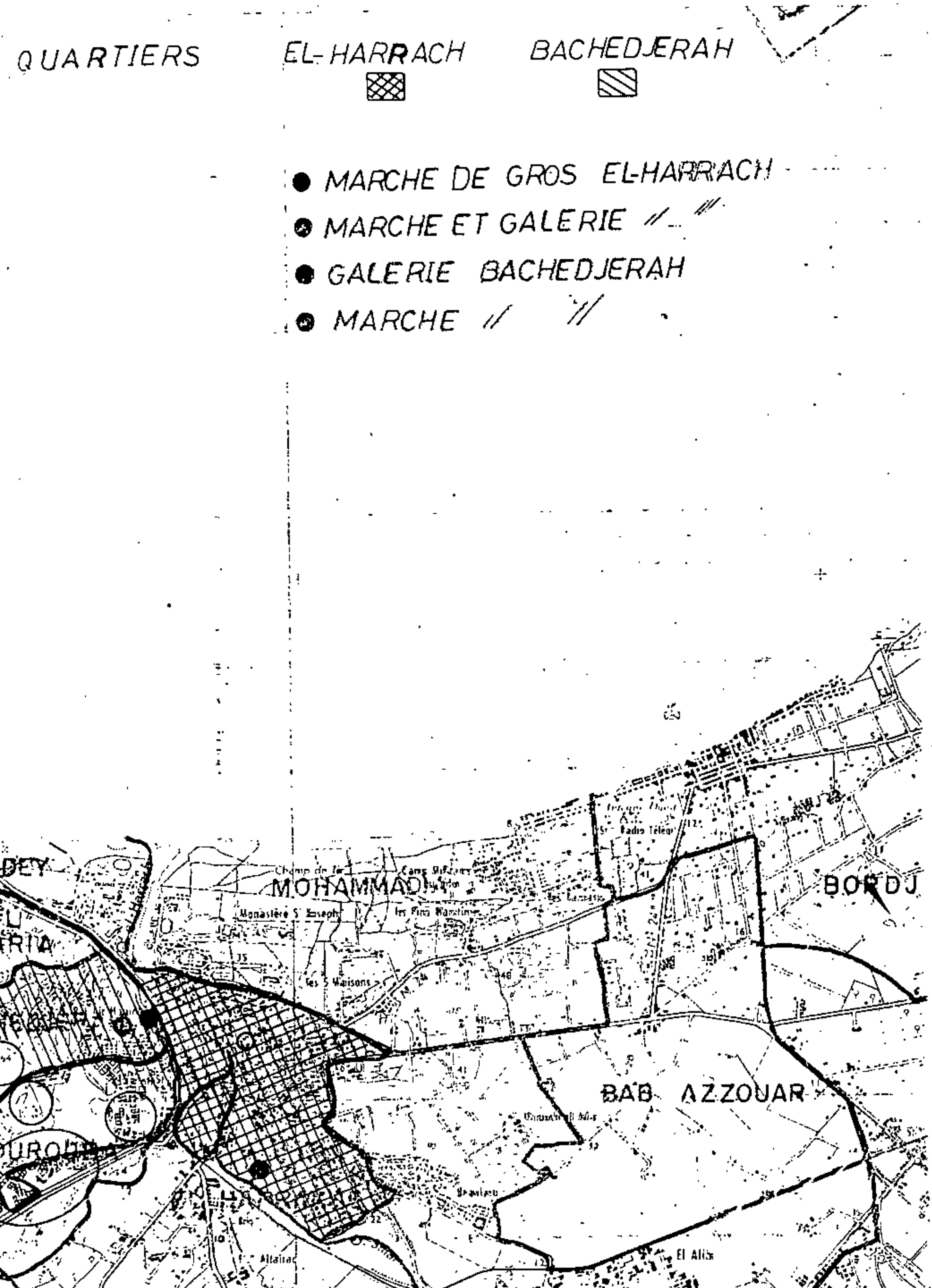
● MARCHE DE KOUBA

◎ BELCOURT

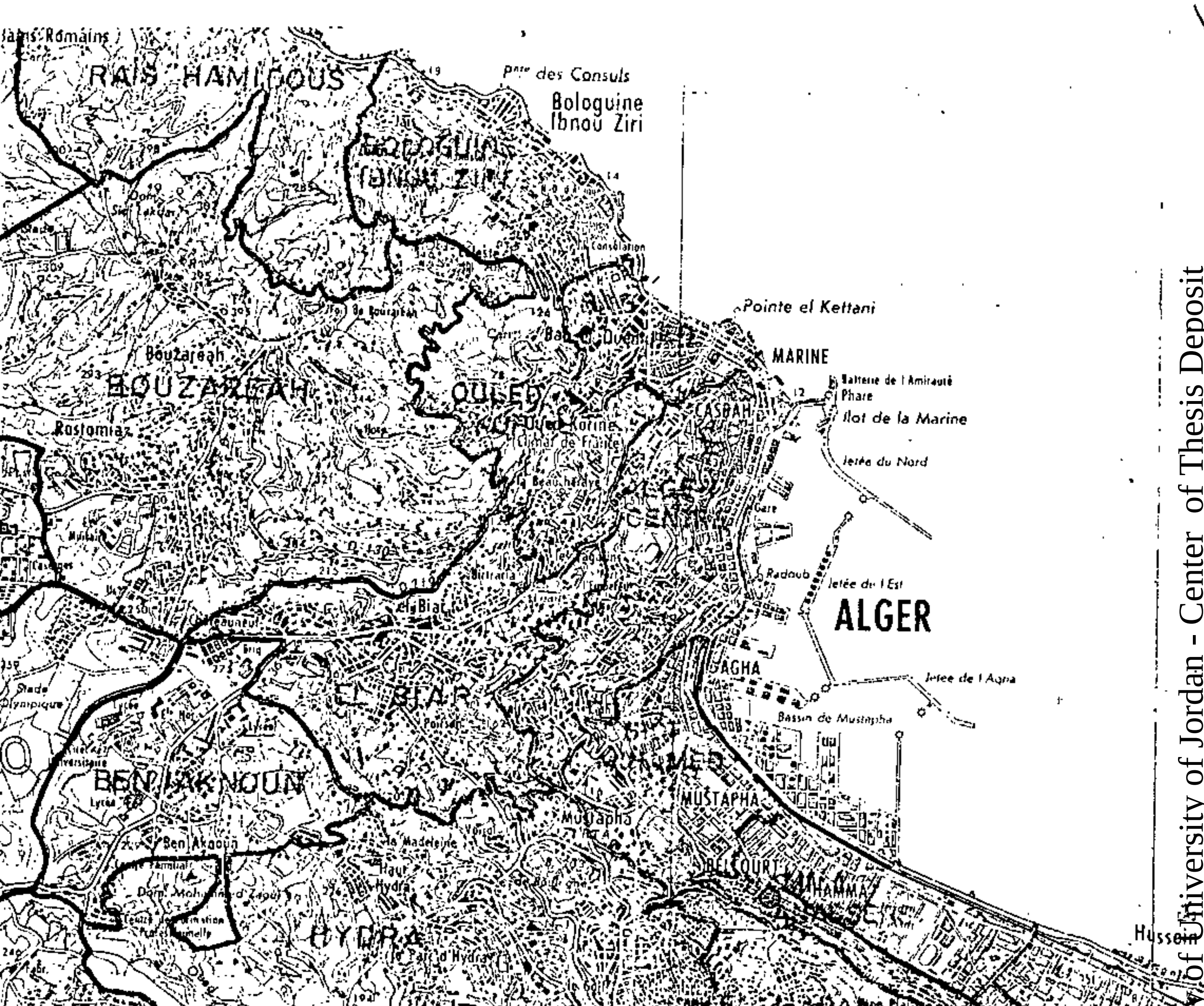
○ RUISSEAU

● GUE DE CONSTANTINE





QUARTIERS
EL-HARRACH
BACHEDJERAH
MARCHE DE GROS EL-HARRACH
MARCHE ET GALERIE // //
GALERIE BACHEDJERAH
MARCHE // //
MOHAMMADIA
BORDJ
BAB AZZOUAR
OUED SMAR
Monastère S^t Joseph
les 5 Maisons
El Alia


RAIS HAMIDOUS
Pnte des Consuls
Bologuine
Ibnou Ziri
Pointe el Kettani
MARINE
Batterie de l'Amirauté
Phare
Ilot de la Marine
Jetée du Nord
CASBAH
Bouzareah
BOUZAREAH
OUED KORICHE
Rostomiaz
Jetée de l'Est
ALGER
Radoub
El Biar
EL BIAR
AGHA
Jetée de l'Agha
Bassin de Mustapha
BEN AKNOUN
Ben Aknoun
MUSTAPHA
Mustapha
HYDRA
Hydra
Le Parc d'Hydra
BELCOURT
HAMMA
Hussein
Oued Roumane
Kaddous
BIR MOURAD RAIS
les Sources
Kouba
Dom. Tekharbouchet Said
Birkadem
les Quatre Chemins
Apreval
Saoula
Stade Olympique
Cité Universitaire



RAIS HAMIDOUS
Pnte des Consuls
Bologuine
Ibnou Ziri
Bouzareah
BOUZAREAH
Rostomia
Pointe el Kettani
MARINE
Batterie de l'Amirauté
Phare
Ilot de la Marine
Jetée du Nord
CASBAH
Radoub
Jetée de l'Est
ALGER
AGHA
Jetée de l'Agha
Bassin de Mustapha
El Biar
EL BIAR
Stade Olympique
BEN AKNOUN
Ben Aknoun
Mustapha
MUSTAPHA
BELCOURT
HAMMA
la Madeleine
HYDRA
BIR MOURAD RAIS
les Sources
Kouba
KOUBA
Apreval
Birkadem
les Quatre Chemins
Montfroid
Saoula
Oued Roumane
Dom. Said Hamdine
Dom. Tekharbouchet Said
Ouled Bouzid
les Ouled Magnenon